

سلسلة تفسير القرآن الكريم (٥)

التَّفْسِيرُ المَنْهَجِيُّ

مِنْ سورَةِ المائِدَةِ ـ الآيةِ ١٠٧ مِنْ سورَةِ الأَنْعامِ

تأليف

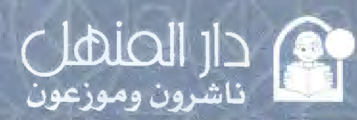
الدكتور جمال أبو حسّان

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/١/٨٤)

٢٢٢,٦
أبو حسان، جمال
التفسير المنهجي: من سورة المائدة - إلى الآية ١٠٧ من
سورة الأنعام / جمال أبو حسان. عمان: دار المنهل، ٢٠٠٦

(٢١٢) ص (سلسلة القرآن الكريم؛ ٥)
ر.إ: (٢٠٠٦/١/٨٤).
الواصفات: / القرآن// التفاسير// الاسلام/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

2006

رقم الإجازة: 2006 / 1 / 45
رقم الإيداع: 2006 / 1 / 84
التصنيف الدولي: 9957-08-482-8

مؤلفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

رَقَمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقَمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ الأَوَّلُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٩
الدَّرْسُ الثّاني	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّاني	١٣
الدَّرْسُ الثّالِثُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ	١٨
الدَّرْسُ الرّابِعُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ	٢٢
الدَّرْسُ الخامِسُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٢٦
الدَّرْسُ السّادِسُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ	٣١
الدَّرْسُ السّابِعُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّابِعُ	٣٥
الدَّرْسُ الثامِنُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثامِنُ	٣٩
الدَّرْسُ التّاسِعُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ	٤٤
الدَّرْسُ العاشِرُ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ العاشِرُ	٤٨
الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	٥٢
الدَّرْسُ الثّاني عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّاني عَشَرَ	٥٦
الدَّرْسُ الثّالِثَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثَ عَشَرَ	٦٠
الدَّرْسُ الرّابِعَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ	٦٤
الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ	٦٨
الدَّرْسُ السّادِسَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ	٧٣
الدَّرْسُ السّابِعَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ	٧٧
الدَّرْسُ الثّامِنَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّامِنَ عَشَرَ	٨١
الدَّرْسُ التّاسِعَ عَشَرَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ	٨٥
الدَّرْسُ العِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ العِشْرونَ	٨٩
الدَّرْسُ الحادي والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ	٩٣
الدَّرْسُ الثّاني والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ	٩٧
الدَّرْسُ الثّالِثُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ	١٠١
الدَّرْسُ الرّابِعُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ والعِشْرونَ	١٠٥
الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ	١١٠

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ والعِشْرونَ	١١٤
الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ والعِشْرونَ	١١٧
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ	١٢٢
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ	١٢٦
الدَّرْسُ الثَّلاثونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثَّلاثونَ	١٣٠
الدَّرْسُ الحادي والثَّلاثونَ	سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الحادي والثَّلاثونَ	١٣٣
الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	١٣٧
الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٤٢
الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٤٧
الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الرابِعُ	١٥١
الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	١٥٥
الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	١٥٩
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	١٦٣
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١٦٨
الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١٧١
الدَّرْسُ الحادي والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١٧٥
الدَّرْسُ الثَّاني والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	١٧٨
الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	١٨٢
الدَّرْسُ الرَّابِعُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	١٨٥
الدَّرْسُ الخامِسُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	١٨٨
الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ	١٩٢
الدَّرْسُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ	١٩٥
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ	٢٠٠
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والأَرْبَعونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ	١٠٤
الدَّرْسُ الخَمْسونَ	سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ	٢٠٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبِّينا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يومِ الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّورِ ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .
وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَستِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطَلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريم كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو لضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعددٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأسئلةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو روايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدفِ إمْتاعِ القارئِ وإفادتِهِ بهذهِ المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبويَّةِ وروايات أسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديثِ .

واللهَ تعالى نسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصا لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأنْ يتقَبلَهُ بقبُولٍ حَسَنٍ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ المائدَةِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى
ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ
ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ
فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ
عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ المائِدَةِ سورةٌ مدنيَّةٌ ، من أواخِرِ ما نزلَ على النَّبيِّ ﷺ منَ السُّوَرِ ، وَعَدَدُ آياتِها مائةٌ وعشرونَ آيةً . اشتملَتِ السّورَةُ على مَوْضوعاتٍ مُتعدِّدَةٍ في المعاملاتِ والأخلاقِ ، وبعضِ الأحكامِ الشَّرْعيَّةِ ، والحديثِ عنْ بعضِ أحوالِ أَهْلِ الكتابِ ، وفَصَّلَتِ القولَ في عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السَّلامُ .

والنّاظِرُ في مَوْضوعاتِ السّورةِ الكريمةِ ، يستطيعُ أنْ يستخلِصَ مِنْها الحقائقَ التّاليةَ :

أولاً : إنَّ هذهِ السّورةَ الكريمةَ مليئةٌ بالأَحْكامِ الشّرعيةِ المتنوّعةِ ، وهيَ أحكامٌ ثابتةٌ لا نَسْخَ فيها .

ثانياً : وَجَّهتِ السّورةُ الكريمةُ نداءاتٍ عِدّةً للمُؤْمنينَ ، كلُّ نداءٍ فيها يُعْتَبَرُ قانوناً مُنَظِّماً لناحيةٍ مِنْ نواحِي الحياةِ عندَ المُسلمينَ ، فيما يخصُّ أنفسَهُمْ ، أوْ فيما يَخُصُّ عَلاقاتِهِمْ بغيرِهِمْ .

ثالثاً : إنَّ السّورَةَ الكريمةَ حافلةٌ بالحديثِ عنْ أهلِ الكتابِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَوْفوا	هاتوا الشَّيءَ وافياً لا نَقْصَ فيهِ .
العُقودِ	العُهودِ الموثَّقةِ .
بهيمةُ الأَنْعام	الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ .
مُحلِّي الصَّيدِ	جاعِليهِ حلالاً .
وأنتمْ حُرُمٌ	وأنتمُ في حالةِ الإِحْرامِ .
شعائرَ اللهِ	حدودَه وفرائِضَهُ .
الهَدْيَ	ما يُهدى إلى البيتِ الحرامِ مِنَ الأنعامِ تقرُّباً إلى الله تَعالى .
القلائدَ	ما يُقلَّدُ بهِ الهَدْيُ ، ويوضَعُ في رقبتهِ ، ليُعْلَمَ أنَّهُ صائرٌ إلى البيتِ الحرامِ .
آمّينَ البيتَ	قاصِدينَ زيارتَهُ .
حَللتُمْ	أنهيتُمُ الإحرامَ .
لا يَجْرِمَنَّكُمْ	لا يَحْمِلَنَّكُمْ .
شنآنُ	بُغْضُ .

التَّفسيرُ :

ابتدأتِ السّورةُ الكريمةُ بأمرِ المُؤْمنينَ بالوفاءِ بالعُقودِ ، والمواثيقِ الّتي ذكَّرتْهُمْ ببعضِ ما أحلَّ اللهُ تَعالى لَهُم ، وبعضِ ما حرَّمهُ عليهِم ، فقالَ تَعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ .

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا كونوا أوفياءَ بِعُهودِكُمْ معَ اللهِ تَعالى ، ومَعَ أَنفسكُمْ ، ومَعَ غَيْرِكُمْ ، فقدْ أحلَّ اللهُ لكُمْ بهيمةَ الأنْعامِ لِتَنْتَفِعوا بها ، فَضْـلاً وكَرَماً منهُ سُبْحانَهُ ، إلاّ أنَّه حرَّمَ عليكُمْ أشياءَ رحمةً بكُمْ فاجْتَنِبوها ، كما حرَّمَ عليكمُ الاصطيادَ أو الانتفاعَ بالمصيدِ وأنتُمْ مُحْرِمونَ بحجٍ أو عُمْرَةٍ ، سواءٌ أكنتمُ في الحِلِّ أمْ في الحَرَمِ ، ويدخلُ في حُكْمِ المُحرمِ مَنْ كانَ في الحرَمِ وليسَ مُحرِماً ، لأَنَّ المُحرِمَ أو مَنْ كانَ على أرضِ الحَرَمِ يجبُ عليهِ أنْ يكونَ مُشتغِلاً بما يُرضي اللهَ تَعالى ، وأنْ يحترِمَ

هذهِ الأماكنَ المقدّسةَ الّتي جعلَها اللهُ تَعالى أماكنَ أمانٍ ، واطْمئنانٍ وعبادةٍ لله تَعالى .

ثمَّ بيَّنَ لهمْ سُبْحانَهُ أنَّه يَحكمُ وفقَ مشيئتِه وإرادتِه : ﴿إِنَّ اللهَ يَحكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أيْ أنَّ اللهَ تَعالى يحكمُ ما يُريدُ ويُشرِّعُ مِنَ الأَحْكامِ الّتي تتعلّقُ بالحلالِ والحرامِ وبغيرِهما ، بمُقتَضى مَشيئتِه المَبْنيّةِ على الحِكَمِ البالغةِ دونَ أنْ يُنازعَهُ مُنازِعٌ أو يُعارضَهُ مُعارِضٌ ، فاسْتَجيبوا أيُّها المُؤْمِنونَ لحُكْمِه ، لِتَنالوا السَّعادةَ في الدُّنيا والآخرةِ .

وبعدَ أنْ أشارَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى إلى ما أحَلَّ لعبادِه مِنَ الطَّيِّباتِ ، وما حظَرَهُ عليهِم مِنَ الأَفْعالِ ، أتْبعَ ذلك بنداءٍ آخرَ نهاهُم فيهِ عَنِ اسْتِحلالِ أشياءَ مُعيَّنةٍ ، فقالَ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ .

يا أيُّها المؤمنونَ ، لا تَسْتَبيحوا حُرْمةَ شعائرِ اللهِ تَعالى كمناسكِ الحجِّ وقتَ الإحْرامِ قبلَ التَّحلُّلِ منهُ ، وسائرِ أحكامِ الشّريعةِ ، ولا تَنْتَهكوا حُرْمةَ الأَشْهُرِ الحُرُمِ بإثارةِ الحربِ فيها ، ولا تَعترِضوا ما يُهدى مِنَ الأَنْعامِ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ باغْتِصابِه ، أو مَنْعِه مِنْ بُلوغِ مَحلّه ، ولا تَنزِعوا القلائدَ مِنْ رقابِ هذه الأنعامِ المُهداةِ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ ، ولا تَعْتَرِضوا لقُصّادِ بيتِ اللهِ الحرامِ الّذينَ يَبْتَغونَ فَضلَ اللهِ تَعالى ورِضوانَه ، وإذا تحلَّلْتُمْ مِنَ الإحرامِ وخرجْتُمْ مِنْ أرضِ الحَرَمِ فلكمْ أنْ تَصْطادوا ، ولا يحمِلنَّكُم بُغْضُكُمْ لقومٍ صدّوكُمْ عنِ المسجدِ الحرامِ على الاعتداءِ عليهِمْ ، ولْيتعاونْ بعضُكُمْ معَ بعضٍ ، أيُّها المؤمنونَ ، على فِعْلِ الخَيْرِ وجميعِ الطّاعاتِ ، ولا تَتعاوَنوا على المَعاصي ومُجاوَزةِ حدودِ اللهِ ـ تَعالى ـ واخشَوْا عقابَ اللهِ وبَطْشَهُ ، فاللهُ تَعالى شديدُ العقابِ لِمنْ خالفَهُ وتَعدّى حدودَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الأمرُ بالوَفاءِ بالعقودِ ، والنَّهْيُ عنِ اسْتِحلالِ ما حرَّمَ اللهُ تَعالى .

٢ـ النَّهْيُ عنِ الاعتداءِ على الآخَرينَ بِسَبَبِ بُغْضِنا لهُم .

٣ـ ضرورةُ التَّعاونِ على البرِّ والتَّقوى ، وعدمُ التَعاوُنِ على الإثْمِ والعُدْوانِ .

٤ـ التّقوى تَحمِلُ الإنسانَ على فِعْلِ الطّاعاتِ ، وتجنُّبِ المُحرَّماتِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أوْفوا بالعُقودِ ، أُحِلَّتْ لكُمْ بَهيمةُ الأنعْامِ ، غيرَ محلّي الصيّدِ وأنتُمْ حُرُم ، شعائرَ اللهِ ، الهَدْيَ ، القلائدَ ، آمّينَ البيتَ الحرامَ ، ولا يَجْرِمنَّكُمْ شَنَآنُ قوم .

٢ـ اشْتَملَتِ السّورةُ الكريمةُ على مجموعةٍ مِنَ الأَحْكامِ الشَّرعيَّةِ المُخْتلفةِ ، هاتِ خمسةً مِنْ هذهِ الأَحْكامِ .

٣ـ ما الحقائقُ الّتي نتبيَّنُها مِنْ هذهِ السّورةِ الكريمةِ ؟

٤ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ حُرْمةَ بعضِ الأشياءِ ، اذكُرْها .

٥ـ لِماذا حُرِّمَ الصَّيدُ وسائرُ الاعْتِداءاتِ في بيتِ اللهِ الحرامِ ، أوْ حالَ الإحْرامِ ؟

٦ـ لِماذا أمرَ اللهُ تَعالى المسلمينَ بالتّقوى فِي هذهِ الآياتِ الكريمةِ ؟

٧ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ مِمّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْترِكَ أَمْريْنِ يَحْرُم فِعْلُهما في الحَرَمِ لِلْمُحْرِمِ وغَيْرِه .

٢ـ اكتبْ في دَفترِكَ الأَشْهُرَ الحُرُمَ مُرتَّبةَ ، واذْكُرْ دليلَ حُرْمَتِها مِنَ السُّنَّةِ النَّبويّةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الثّاني

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ
وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ
فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ
ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ
لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ : ما قُصِدَ بهِ غيرُ وجهِ اللهِ تَعالى وذُكِرَ عليهِ اسمٌ غيرُ اسمِهِ تَعالى عندَ ذَبْحِهِ .
المُنْخَنِقَةُ : الَّتي ماتَتْ خَنْقاً .
المَوْقوذَةُ : الَّتي ماتَتْ بِسَبَبِ ضَرْبِها بشيءٍ ثقيلٍ .
المترَدّيَةُ : الَّتي سَقَطَتْ مِنْ عُلوٍّ فماتَتْ .
النَّطيحةُ : الَّتي ماتَت بِسَبَبِ نَطْحِ دابّةٍ أُخْرى لها .
النُّصُبِ : الحجارةِ المَنْصوبةِ حولَ الكعبةِ وهيَ الأصنامُ .
تستقسِموا بالأَزْلامِ : تَطلُبوا معرفةَ مُستقبلِكُمْ عنْ طريقِ قِداحِ الميْسرِ .

مَخمصةٍ	الجوعِ الشّديدِ .
غيرَ مُتجانفٍ لإثمٍ	غيرَ مائلٍ لارتكابِ الإثمِ .
مُكلِّبينَ	مُعلّمينَ لها على الصَّيْدِ .
المحُصَناتُ مِنَ الّذينَ أوتوا الكتابَ	العَفيفاتُ الحرائرُ .
مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ	مُتَعفِّفينَ بالزَّواجِ غيرَ راغبينَ في السِّفاحِ : (الزِّنا) .
ولا مُتَّخِذي أَخدانٍ	غيرِ مُتَّخذي النِّساءِ خَليلاتٍ وصديقاتٍ تُعاشِرونَهُنَّ بالحرامِ .
حَبطَ عملُهُ	خابَ سعيُهُ وفَسَدَ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى للمُؤْمنينَ وجوبَ تعظيمِ شعائرِهِ ، وحُرْمَةَ الاعتداءِ عليْها ، وعلى القائمينَ بها ، شَرَعَ هُنا في بيانِ المحرَّماتِ مِنَ المطعوماتِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

حرَّمَ اللهُ تَعالى عليكُمْ أيها المُؤْمنونَ أكْلَ لحمِ الميتةِ ، وشُرْبَ الدَّمِ السائلِ مِنَ الذَّبيحةِ ، وأكلَ لحمِ الخِنزيرِ ، وما ذُكِرَ غيرُ اسمِ اللهِ تَعالى عندَ ذَبْحِه ، وما ماتَ خَنْقاً ، والّتي ضُربتْ حتّى ماتَتْ ، وما سقطَ من عُلوٍّ فماتَ ، وما ماتَ بسببِ نَطْحِ غيرِه لَهُ ، وما ماتَ بسببِ أَكْلِ حيوانٍ مُفترسٍ منهُ ، وأمّا ما أدركتُموهُ وفيهِ حياةٌ ممّا يَحِلُّ لكُم أكْلُهُ وذبحتُموهُ فهوَ حلالٌ لكُم . وحرَّمَ الله تَعالى عليكُمْ أكْلَ ما ذُبِحَ تقرُّباً للأصنامِ ، وحَرَّمَ عليكُمْ أنْ تَطلبوا معرفةَ ما كُتِبَ في الغيبِ بواسطَةِ القُرعةِ بالأقداحِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أنّ الكافرينَ قدِ انقطعَ رجاؤُهُمْ في القضاءِ على دينِ الإسلامِ ، فَلا ينبغِي للمُؤْمنينَ أنْ يخافوا أنْ يتغلَّبَ المشركونَ عليهِمْ ، وأنَّ عليهِمْ أنْ يتَّقوا اللهَ تَعالى .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أنّه أكمَلَ لَنا دينَهُ وهُوَ الإسْلامُ ، فَلا يُحتاجُ إلى دينِ غَيْرِهِ ، وهُوَ النِّعْمَةُ الكُبْرى الّتي لا نِعْمَةَ فَوْقَها ، وقَدْ أخْبَرَنا تَعالى أنَّهُ رَضِيَ لَنا هَذا الدّينَ ، وفي ذَلِكَ دَعْوَةٌ لَنا أَنْ

نَرْضاهُ لأَنْفُسنا . ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ مَنْ أَلجأتْهُ ضَرورةُ الجوعِ إلى تناولِ شيءٍ مِنَ المُحرَّماتِ السابقةِ ، ففَعَلَ لِدَفْعِ الهلاكِ عنْ نفسِه غيرَ مُنْحَرِفٍ إلى المعصيةِ ، فإنَّ اللهَ تعالى يغفرُ لهُ ما أكلَهُ على جهةِ الاضْطرارِ دَفْعاً للهلاكِ ، وهو سُبْحانَهُ غفورٌ يَغْفِرُ ذنوبَ عبادِهِ ، رحيمٌ بهم ، فلا يُكلِّفُهُمْ ما لا يُطيقونَ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى أنواعاً مِنَ المُحرَّماتِ ، شرَعَ في بيانِ ما أحَلَّهُ لِلْمُسْلِمينَ مِنَ المَطعوماتِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ .

يسألُكَ المُؤْمنونَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ ، ماذا أحلَّ لهُم مِنَ المَطاعمِ بعدَ أنْ عرفوا ما حرَّمَ عليهم منْها ، فقلْ لهُمْ : أُحِلَّ لكُمُ الأطعمةُ الطَّيبةُ الّتي تَستلذُّها النفوسُ المُستقيمةُ ، وتَستطيبُها ولا تستقذِرُها ، والتي لمْ يرِدْ في الشَّرعِ ما يُحرِّمُها ويمنعُ تَناوُلَها ، وأُحِلَّ لكُمْ ما تَصطادُهُ الجوارحُ الّتي علّمتُموها الصيْدَ بالتَّدريبِ ، مستمدِّينَ ذلكَ ممّا علَّمكُمُ اللهُ تَعالى ، فكُلوا مِنْ صَيْدِها الّذي أرسلتُموها إليهِ فأمسَكَتْهُ عَليْكُم ، واذكروا اسمَ اللهِ تَعالى عندَ إرْسالِها للصَّيْدِ ، واتَّقوا اللهَ بالتزامِ ما شَرَعَ لكُم ، ولا تَتَجاوَزوهُ ، واحذَروا مخالفةَ اللهِ فيهِ ، فإنَّه سُبْحانَهُ سريعُ الحسابِ .

بعد ذلكَ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى جانباً آخرَ منْ مظاهرِ نِعَمِهِ على عِبادِه ، ورَحْمتِهِ بِهِمْ ، وتَيسيرِهِ في أُمورِ دينِهِمْ ودُنياهُم ، فقال تَعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

اليومَ ـ ومنذُ نُزولِ هذه الآيةِ ـ أَحلَّ اللهُ تَعالى لكُمْ كُلَّ طيِّبٍ تَستطيبُه النفوسُ السَّليمةُ ، وأَحلَّ لكُمْ أنْ تأكُلوا مِنْ طعامِ أَهْلِ الكِتابِ ، وأَحلَّ لكم أَكْلَ ذبائِحهِمْ ، إلاّ ما وَرَدَ النَّصُّ بتَحْريمهِ منها ، كأَنْ يَأْكُلَ أهلُ الكتابِ المَيْتَةَ مثلاً ، فلا يَحِلُّ لنا أكْلُها ، أو يأْكُلوا الخِنزيرِ فإنّا لا نأْكُلهُ مُتابَعةً لهُم ، كما أنَّ اللهَ تَعالى أَحلَّ لهُمْ طعامَكُمْ ، وكذلكَ أَحلَّ لكُمْ زواجَ الحرائرِ العَفيفاتِ مِنَ المُؤْمناتِ ، ومِنْ نساءِ أهْلِ الكِتابِ ، إذا أدَّيْتُمْ إليْهِنَّ مُهورَهُنَّ قاصِدينَ الزَّواجَ ، غيرَ مُسْتَبيحينَ العَلاقاتِ غيرَ الشَّرعيَّةِ عَلانيةً ، أوْ بِطَريقِ اتِّخاذِ الخَليلاتِ والعَشيقاتِ . ثمَّ حذَّرَ اللهُ تَعالى منَ الكُفْرِ ، وبيَّنَ أنَّ مَنْ يَجْحَدْ ويَكْفُرْ بتعاليمِهِ فقدْ ضاعَ ثوابُ عَمَلِهِ ، وهو في الآخِرَةِ مِنَ الهالِكينَ الخاسِرينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تحريمُ الأنواعِ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى في هذِه الآياتِ يوجِبُ على كلِّ مسلمٍ الابتعادَ عنْها .

٢ـ حِلُّ المُنْخَنِقَةِ والمَوْقوذةِ والمُترَدِّيةِ والنَّطيحَةِ وأكيلةِ السَّبُعِ متى ذُبِحَتْ ذَبْحاً شرعيّاً قَبْلَ مَوْتِها .

٣ـ إباحةُ أَكْلِ المُحرَّماتِ عندَ الضَّرورةِ بشرطَينِ : دَفْعِ الضّررِ ، وَعدمِ تجاوزِ سدِّ الحاجةِ .

٤ـ حُرْمةُ الاستِقْسامِ بالأَزْلامِ ، وكُلِّ ما يُشبِهُهُ مِنَ القِمارِ والتَّنجيمِ والضَّـرْبِ في الرَّملِ وقِراءةِ الفِنْجانِ .

٥ـ بِشارةُ المسلمينَ بانْقطاعِ رَجاءِ الكافرينَ في إبطالِ أَمْرِ الإسلامِ .

٦ـ إباحةُ التَّمتُّعِ بالطَّيباتِ الّتي أحلَّها اللهُ تَعالى دونَ إسرافٍ أو خُيَلاءَ .

٧ـ إباحةُ الصّيـدِ بالجوارحِ المعلَّمةِ ، ووجوبُ التَّسميةِ عندَ إرْسالِها للصَّـيدِ .

٨ـ إباحةُ الأَكْلِ مِنْ لُحومِ أَهْلِ الكِتابِ وذَبائِحِهِمْ ما لَمْ تكُنْ مُحَرَّمةً في شَرْعِنا ، وإباحةُ الزَّواجِ مِنْ نسائِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بِهِ ، المُنْخَنِقَةُ ، المَوْقوذَةُ ، المُتَردّيةُ ، النَّطيحةُ ، النُّصُبِ ، الأزلامِ ، مَخمصةٍ ، غيرَ مُتَجانِفٍ لإثمٍ ، مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ ، أَخْدانٍ ، حَبِطَ عَمَلُهُ .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ بعضاً ممّا حرَّمَ اللهُ تَعالى على عبادِهِ ، اذكُرْ خمسةً مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ بعضَ ما أَحلَّ اللهُ تَعالى لعبادِهِ ، اذكُرْ ثلاثةَ أشياءَ مُباحَةً مِنْ خِلالِ هذهِ الآياتِ .

٤ـ ذكرتِ الآياتُ بِشارةً لِلْمُؤْمنينَ ، بيِّنْ هذه البِشارةَ .

٥ـ يجوزُ أكْلُ المُحَرَّماتِ المذكورةِ في هذهِ الآياتِ بشروطٍ ، بيّنْ هذهِ الشّروطَ .

٦ـ رتّبِ المُحَرَّماتِ التّاليةَ حَسَبَ وُرودِها في الآيةِ الثّالثةِ :

المُتَرَدِّيةُ ، ما ذُبِحَ على النُّصُبِ ، الدَّمُ ، الموقوذَةُ ، لحمُ الخِنزيرِ ، المَيْتَةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ دَمَيْنِ ومَيْتَتَيْنِ أحَلَّهما اللهُ لِلْمُسْلِمينَ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ حَيَوانٍ ، واسْمَ طائرٍ يُسْتَخْدَمانِ للصَّيْدِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ
وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم
مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ
صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ
حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ : إذا أَرَدْتُمْ أداءَ الصَّلاةِ .

المَرافِق : جَمْعُ مِرْفَقٍ ، وهو العَظْمُ الرّابطُ بين الذِّراعِ والعَضُدِ .

الكَعبين : العَظمَيْنِ الناتِئَيْنِ بينَ أعلى القَدَمِ والسّاقِ .

لامَسْتُمُ النِّساءَ : كِنايةٌ عن الجماع .

صَعيداً : هو التُّرابُ على وَجْهِ الأرضِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى بعضَ نِعَمِهِ على عبادِهِ فيما يتعلَّقُ بالطَّعامِ والزَّواجِ ، أَتْبَعَ ذلكَ ببيانِ فَضْلِهِ عَليهِم فيما يتعلَّقُ بعبادتِهِمُ الّتي مِنْ أهمِّها : الوُضوءُ والغُسْلُ والصَّلاةُ ، وأمرَهُمْ بالمحافظةِ على ما شَرَعَهُ لهُم مِنْ شرائعَ وأحكامٍ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ .

هذا شروعٌ في بيانِ أحكام الاستعدادِ والتّهيُّؤ للصّلاةِ ، والمُرادُ : يا أيُّها الّذينَ آمنوا إذا أردْتُمُ الدّخولَ في الصّلاةِ ، فعليكُمْ أنْ تتوَضّأوا قبلَ دُخولِكُمْ فيها ، بأنْ تغسلوا وُجوهَكُمْ ، وتغسِلوا أيدِيَكُمْ إلى المرافقِ ، وتَمْسحوا برُؤوسِكُمْ ، وتغسلوا أرْجُلَكُمْ إلى الكَعبَيْنِ ، إذا كنتُمْ مُحْدِثينَ حَدَثاً أصْغَرَ وأردْتُمُ الصّلاةَ ، أمّا إذا كنتُم مُحْدِثينَ حَدَثاً أكْبَرَ بأنْ كنتُم جُنُباً وأردْتُمُ الدُّخولَ إلى الصّلاةِ ، فعليْكُمْ في هذهِ الحالةِ أنْ تَغْسِلوا جميعَ بدنِكُم بالماءِ ، وتتأكّدوا مِنْ وُصولِ الماءِ إلى جميعِ أجْزاءِ الجسدِ .

والطّهارةُ في الإسلامِ لها مَعْنيانِ : أَحَدُهما : طَهارَةُ القَلْبِ بالإيمانِ وإخْلاصِ الدّينِ للهِ ، وعَقْدِ العزمِ على الوقوفِ أمامَه سُبْحانَهُ طاهرَ النَّفسِ ، وثانيهما : النَّظافةُ الحِسِّيّةُ بالوُضوءِ ، ومِنْ ذلكَ غَسلُ الأعضاءِ الظّاهرةِ المُعرَّضةِ للأوساخِ . والوُضوءُ يتكرّرُ وقدْ يصلُ تَكرارُهُ إلى خَمْسِ مرّاتٍ في اليومِ إذا وُجِدَ مِنَ المسلمِ ما يوجِبُهُ .

وقَدْ تكونُ الطّهارَةُ الحِسِّيّةُ بالاغْتسالِ مِنَ الجَنابةِ والحَيْضِ والنُّفاسِ . وفي الوضوءِ والغُسْلِ وِقايةٌ مِنَ الأمْراضِ ، وتَنْشيطٌ لأَعْضاءِ الإنْسانِ ، وتخفيفُ حِدّةِ توتُّرِ الأعصابِ ، فقدْ جاءَ عنِ النّبي ﷺ : « إذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضّأْ »[1] .

والتَّيمُّمُ فيهِ المعنى الأوّلُ وهوَ التّوجُّهُ القَلبيُّ إلى اللهِ تَعالى بالاستعدادِ لذلكَ ، وعَقْدِ العَزْمِ على الوُقوفِ أمامَه طاهرَ النّفسِ مُخلِصاً وخالِصاً لهُ سُبْحانَهُ .

ثمّ شَرَعَ اللهُ تَعالى في بيانِ الأعذارِ الّتي تُبيحُ التّيمُّمَ مِنْ أجلِ الطّهارةِ عندَ العَجْزِ عنِ استعمالِ الماءِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤/ ٢٢٦ حديث رقم (١٨٠١٤) .

وإنْ كنتُم أيُّها المُؤْمنونَ في حالةِ مَرَضٍ ، يحولُ بَينكُمْ وبينَ استعمالِ الماءِ أوْ كنتُمْ مُسافِرينَ ولا ماءَ عِنْدكُمْ ، وأَحْدَثْتُمْ حَدَثاً أصْغَرَ أوْ أكْبَرَ ، فعليكُمْ في هذهِ الأحوالِ أنْ تقصُدوا إلى التُّرابِ الطّاهرِ فتستعملوهُ بَدلاً مِنَ الماءِ ، وهَذا هُوَ التَّيَمُّمُ الَّذي يَضْرِبُ فيهِ صاحِبُهُ بِكَفَّيْهِ التُّرابَ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهما وجْهَهُ ويَديْهِ ، وهُوَ بذلكَ يَرْفَعُ الحَرَجَ عَنْ عِبادِهِ الّذينَ لا يَقْدِرونَ عَلى اسْتِعمالِ الماءِ ، وهُوَ في الدّينِ مِنَ المُطَهِّراتِ . وهَذا الحُكْمُ مِنَ الأحْكامِ الّتي تَمَّ بها الدِّينُ . فإنَّ اللهَ تَعالى لم يجعلْ عليْكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ ، فامْسَحوا بوجوهِكُمْ وأيديكُمْ منهُ . وقريبٌ مِنْ معنى هذهِ الآية قولُه تَعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقولُهُ تَعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقولُهُ تَعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

وبعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ ما تَفَضَّلَ على عبادِهِ ، وَرحْمتهِ بِهِمْ ، أَتْبعَ ذلكَ بِأَمْرِهِمْ بمُداومَةِ ذِكْرِ نِعَمهِ وميثاقِهِ الَّذي واثَقَهُمْ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ .

اذْكُروا أيُّها المُؤْمنونَ نِعْمَةَ اللهِ تَعالى عليكُمْ بهدايَتِكُمْ إلى الإسلامِ ، وحافِظوا على تَنفيذِ عهدِهِ الّذي عاهدَكُمْ عليهِ حينَ بايعتُمْ رسولَهُ ﷺ على السَّمْعِ والطّاعةِ لهُ في المَنْشَطِ والمَكْرَهِ ، والعُسْرِ واليُسْرِ وقلْتم : سَمِعْنا ما قلتَ لنا وأخذْتَ علينا مِنَ المواثيقِ ، وأطعْناكَ فيما أَمَرْتَنا بهِ ونهيتَنا عنْهُ ، فأوفوا أيُّها المُؤْمنونَ ، بميثاقِهِ الّذي واثَقكُم بهِ ونعمتِهِ الّتي أنعمَ بها عليكُمْ بما ضَمِنَ لكُمُ الوفاءَ بهِ من إتمامِ نِعْمَتهِ عليكُمْ ، وبإِدْخالِكُمْ جنَّتَهُ ، وبإنعامِكُمْ بالخلودِ في دارِ كرامتِهِ ، وإنقاذِكُمْ مِنْ عقابِهِ .

ثمَّ ختَم اللهُ تَعالى هذهِ الآيةَ الكريمةَ بالأمرِ بخشيَتهِ سُبْحانَهُ والخَوْفِ منهُ ، فقالَ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

اشكُروا اللهَ تَعالى أيُّها المُؤْمنونَ على نِعْمَتِهِ وكونوا أَوْفياءَ بعُهودِكُمْ ، واتّقوا اللهَ وراقبوهُ في كلِّ ما تأتونَ وما تذَرونَ مِنْ أعمالٍ ، وصونوا أنْفُسَكُمْ عَنْ كلِّ ما يَكرَهُهُ لكُم ، فإنَّه سُبْحانَهُ عليمٌ عِلْماً تامّاً بالأُمورِ الكامنةِ في الصُّدورِ ، وبكلِّ ما يُظهِرُهُ الإنْسانُ ويُبْطِنُهُ ، وسَيُحاسِبُكُمْ يومَ القيامةِ على أعمالِكُمْ ، فيُجازي المُحْسِنَ بإِحْسانِهِ والمُسيءَ بإساءَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الوقوفُ بينَ يدي اللهِ تَعالى في الصَّلاةْ لهُ مُسْتَلْزَماتٌ لابدَّ مِنْ إتمامِها .

٢ـ يَجبُ الاغْتِسالُ مِنَ الجَنابَةِ والحَيْضِ والنُّفاسِ ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلى اسْتِعْمالِ الماءِ ، أوْ لَمْ يَجِدْهُ ، فَيَجبُ عَليْهِ التَّيَمُّمُ .

٣ـ التَّيَمُّمُ بالتُّرابِ مَقْصودٌ بِهِ تعميقُ معنى الطَّهارةِ في نَفْسِ الإنسانِ ، بحيثُ تبقى مُلازمةً لهُ .

٤ـ مُراعاةُ أحْوالِ الإنسانِ المخْتَلِفَةِ في تَشريعاتِ الدّينِ دليلٌ على يُسْرِ الشَّريعةِ وإيجابياتِها .

٥ـ ضَرورةُ شُكْرِ اللهِ تَعالى على ما تكرَّمَ بهِ علَيْنا مِنَ الشَّرائعِ المُيَسَّرةِ السَّهْلَةِ ، وبالشُّكْرِ تَدومُ النِّعمُ .

٦ـ ضَرورةُ الوفاءِ للهِ تَعالى بما الْتَزَمَهُ العبادُ مَعَهُ مِنَ عُهودٍ ومواثيقَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

إذا قُمتُمْ إلى الصَّلاةِ ، المرافقِ ، الكَعبيْنِ ، لامَسْتُمُ النِّساءَ .

٢ـ يَظهرُ مِنْ هاتينِ الآيتينِ يُسْرُ الشَّريعةِ الإسلاميةِ ومُرونتُها ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ الطَّهارةُ لها معنيانِ ، اذكُرْهُما .

٤ـ ما سِرُّ تَشريعِ التَيمُّمِ ؟

٥ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الحَدَثِ الأصْغَرِ والحَدَثِ الأكْبَرِ .

٢ـ اكتبْ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فيهِ الرَّسولُ ﷺ كَيفيّةَ التَيمُّمِ .

٣ـ اكتبْ على لوحةٍ كرتونيَّةٍ كيفيَّةَ التَّيمُّمِ ، وموجباتِهِ ، وعلِّقِ اللّوْحةَ في غرفةِ الصَّفِّ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ
عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قوّامينَ : جَمْعُ قائمٍ ، والمُرادُ بِهِ مَنْ يَأْتي بالشَّيءِ على أتمِّ وَجْهٍ وأحْسَنِهِ .

القِسْطِ : العَدْلِ .

لا يَجْرِمَنَّكُمْ : لا يَحمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قومٍ وكَراهتُكمْ إيّاهُمْ .

يَبْسُطوا إليكُمْ أيديَهُمْ : كنايةٌ عنِ البَطْشِ ، ومعناها : يَبْطِشوا بِكُمْ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أَمَرَ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بالوَفاءِ بالعُهودِ والمواثيقِ ، أَتبعَ ذلكَ بِأَمْرِهِمْ بالتزامِ الحقِّ في كلِّ أقوالِهِمْ وأعمالِهِمْ ، وذكَّرهُمْ بما أفاءَ عليهِمْ مِنْ نِعَمٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذين آمنوا إيماناً صادِقاً ، لِيَكُنْ مِنْ أخلاقِكُمْ وصِفاتِكُمْ أنْ تَقوموا للهِ تَعالى وحدَهُ بالحقِّ

في كلِّ ما يَلزمُكُمُ القيامُ بهِ مِنَ العملِ بطاعتِهِ واجْتنابِ نواهيهِ ، وليكنْ مِنْ دأبِكُم وشأْنِكُمْ أيضاً أنْ تَلْتزموا العَدْلَ في شهادَتِكُمْ ، ولا يَحْملَنَّكُمْ بُغْضُكُمُ الشَّديدُ لقوم على عَدَمِ العَدْلِ معَهُمْ ، فإنَّ عَدَمَ العَدْلِ في الأقوالِ والأفعالِ والأحكامِ يَتنافى معَ تعاليمِ دينِ الإسلامِ الّذي آمنتُمْ بهِ ورَضيَهُ اللهُ تعالى لكُمْ .

ثمَّ أمرَهُمُ اللهُ تَعالى بالعَدْلِ في كلِّ أحوالِهِمْ ، فإنّ العَدْلَ معَ الأعداءِ ومعَ غيرِهِمْ أقربُ إلى اتّقاءِ المعاصي ، وأدْعى إلى صيانةِ النَّفسِ عنِ المَهالِكِ والوُقوعِ فيها ، قال سُبْحانَهُ : ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ . والعدلُ دليلُ التَّقوى وأساسُها ، لأنَّ المُؤْمِنَ في حالِ حربِهِ وتَعامُلِهِ مَعَ العدوِّ قدْ يَرى أنَّ مِنَ التَّقوى أنْ يَسْتَبيحَ مالَهُ ، وأنْ يأخذَ منْهُ ما يُمْكِنُ أخْذُهُ ، فبيَّنَ لهمْ القرآنُ الكريمُ أنَّ الأقربَ إلى التَّقوى أنْ يُحْسِنَ المسلمُ مُعاملةَ عدوِّهِ ، وألاّ يعتدِيَ على حقٍّ مِنْ حُقوقِهِ .

ثم خَتَمَ اللهُ تعالى الآيةَ بالحَضِّ على تَقواهُ قائِلاً للمُؤْمِنينَ (واتَّقوا اللهَ) ، أي : اتّقوا اللهَ تَعالى أيُّها المُؤْمِنونَ في كلِّ ما تأتونَ بهِ وما تذرونَ مِنْ أعمالٍ وأقوالٍ ، وصونوا أنْفُسَكُمْ عمّا لا يُرضي اللهَ تَعالى ، وافْعَلوا ما أمرَكُمُ اللهُ بهِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ لا تَخْفى عليهِ خافيةٌ مِنْ أعمالِكم ، وسيُجازيكُم يومَ القيامةِ بما تَستحقّونَ على حَسَبِ أعمالِكُمْ .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾

تفضَّلَ اللهُ تعالى فَوَعَدَ الذينَ آمنوا بهِ وصدَّقوا بدينِهِ ، وعَمِلوا الأعْمالَ الصّالحةَ أنْ يعفوَ عنْ ذنوبِهِمْ ، فيَغفِرَ لهُم ، ويُجْزِلَ لهُمُ الثَّوابَ ، ويُعْطِيَهُمْ على أعمالِهِمُ الأَجْرَ العظيمَ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾

أعلمَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بما توعَّدَ بهِ الكافِرينَ الّذينَ جَحدوا دينَهُ ، وكذَّبوا بآياتِه الدّالَّةِ على وَحدانيَّتِهِ ، وصِدْقِ رِسالتِه ، فأُولئكَ همْ أهلُ جهنَّمَ المُخلَّدونَ فيها بسببِ إيثارِهِمُ الكُفْرَ على الإيمانِ ، والتَّكذيبَ على التَّصديقِ .

ثمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى عبادَهُ المؤمنينَ بنعمةٍ أُخْرى مِنْ نِعَمِهِ الجزيلةِ ، حتّى يَزْدادوا شُكْراً لهُ ووفاءً بعهدِهِ والتزاماً بطاعتِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا تنبَّهوا إلى نِعَمِ اللهِ تَعالى عليكُمْ ، وقابلوها بدوامِ الشُّكْرِ والطّاعةِ للهِ سُبْحانَهُ . وتتمثَّلُ هذهِ النِّعَمُ في أنَّ مِنْ أعدائِكُمْ مَنْ أرادوا أنْ يَبْطِشوا بكُمْ بالقَتْلِ والإهْلاكِ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ

رحمةً بِكُمْ ودفاعاً عنكُمْ ، حالَ بينَكمْ وبينَ ما يُريدونَهُ مِنْ سوءٍ ، فالزَموا أيّها المُؤمِنونَ تَقوى اللهِ تَعالى واعتمِدوا عليهِ وَحْدَهُ في أُمورِكُمْ فهوَ كافيكُمْ ، وشأْنُ المُؤْمِنِ أنْ يكونَ اعْتِمادُهُ على اللهِ تَعالى وحْدَهُ دائماً .

والآيةُ الكريمةُ لَيْسَتْ حديثاً عنْ أمْرٍ خاصٍّ فَعَلَهُ المُشرِكونَ ، وإنَّما هي تذكيرٌ بنعمةِ اللهِ تَعالى إذْ حمى المُؤْمِنينَ منْ مكائدِ أعدائِهِمُ الكَثيرةِ الّتي كانتْ غايتُها إهلاكَ المُؤْمِنينَ ونبيِّهِمْ ﷺ ، وقدْ تعدَّدتْ صورُ هذهِ الغايةِ ، ولكنَّ اللهَ تَعالى أبطَلَها كُلَّها ، ولمْ يُحقِّقْ لهُمْ منها شيئاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ ضَرورةُ المُداومَةِ على الطّاعاتِ في جميعِ الأوقاتِ والأحوالِ .

٢ـ ضَرورةُ أداءِ الشَّهادةِ على وَجْهِها مِنْ دونِ محاباةٍ أو ظُلْمٍ .

٣ـ وجوبُ العَدْلِ في مُعاملةِ الأعداءِ والأصْدقاءِ .

٤ـ ضَرورةُ مُراقبةِ اللهِ تَعالى وخَشيتِه في السرِّ والعَلَنِ .

٥ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى كثيرةٌ ومُتعدِّدةٌ ، والواجبُ على الإنسانِ إدامةُ شُكْرِ النِّعمِ .

٦ـ مكائدُ الأعداءِ كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ والحَذَرُ منها ضَروريٌّ .

٧ـ تَقوى اللهِ تَعالى رأسُ كلِّ خَيْرٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قوّامينَ ، القِسْطِ ، لا يجرِمنَّكُم شَنآنُ قومٍ على أنْ لا تعدِلوا ، يَبْسُطوا إليكُم أيديَهُمْ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على كلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ ضَرورةُ أداءِ الشَّهادةِ على وَجْهِها .

ب ـ العَدْلُ معَ العدوِّ والصَّديقِ .

ج ـ مكائدُ الأعداءِ مُتعدِّدةٌ .

٣- بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ مَصيرَ كُلٍّ مِنَ المؤمنينَ والكافِرينَ ، اذْكُرْ ما يدلُّ على ذلكَ .

٤- الشّهادةُ بالقِسْطِ وتحرّي العَدْلَ هي الدّعامةُ الأولى لسعادةِ الأُمَمِ وبناءِ المُجْتَمعاتِ . وَضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

- اكتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ النِّساءِ الّتي تأْمُرُ بأداءِ الأمانةِ ، والعَدْلِ في الحُكْمِ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ
إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ
وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ
وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ
وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ميثاقَ	: عهْداً مَوْثوقاً ومُؤَكَّداً .
نَقيباً	: النُقَباءُ : العُرَفاءُ الَّذينَ يَتولَّوْنَ أَمْرَ قَبائِلِهِمْ وَمَنْ كانَ تَحْتَ يَدِهِمْ
إِنِّي مَعَكُمْ	: حافِظُكُمْ وناصِرُكُمْ وراعيكُمْ .
عزَّرْتُموهُمْ	: نصرْتُموهُمْ وأعنتُموهُمْ .
قاسيةً	: صُلْبَةً مُتَحَجِّرَةً لا تَسْتقبلُ الحقَّ .
يُحرِّفونَ الكَلِمَ عنْ مواضعِهِ	: يُبْعِدونَ كلامَ اللهِ تَعالى عمّا جاءَ لأجلِهِ ، ويَضعونَهُ في غيرِ مَوْضِعِهِ .
حظّاً	: نصيباً .
خائنةٍ	: مصدرٌ على وزنِ الفاعلِ ، يُقصَدُ بِهِ الخيانةُ وعدمُ الوفاءِ .



بعدَ النِّداءاتِ الخمسةِ الّتي وُجِّهَتْ إلى المُؤْمنينَ في هذهِ السّورةِ الكريمةِ ، شَرَعَتِ السّورةُ في الحديثِ عَنْ أحوالِ أهْلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ ، فذكرَتْ ما أخذَهُ اللهُ تعالى عليهِم منْ عُهودٍ ومواثيقَ ، ومَوْقِفَهُمْ مِنْ هذهِ العهودِ ، وعُقوبَتَهُمْ على نَقْضِهِمْ لَها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

ولقد أخذَ اللهُ تَعالى العُهودَ المُوَثَّقةَ المؤكَّدَةَ على بني إسْرائيلَ لكَيْ يَعملوا بما كلَّفَهمْ بهِ مِنَ التّكاليفِ ، وأمَرَ نبيَّهُ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أن يختار منهُمْ اثني عَشَرَ نَقيباً ، مِنْ كلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْباطِهِمْ يَتوَلّى أَمْرَهُمْ ويُمثِّلُهُمْ وَيَنوبُ عنهُمْ . والظّاهرُ أنّ عَمَلَ النُّقباءِ كانَ لأمْرَيْنِ :

الأوّلُ : أرسلَهُمْ موسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ إلى الأرضِ المُقَدّسةِ لِكَيْ يَطَّلِعوا على أحوالِ ساكِنيها ، ثمَّ يُخبروا موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، بعدَ ذلك بما شاهدوهُ مِنْ أحوالِهِمْ .

الثّاني : أنَّ نبيَّ اللهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أقامَهُمْ لِتنفيذِ العَهْدِ المُؤَكَّدِ معَ اللهِ تَعالى .

ثمّ إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتعالى وعدَهُمْ وَعْداً مُؤكَّداً بأنْ يكونَ مَعَهُمْ بالعَوْنِ والنَّصرِ إنْ أدّوا الصَّلاةَ على وَجْهِها ، وآتوا الزَّكاةَ المَفروضةَ عَليهِمْ ، وصَدَّقوا برُسلِهِ جميعاً ونَصروهُمْ ، وأنفَقوا في سبيلِ الخَيْرِ ، فإنْ فَعلوا ذلكَ تجاوزَ اللهُ تَعالى عنْ ذُنوبِهِمْ وأدخلَهُمْ جَنّاتِه الّتي تَجْري مِنْ تحتِها الأنهارُ ، ومَنْ كفرَ ونقضَ العَهْدَ منهُم بعدَ ذلكَ ، فقدْ حادَ عنِ الطَّريقِ السَّويِّ المُستقيمِ ، وسارَ في متاهاتِ الضَّلالِ الّتي لا هدايةَ فيها ولا خيرَ معَها .

وهكذا بيَّنتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ أنَّ اللهَ تَعالى قدْ أخذ الميثاقَ على بني إسْرائيلَ بأنْ يَقوموا بالتَّكاليفِ الّتي كلَّفَهُمْ بها ، وحذَّرَهُمْ مِنَ النَّقضِ والخيانَةِ والكُفْرِ ، وَرَغَّبَهُمْ في الطّاعةِ والإيمانِ ، ولكنْ كانَ موقفُ هؤلاءِ سلبيّاً ، إذْ غيّروا وبدّلوا وحرَّفوا وانْحرفوا عَنِ الجادَّةِ .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾ .

اشتملتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ على بيانِ فسادِ اليهودِ وقَبائِحِهِمْ ، وبيانِ الجزاءِ الّذي جعلهُ اللهُ تعالى عَليهِمْ ، فقدْ أخبرَ اللهُ تعالى عنهُمْ بما يلي :

أولاً : نَقَضوا ميثاقَهُمْ معَ اللهِ تَعالى ، وهذا هوَ ديدنُ كَثيرٍ مِنْ بني إسرائيلَ معَ اللهِ تَعالى ومَعَ أنبيائِه ومعَ أوليائِه ، وتَأكَّدَ هَذا بَعْدَ نَسْخِ شَريعَتِهِمْ بالقُرآنِ ورَفْضِهِمُ اتِّباعَ الرَّسولِ ﷺ .

ثانياً : تحريفُهُمْ لكلامِ اللهِ تَعالى ، فقد بلغتْ بهِمُ الجُرْأةُ لِقَسْوةِ قُلوبِهِمْ وعدمِ تأثُّرِها بوعيدِ اللهِ تَعالى أَنَّهم يُحرِّفونَ كلامَ اللهِ سُبْحانَهُ ويُبعِدونَه عنِ الهَدَفِ الّذي نزلَ فيهِ ولأجْلِهِ ، عنْ طريقِ التّأويلِ الفاسِدِ أو التفْسيرِ الباطلِ أو التَّبديلِ للألفاظِ بالزِّيادةِ أو النّقصانِ ، على حَسَبِ ما تُمليهِ عليْهِمْ أهواؤُهُمْ وشَهَواتُهُمْ المَمْقوتَةُ . فكانَ جَزاؤُهمُ الحِرْمانَ والطّرْدَ مِنْ رحمةِ اللهِ .

ثالثاً : نِسيانُهُمْ كثيراً منْ أوامرِ شَريعَتِهِمْ . أيْ أنَّهمْ تَركوا جانِباً ممّا أمَرَتْهُمْ بهِ شريعتُهُمْ ، ومِنْ ذَلِكَ ما أوْجَبَ عَليْهِمْ مِنَ الإيمانِ بمحمّدٍ ﷺ عندَ ظُهورِه وبعثتِه .

رابعاً : خيانَتُهُم المُستمرَّةُ ، وهذا ما توارثَهُ اليهودُ الّذينَ كانوا في عَهْدِ النَّبي ﷺ منْ آبائِهم ، فقدْ رأَى النَّبيُّ ﷺ في مُعاصِريهِ منهُم صورةَ السّابقينَ منهُم في الغَدْرِ والخِيانَةِ .

وبسببِ هذه المعاصي والآثامِ عاقبَهم اللهُ تَعالى بعقوبَتيْنِ هُما :

أولاً : طرَدَهُمُ اللهُ تَعالى منْ رحمتِهِ ومنْ فضلِهِ ، فهُم المَلعونونَ على لسانِ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ .

ثانياً : جعلَ اللهُ تَعالى قلوبَهُمْ قاسيةً لا تَلينُ للحقِّ ، ولا ترغبُ فيه .

غيرَ أنَّ اللهَ تَعالى وإنْ ذكَّرَ اليهودَ بهذِهِ المفاسدِ ، إلاّ أنَّه كانَ عادلاً معَهُمْ ، إذْ بيَّنَ لرسولِه ﷺ أنَّ قليلاً مِنَ اليهودِ لمْ يكونوا على مِنهاجِ أسلافِهِمْ في الغَدْرِ والخِيانةِ والفسادِ ، وهؤلاءِ هُمُ الّذينَ دَخَلوا في الإسلامِ ، واتَّبعوا النَّبيَ ﷺ .

وقد أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ ، بالعَفْوِ عنِ اليهودِ والصَّفْحِ عنهُمْ ، ومُسالَمتِهِمْ ومُساكَنَتِهِمْ ، ومجادَلَتِهِمْ بالّتي هِيَ أحسنُ ما داموا لمْ يَغْدُروا ، ولمْ يَنقُضوا عهودَهمْ .

هذا هو الشَّأْنُ في معاملةِ المُسْلمينَ ، غيرَ أنَّ اليهودَ إذا نَقَضوا عُهودَهُمْ ، وخانوا اللهَ تَعالى ورسولَهُ ﷺ والمؤمنينَ ، وأصبحَ العَفْوُ عنهُم فيهِ مضرَّةٌ بالمُسْلمينَ ، ففي هذهِ الحالةِ يجبُ مُعاملَتُهُمْ بالطَّريقةِ الّتي تقي المُسْلمينَ شُرورَهُم .

إنّ اللهَ تَعالى يقولُ لنبيّهِ ﷺ : اعفُ عَنْ هؤلاءِ اليهودِ الّذينَ ورِثوا الخيانَةَ عنْ آبائِهِمْ ، واصْفَحْ عن زَلاّتِهِمُ الّتي لا تُؤثِّرُ في سَيْرِ الدَّعوةِ الإسلاميةِ إلى الوقتِ المناسبِ لِمحاسَبَتِهِمْ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يُحبُّ المُحسنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ على مَنْ عاهَدَ اللهَ تَعالى أنْ يوفِيَ بعهدِهِ ولا يَنْقُضَهُ ، لأنَّ في ذلكَ النَّقضِ خيانةً للهِ ولِرسولِهِ ﷺ .

٢ـ بنو إسرائيلَ لم يُراعوا حقَّ اللهِ تَعالى فيما افترَضَهُ عليهِمْ ، فلا يَليقُ بالمسلمينَ أنْ يَفْعلوا ما فَعلوهُ .

٣ـ اليهودُ مَلعونونَ على لسانِ الأنبياءِ ـ عَليهِمُ السَّلامُ ـ لأنّهمُ اتَّصفوا بالغَدْرِ والخِيانةِ .

٤ـ قسوةُ القلوبِ دليلٌ على سيطرةِ المعصيةِ على النُّفوسِ ، وهيَ تمنعُ صاحبَها مِنَ استقبالِ الحقِّ وتمثُّلِهِ .

٥ـ تحريفُ كلامِ اللهِ تَعالى وتفسيرُهُ تَفْسيراً باطِلاً ، جريمةٌ تَستحقُّ عُقوبةَ اللهِ تَعالى .

٦ـ اليهودُ همُ اليهودُ لَمْ يتغيَّروا ، وعلى المسلمينَ أنْ يحذَروهُمْ ؛ لِئلاّ يَقعوا في مكائِدِهِمْ وشُرورِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ميثاقَ ، نَقيباً ، إنِّي معكُمْ ، عزَّرتُموهُمْ ، قاسيةً ، يُحرِّفونَ الكَلِمَ عنْ مواضعِهِ ، حظّاً ، خائنة .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ شروطَ معيَّةِ اللهِ تَعالى الّتي أعطاها لبني إسرائيلَ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ بيِّنِ الجزاءَ الّذي أعدَّه اللهُ تَعالى لِمَنْ يُحقِّقُ شرائطَ مَعيّتِهِ سُبْحانَهُ .

٤ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ أَرْبعَ جرائمَ منْ جرائمِ اليهودِ ، اذْكُرْ هذهِ الجرائمَ .

٥ـ ماذا رتَّبَ اللهُ تَعالى على تلكَ الجرائمِ الأربعِ ؟

٦ـ بَيّنتِ الآياتُ الكريمةُ توجيهاتِ للنّبي ﷺ ، اذْكُرْ هذهِ التوجيهاتِ ، وما دليلُها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ البقرةِ الّتي بمعنى الآيةِ (١٣) من هذهِ السّورَةِ .

٢ـ اكتبَ في دَفْتَرِكَ أسماءَ بعضِ مَنْ آمن مِنَ اليهودِ ، واتَّبَعوا رسولَ اللهِ ﷺ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ
فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ
يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الّذينَ قالوا إنّا نصارَى : الّذينَ ادَّعوا نُصْرَةَ اللهِ تَعالى **بقولِهم** : نحنُ أنصارُ اللهِ .

أغرَيْنا بَيْنَهُمُ العداوةَ : ألْقَينا وألْصَقْنا بهِمُ العداوةَ والبَغْضاءَ ، كما يُلْصَقُ الشَّيئانِ بالغِراءِ وجعلْناها دائمةً بينَهُم .

نورٌ : هو محمدٌ ﷺ ، الّذي أنارَ اللهُ تَعالى بهِ الأبصارَ والبصائِرَ .

سُبلَ السَّلامِ : طُرُقَ السَّلامةِ والنَّجاةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى جانباً مِنْ قبائحِ اليهودِ ، ونقضِهِمْ مواثيقَهُمْ ، أعْقَبَ ذلكَ ببيانِ حالِ النَّصارى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ .

وكما أَخَذْنا على بني إِسرائيلَ الميثاقَ بأنْ يَعْبُدوا اللهَ وحدَهُ ويُطيعوا أنبياءَهُ ، ويَسْتَجيبوا لِرَسولِ اللهِ ﷺ ، الّذي بشَّرتْ بهِ الكُتبُ السَّماويَّةُ ، فقدْ أَخَذْنا أيضاً مِنَ الّذينَ قالوا إنّا نصارى الميثاقَ بذلكَ ، ولكنَّهُمْ كانَ شأنُهمْ في الكُفرِ ونَقْضِ العُهودِ كشأنِ اليهودِ ؛ إذْ تركَ هؤلاءِ الّذينَ قالوا : إنّا نصارى ، قَدْراً كبيراً ونَصيباً عظيماً ممّا ذُكِّروا بهِ على لسانِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فقدْ أمرَهُمْ بتوحيدِ اللهِ تَعالى ، وَبَشَّرَهُمْ بظهورِ رسولٍ منْ بعدِهِ هو سيدُنا محمدٌ ﷺ ، ودعاهُمْ إلى الإيمانِ ، ولكنَّهُمْ استحبّوا الكُفْرَ على الإيمانِ ، فكانتْ عادتُهُمْ مثلَ عادةِ بني إسرائيلَ في العِنادِ والضَّلالِ .

ولقد حاسبَهُمُ اللهُ تَعالى في الدُّنيا جزاءَ ما صَنَعوا ، بأنْ جعلَ العداءَ مُسْتَحْكِماً بينَ أُممِ النَّصرانيَّةِ اسْتِحْكاماً شديداً ، بحيث صارَ العداءُ فيهِمْ وبينَ طوائِفِهِم ظاهرةً مميَّزةً ، بسَببِ ما خالَفوا أمْرَ اللهِ تَعالى ، ونَسُوا ما جاءَهُمْ بهِ أنبياؤُهُمْ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ .

ووقعَ في الآيةِ الكريمةِ التعبيرُ بقولِهِ تعالى : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نصارى﴾ ولَمْ يقلْ (ومِنَ النَّصارَى) إشارةً إلى أنَّ قولَهم : (إنّا نصارَى) هوَ مجرَّدُ قولٍ يقولونَهُ بأفواهِهِمْ دونَ أنْ يُتبعوهُ بقلوبِهِمْ وأعمالِهِمْ ، ولَوْ صَدّقَتْ قلوبُهُمْ ما قالَتْهُ ألسنتُهمْ ، لكانَ الحالُ غيرَ الحالِ ، ولذلكَ جاءَ التعبيرُ في الآيةِ الكريمةِ في غايةِ البلاغةِ . ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ .

لقدْ أَلْقَيْنا العداوةَ بينَ هذهِ الطّوائفِ الضّالّةِ ، وسوفَ يُخْبِرُهُمُ اللهُ تَعالى في الآخِرَةِ بما كانوا يصنعونَهُ في الدُّنيا مِنْ كِتمانِ الحقِّ ، ومُخالفتِهِمْ للرُّسلِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وانغماسِهِمْ في الباطِلِ ، وسَيُجازيهِمْ في الآخِرةِ على ضَلالاتِهِمْ وانحرافاتِهِمْ بما يَستحقّونَ مِنْ عذابٍ شديدٍ .

وبعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى بعضَ الرَّذائلِ الّتي انْغَمَسَ فيها النَّصارَى تَبَعاً لليهودِ ، وجَّه اللهُ تَعالى إلى أهلِ الكتابِ نداءً ، دعاهُم فيهِ إلى الدُّخولِ في الدِّينِ الحقِّ الّذي جاءَهُم مِنَ اللهِ تَعالى على يدِ سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ .

يا أَهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارَى ، قدْ جاءَكُمْ رسولُنا محمدٌ ﷺ يُظهِرُ لكُم كثيراً مِنَ الأحكامِ

والمسائلِ الّتي ذكرَتْها كُتُبُكُمْ وكَتمتُموها عنِ النّاسِ ، كإخفائِكُمْ صِفَةَ النّبيِّ ﷺ الّتي تجدونَها في التّوراةِ والإنجيلِ ، وكِتمانِكُمْ ما جاءَ فيهِما منْ بِشاراتٍ تُبَشِّرُ بهذا النَّبيِّ ﷺ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الأحكامِ الّتي أخفاها عُلماؤُكُمْ عنِ العامَّةِ ، وتولّى الرّسولُ ﷺ إعلانَها ، إظهاراً للحقِّ ، ووَضْعاً للأُمورِ في نِصابِها .

ومعَ إظهارِ النَّبيِّ ﷺ ، لكثيرٍ ممّا كَتموهُ وأَخْفَوْهُ ، إلاّ أنَّهُ ﷺ يُعْرِضُ عَنْ كثيرٍ آخرَ ممّا كانوا يُخفونَهُ فلا يُظهِرُهُ ، لأنَّهُ لا ضَرورةَ تدعو إلى بيانِهِ ، ولا فائدةَ تعودُ على النّاسِ مِنْ إظهارِهِ ، ففي السُّكوتِ عنهُ رحمةٌ بِكُمْ ، وصيانةٌ لكُمْ عنِ المُؤاخذةِ والافْتِضاحِ .

هذا الرّسولُ الكريمُ هوَ نورٌ أنارَ اللهُ تَعالى بهِ الكونَ ، وأظهرَ بهِ الإسلامَ ، ومَحَقَ بهِ الشِّرْكَ والكُفْرَ ، ومعهُ كتابٌ فيهِ بيانُ عقيدةِ التَّوحيدِ ، والحلالِ والحرامِ ، وسائرِ شرائعِ اللهِ تَعالى الّتي أرادَها سُبْحانَهُ لعبادِهِ ، وفيهِ بيانٌ لاختلافِ أُممِ أَهْلِ الكتابِ .

﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ .

قدْ جاءَكُمْ يا معشرَ أهلِ الكتابِ نورٌ منَ اللهِ تَعالى هوَ رسولُهُ محمَّدٌ ﷺ ، ومعَهُ كتابٌ واضحٌ لهدايةِ مَنْ عَلِمَ اللهُ تَعالى منهُ أنَّهُ يريدُ اتِّباعَ ما يُرضيهِ بأنْ يُخْلِصَ لهُ العبادةَ ، ويستجيبَ للحقِّ الّذي أَرسلَ بهِ أنبياءَهُ ، فإنَّهُ متى كانَ الأمرُ كذلكَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يوصِلُ صاحبَ هذهِ الحالِ إلى طُرقِ السّلامةِ والنَّجاةِ مِنْ كلِّ خوفٍ وشقاءٍ ، بأنْ يُثَبِّتَهُ على طريقِ الحقِّ في الدُّنيا ، ويُكرمَهُ بمثوبتِهِ وجَنّتِهِ في الآخرةِ .

وهذه ثمرةٌ مِنْ ثمارِ جهادِ النَّبيِّ ﷺ المباركةِ ، وأمّا الثّمرةُ الثانيةُ : فهيَ إخراجُهُمْ مِنْ ظُلُماتِ الكُفْرِ إلى نورِ الهدايةِ والحقِّ والإيمانِ ، وأمّا الثمرةُ الثالثةُ : فهيَ هدايتُهُمْ إلى الطَّريقِ المستقيمِ الّذي لا اعْوِجاجَ فيهِ ولا اضْطِرابَ ، وهو طريقُ الإسلامِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ شمولُ ميثاقِ اللهِ تَعالى لليهودِ والنَّصارَى على حدٍّ سواءٍ .

٢ـ العداءُ مُستحكِمٌ بينَ طوائفِ النَّصرانيَّةِ بسببِ بُعدِهِمْ عنْ منهجِ اللهِ تَعالى واتِّباعِهِمْ لليهودِ .

٣ـ تحذيرُ مَنْ خالفَ أمْرَ اللهِ تَعالى مِنْ عقابِهِ سُبْحانَهُ .

٤ـ بعثةُ رسولِنا محمَّدٍ ﷺ إلى النّاسِ أجمعينَ لِيُخرِجهُمْ من الظُّلماتِ إلى النّورِ .

٥ـ تسامحُ النّبيِّ الكريمِ ﷺ معَ أهلِ الكتابِ وغيرِهِمْ ، صفةٌ اتّصفَ بها ﷺ .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الّذينَ قالوا إنّا نَصارى ، جاءَكُم منَ اللهِ نورٌ ، أغرَيْنا بينَهُم العداوةَ ، سُبلَ السَّلامِ .

٢ـ هاتِ الدليلَ على كلٍّ ممّا يلي :

أـ ميثاقُ اللهِ تعالى شملَ أَهْلَ الكتابِ جميعاً .

ب ـ استحكامُ العَداءِ بينَ طوائفِ أهلِ النّصارى .

ج ـ تسامحُ النَّبيِ ﷺ معَ أهلِ الكتابِ .

٣ـ بعثُ النَّبيِّ ﷺ كانَ له ثمراتٌ عِدّةٌ ، ذكرتِ الآياتُ ثلاثاً منْها ، اذْكُرْ هذهِ الثَّمراتِ مُرتَّبَةً كما جاءَتْ في الآياتِ .

٤ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْترِكَ آياتِ سورةِ الصَّفِّ الّتي تتحدّثُ عن بشارةِ المسيحِ عليهِ السلامُ بسيّدنا محمد ﷺ .

٢ـ اكتبْ في دَفْترِكَ أسماءَ أربعٍ من الطّوائفِ النّصرانيّةِ .

٣ـ اكتبْ في دَفْترِكَ ما قالَهُ رِبْعِيٌّ بنْ عامرٍ لِملكِ الفُرْسِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورَةُ المائِدَةِ - القِسْمُ السّابِعُ

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ
مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فترةٍ مِنَ الرُّسُلِ : انقطاعِ الوَحْيِ والرُّسُلِ .

يَمْلِكُ : يَدْفَعُ ويَمنعُ .

يُهْلِكَ : يُميتَ ويُعْدِمَ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أرشَدَ اللهُ تَعالى أهلَ الكتابِ إلى الطَّريقِ القويمِ الّذي يجبُ عليهِمْ أنْ يسلُكوهُ ، أعقَبَ ذلكَ ببيانِ ما عليهِ النَّصارَى مِنْ ضلالٍ وانحرافٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

فهذه الآيةُ الكريمةُ تَحْكي أقوالَ النَّصارى الباطِلةَ في شأنِ عيسى عليهِ السَّلامُ ، وتردُّ عليهِم بما يُزهِقُ باطلَهُمْ ويُثبتُ أنَّ عيسى ـ عليه السَّلامُ ـ إنَّما هوَ عبدٌ منْ عبادِ اللهِ ، وأنَّ العبادةَ إنَّما تكونُ للهِ وحدَهُ .

لقدْ كفرَ أُولئكَ النَّصارى الّذينَ قالوا كذباً وزوراً : إنّ اللهَ تَعالى المُستحِقُّ للعبادةِ والخُضوعِ هوَ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ عليهِ السَّلامُ ، تَعالى اللهُ عنْ ذلكَ علوّاً كبيراً .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عليهِمْ قولَتَهُمُ المُنكَرَةَ ، وأنْ يقولَ لَهمْ : أيُّها النَّصارى الّذينَ قالوا ذلكَ القَوْلَ الباطِلَ ، مَنِ الّذي يَملِكُ منْ أمْرِ اللهِ تَعالى وإرادتِه شيئاً يدفعُ بِهِ الهلاكَ عنِ المسيحِ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وعنْ أُمِّه عَليْها السَّلامُ وعنْ سائِرِ أهلِ الأرضِ إنْ أرادَ اللهُ تَعالى أنْ يُهلِكَهُمْ ويُبيدَهُمْ ؟ . لا شكَّ في أنَّ أحداً لنْ يستطيعَ أنْ يمنعَ اللهَ تَعالى لأنَّهُ سُبْحانَهُ هوُ المالكُ لأمْرِ الوُجودِ كُلِّهِ ، ولا يملكُ أحدٌ منْ أمْرِه شيئاً يستطيعُ بهِ أنْ يَصْرِفَهُ عنْ عملٍ يُريدُهُ ، أوْ يحملَهُ سُبْحانَهُ على أمْرٍ لا يُريدُهُ ، أو يَستقلَّ بعَمَلٍ دونَهُ . وما دامَ الأمرُ كذلكَ ، فدعوى أنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ هو المسيحُ ابنُ مريمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ دعوى مُنْكَرَةٌ ، وظاهِرةُ البُطلانِ ، لأنّ المسيحَ وأُمَّهُ ـ عليهما السَّلامُ ـ من مخلوقاتِ اللهِ تَعالى القابلَةِ لأنْ تهلِكَ وتَفْنى ، وحاشا لِلْمَخْلوقِ أنْ يكونَ إلهاً ، وإنَّما الأُلوهيَّةُ للهِ تَعالى الخالقِ الباقي : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فاللهُ وحدَه مالِكُ المُلْكِ ، لهُ ما في السماواتِ والأرضِ وما بينَهُما وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

والنَّصارَى اليومَ تَبَعاً لِمَنْ سبقَهم منْ أهلِ مِلَّتِهِمْ ـ الّذينَ كانوا وما زالوا يُغيِّرونَ ويبدِّلونَ ـ يُصرِّحونَ بأنَّ الأقانيمَ ثلاثةٌ ، وأنَّها شيءٌ واحدٌ ، ويَنتهونَ إلى أنَّ المسيحَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هوَ اللهُ تَعالى ، واللهُ هوَ روحُ القُدُسِ!! تَعالى اللهُ عمّا يقولونَ عُلوّاً كبيراً .

ثمَّ ذكَر اللهُ تَعالى بعضَ دعاوى أهلِ الكتابِ الباطلةِ ، وأَمَرَ نبيَّهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عَليْهِمْ بما يُخْرِسُ ألسنَتَهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

لَقَدْ زعَمتْ طائفةُ اليهودِ أنَّها شعبُ اللهِ المختارُ ، وزعَمتْ طائفةُ النَّصارى أنَّها على الحقِّ

وحدَها ، فقالتْ كلُّ طائفةٍ : نحنُ في القُرْبِ منَ اللهِ تعالى بمنزلةِ الأبناءِ المُدلَّلينَ والأحبّاءِ المُختارينَ ، فلنا منَ الفضلِ والمنزلةِ والتّكريمِ ما ليسَ لغيرِنا منَ البَشرِ .

والّذي حملَهُمْ على هذا القولِ الفاسدِ جَهْلُهم بما اشتملَتْ عليهِ كتبُهُمْ ، وتخبُّطُهُمْ في الكُفْرِ والضّلالِ ، وفهمُهُمُ السّقيمُ لِمَعاني الألفاظِ .

وقدْ أمرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ ، أنْ يردَّ عليهِمْ بما يَكْبتُهُمْ قائِلاً : ليسَ الأمرُ كما زعمتُمْ يا معشرَ اليَهودِ والنّصارى منْ أنّكمْ أبناءُ اللهِ تَعالى ، وإنْ بقيتُم على كُفْرِكُم وغُرورِكُم حقَّ عليكُمُ العقابُ ، وليسَ لأحدٍ فضلٌ على أحدٍ إلاّ بالإيمانِ والعملِ الصّالحِ .

واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يَغفِرُ لمنْ يشاءُ منْ خَلْقِهِ ، وهمُ المُؤْمنونَ بهِ وبرُسلِهِ ـ عليهِمُ السّلامُ ـ وهوَ سُبْحانَهُ وتَعالى يُعذِّبُ مَنْ يشاءُ منهُمْ ، وهمُ المُنحرِفونَ عنْ طريقِ الحقِّ والهُدى ، ولا رادَّ لقضائِهِ سُبْحانَهُ ولا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ ، فلَهُ وحدَهُ مُلْكُ جميعِ الموجوداتِ ، وهوَ صاحبُ التَّصرُّفِ المُطلقِ فيها ، إيجاداً وإعداماً ، وإحياءً وإماتةً ، وإليهِ وحدَهُ مصيرُ الخَلْقِ يومَ القيامةِ ، فيُجازيهِمْ على ما عمِلوا منْ خيرٍ أوْ شَرٍّ .

ويُبيِّنُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى فسادَ أقوالِ أهلِ الكتابِ ، وبُطلانَ عقائِدِهِمْ ، ويردُّ عليهِم بما لا يدَعُ مجالاً لعاقلٍ أنْ يتمسَّكَ بهِ منْ تلكَ الضّلالاتِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾ .

ويُوجِّهُ اللهُ نداءً آخرَ إلى أهلِ الكتابِ ، فيهِ موعظةٌ لهمْ ، وفيهِ تَحريضٌ لَهُمْ على اتّباعِ الحقِّ ، فيقولُ لَهُمْ : يا أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنّصارى ، يا مَنْ أنزلَ اللهُ تَعالى الكُتُبَ السَّماويَّةَ على أنبيائِكُمْ لهدايتِكُمْ وسعادتِكُمْ ، ها هوَ ذا رسولُنا محمّدٌ ﷺ قدْ جاءَكمْ يُبيِّنُ لكُمْ شرائعَ الدّينِ والطّريقَ الحقَّ الّذي يوصِلُكُمْ إلى السّعادةِ الدِّينيّةِ والدُّنيويّةِ ، وذلكَ بعدَ انقطاعِ الرّسلِ ، وضلالٍ في العقائدِ ، وفسادٍ في الأفكارِ والمُعاملاتِ ، حتّى لا تعتذروا عنْ كُفْرِكُمْ بأنَّ اللهَ تَعالى لمْ يَبْعثْ إليكُمْ مُبشِّراً ولا مُنذِراً ، فها هو ذا قدْ أتاكُمْ بشيرٌ ونذيرٌ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ هوَ القادرُ على كلِّ أمْرٍ ، ومنهُ إنزالُ الرّسالاتِ وبَعْثُ الرُّسُلِ ، ومُحاسَبتُكُمْ على ما كان منكُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُفْرُ الّذينَ قالوا إنّ اللهَ تَعالى هوَ المسيحُ ابنُ مريمَ .

٢ـ تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عنْ أنْ يكونَ لهُ ولدٌ أو شريكٌ .

٣ـ حبُّ اللهِ تَعالى ليس مجرّدَ دعاوى يدّعيها الإنسانُ ، بل لابُدَّ مِنْ العَمَلِ بما جاءَ عنِ اللهِ تَعالى .

٤ـ الرَّسولُ ﷺ مُرْسَلٌ للنّاسِ جميعا ومنْ ضمنِهِمُ اليهودُ والنّصارى .

٥ـ الرُّسلُ والأنبياءُ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ حُجَّةُ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بيِّنْ سببَ كُفْرِ النَّصارى .

٢ـ ما الدّعوى الّتي ادّعاها اليهودُ والنّصارى ؟ وكيفَ رَدّها اللهُ تَعالى عليْهِمْ ؟

٣ـ كيفَ يكونُ الإنسانُ مُحِباً للهِ تَعالى ؟

٤ـ ما معنى : فترةٍ مِنَ الرُّسلِ ؟

٥ـ ما الدّليلُ على أنَّ سيّدَنا محمداً ﷺ مَبْعوثٌ لأهلِ الكتابِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ مريمَ ، الّتي يُبيّنُ اللهُ فيها ما قالهُ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ للنّاسِ وهو في المَهْدِ .

٢ـ استعنْ بالمُعجمِ المُفهرسِ لألفاظِ القرآنِ الكريمِ ، لاسْتخراجِ آيةٍ قُرآنيةٍ صريحةٍ في نَفي أنْ يتّخذَ اللهُ تَعالى ولَداً .

٣ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً نبويّاً شَريفاً ، يدلُّ على أنَّ الرَّسولَ بُعِثَ للنّاسِ ومنهمُ اليهودُ والنّصارى .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ
فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الأرْضَ المقدَّسةَ	:	بيتَ المَقدسِ وما حولَهُ .
ولا ترتدّوا على أدبارِكُمْ	:	لا تتقَهقروا مُنهزِمينَ .
يَتيهونَ في الأرضِ	:	يَضِلّونَ فيها ولا يهتدونَ .
فلا تأْسَ	:	فلا تحزَنْ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى قبائحَ أهلِ الكتابِ ، وأمَرَهُمْ بالاسْتِجابةِ لِرسولِ اللهِ ﷺ ذكرَ جانباً ممّا حَدَثَ بينَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ بني إسرائيلَ . قالَ اللهُ تَعالى قاصّاً علينا هذه القِصَّةَ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

اذْكُرْ يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ اليهودِ المُعاصِرينَ لكَ قولَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ لآبائِهِمْ على سبيلِ النُّصْحِ والإرشادِ : يا قومِ تذكَّروا إنعامَ اللهِ عليكُمْ بالشُّكرِ والطَّاعةِ .

وقد ذَكَرَ اللهُ تَعالى لنبيِّه منْ قولِ موسى عليهِ السَّلامُ ، أنَّ بني إسرائيلَ قدْ حصلَ لهُم ثلاثٌ مِنَ النِّعمِ العظيمَةِ وهيَ :

الأولى : جعلَ كثيراً مِنَ الأنبياءِ فيهم ، مثلِ : موسى ، وهارونَ وزكريّا ويحيى وعيسى وداودَ وسليمانَ وغيرِهِمْ ـ عليهِمْ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ ـ وجعلَ مِنَ هؤلاءِ الأنبياءِ مُلوكاً ، سخَّرَ لهُم ما لَمْ يكُنْ لغيرِهِمْ .

الثّانيةُ : أنّ اللهَ تَعالى جعلَهُمْ أحراراً يَمْلكونَ أمْرَ أنفُسهمْ ، بعدَ أنْ كانوا عبيداً لِفرعونَ وقومِهِ ، وجعلَهُمْ يَملِكونَ المساكنَ والخدمَ والحَشَمَ بعدَ أنْ لمْ يكُنْ لهُم شيءٌ من ذلكَ .

الثّالثةُ : أنَّ اللهَ تَعالى آتاهُمْ منْ ألوانِ الإكرامِ والعطايا ما لَمْ يُؤْتِهِ أحداً مِنَ العالَمينَ في زمانِهِمْ ، فقدْ فَلَقَ لهُمُ البحرَ فَساروا في طريقٍ يابسٍ حتّى نَجَوْا ، وغرقَ فِرعونُ وقومُهُ ، وأنزلَ عليهِمُ المَنَّ والسَّلوى ليأكُلوا مِنَ الطّيباتِ ، وفجَّرَ لهمْ مِنَ الحَجَرِ اثنتَيْ عَشْرَةَ عيناً ، حتَّى يعلمَ كلُّ أناسٍ مَشربَهُم ، إلى غيرِ ذلكَ منْ ألوانِ النِّعمِ التّي أكرمَهُمُ اللهُ تَعالى بها ، ولكنَّهمْ لا يشكُرونَ .

وبعدَ أنْ ذكَّرهُمْ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ بهذهِ النِّعمِ طلبَ مِنْهُمْ أنْ يدخُلوا الأرضَ المقدَّسةَ ، فقالَ لَهُمْ :

﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

امضوا أيُّها القومُ لأمْرِ اللهِ تَعالى وسيروا خَلْفي لِقتالِ الأعداءِ ، ودُخولِ الأرضِ المُقدَّسةِ الّتي أمرَكُمُ اللهُ تَعالى بدُخولِها ، ولا ترجعوا القَهْقرى مُنصَرِفينَ عنِ القتالِ خوفاً مِنْ أعدائِكُمْ ، ومُبتَعِدينَ عنْ طاعتي وأمري ، فإنَّ ذلكَ يؤدِّي بكُمْ إلى الخُسْرانِ في الدُّنيا والآخرةِ ، وإلى الحرمانِ مِنْ خيراتِ الأرضِ الّتي أوجبَ عليكُمْ دخولَها .

ومَعَ كَثْرَةِ تَرْغيبِ مُوسى وتَرْهيبِهِ لَهُمْ ، فإنَّ هِمَمَهُمْ بَقِيَتْ ساقِطةً ، وعَزائِمَهُمْ خائِرَةً ، ولَمْ تَتْرُكْهُمْ طَبيعَتُهُمُ المُنْتَكِسَةُ ، فقدْ قالوا لنبيِّهِمْ ـ عليهِ السَّلامُ ـ مُتَذرِّعينَ بالمَعاذيرِ الكاذبةِ :

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

قالَ بنو إسرائيلَ لنبيِّهِمْ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ : إنَّ الأرضَ الَّتي وعدتَنا بِدُخولِها ، فيها قومٌ

أقوياءُ جبابرةٌ يتغلّبونَ على كلِّ منْ يُقاتِلُهُمْ ، ولا قُدرةَ لنا على لقائِهِمْ ، وإنّا لنْ نَدْخُلَ هذهِ الأرضَ المُقدّسَةَ الّتي أمَرْتَنا بدخولِها ما دامَ هؤلاءِ الجبّارونَ مَوْجودينَ فيها ، فإنْ يَخرجوا مِنها لأيِّ سببٍ مِنَ الأسبابِ التي لا شأْنَ لنا بِها ، فنحنُ على استعدادٍ لِدُخولِها في راحةٍ ويُسْرٍ ، وبلا أدنى تعبٍ أو جُهدٍ .

ولا شكَّ في أنَّ قولَهم هذا يدلُّ على مُنتهى الجُبْنِ والضَّعْفِ ، لأنَّهمْ لا يُريدونَ أنْ ينالوا نَصْراً باستخدامِ حواسِّهِمُ البدنيّةِ أوِ العقليّةِ ، وإنَّما يُريدونَ أنْ ينالوا ما يَبغونَ بقوى الخوارقِ والآياتِ . وأُمّةٌ هذا شأنُها لا تَستحقُّ الحياةَ الكريمةَ ، لأنّها لم تُقدِّمِ العملَ الّذي يؤهِّلُها لتلكَ الحياةِ . وفي ندائِهِمْ لنبيِّهِمْ ـ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ـ باسمهِ مجرداً (يا موسى) دليلٌ على سوءِ أدبِهِمْ ووقاحتِهِمْ ، واستهانَتِهِمْ بمقامِ النُّبوّةِ .

ثمَّ بيّنَ القرآنُ الكريمُ أنَّ رَجُلينِ مُؤْمنيْنِ منْ بني إسرائيلَ قَدِ استنكروا إحجامَ قومِهِمْ عنِ الجهادِ ، وحَرّضاهُمْ على طاعةِ نبيِّهِمْ ، فقالَ اللهُ تَعالى مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

قالَ رجلانِ يَخْشَيانِ اللهَ تَعالى وقدْ أنعمَ اللهُ تَعالى عليهما بالإيمانِ والطّاعةِ : ادخلوا أيُّها القومُ على الجبّارينَ بابَ المدينةِ مفاجئينَ ، فإذا فعلتُمْ ذلكَ فإنّكمْ مُنتصِرونَ عليهِمْ ، وتوكّلوا على اللهِ تَعالى وحدَهُ في كلِّ أُمورِكُم إنْ كُنتمْ صادِقي الإيمانِ ، ذلكَ أنَّ النَّصْرَ يحتاجُ إلى تأييدٍ منَ اللهِ تَعالى لعبادِهِ ، وإلى توكُّلٍ عليهِ وحدَهُ ، وإلى عزيمةٍ صادقةٍ ومُباشَرةٍ للأسبابِ الّتي توصِلُ إليهِ .

وهذهِ النّصيحةُ الحكيمةُ مِن هذيْنِ الرّجلينِ المُؤْمِنيْنِ لم تُصادِفْ مِن بني إسرائيلَ قلوباً واعيةً ، ولا آذاناً صاغيةً بلْ قابلوها بالتّمرُّدِ والعِنادِ ، وكرّروا لِنبيِّهِمْ موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ نفيَهُمُ القاطعَ للإقدامِ على دخولِ الأرضِ المُقدّسةِ ما دامَ الجبّارونَ فيها ، فقالوا كما حكى اللهُ تَعالى عنهُم :

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

قالوا : لنْ نَدْخُلَها بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ ما دامَ الجبّارونَ يُسَيْطِرونَ عَلَيْها ، ويسكنونَ فيها . ثمَّ أضافوا إلى هذا القولِ الّذي يدلُّ على جُبْنِهِمْ وخَوَرِهِمْ سلاطةً في اللِّسانِ ، وسوءَ أدبٍ في التّعبيرِ ، وتطاولاً على نبيِّهِمْ ـ عليهِ السّلامُ ـ قائلينَ : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ .

إذا كانَ دُخولُ هذه الأرضِ يَهمُّكَ أمرُهُ فاذهبْ أنتَ وربُّكَ لقتالِ سُكّانِها الجبابرةِ وأخرجاهُم منْها . وهكذا يَزعمونَ أنَّ اللهَ تَعالى ليسَ ربّاً لهُمْ إنْ كانتْ ربوبيَّتُهُ تُكلِّفُهُمْ قتالَ سُكّانِ تلكَ الأرضِ .

ثمَّ قصَّتِ السّورةُ الكريمةُ علينا أنَّ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ رأى منْهُم ما رأى ، لَجأ إلى ربّهِ يَشْكوهُمْ إليهِ ، ويلتمسُ منهُ أنْ يُفرّقَ بينَهُ وبينَهُمْ ، فقالَ فيما حكَى القرآنُ الكريمُ عنهُ :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾

قال موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ باثّاً شَكْواهُ وحُزنَهُ إلى اللهِ تعالى ومُعتذراً إليهِ منْ فسوقِ قومِه ، وسَفاهتِهم وجُبْنِهِمْ : ربِّ إنَّكَ تعلمُ أنّي لا أملكُ لِنُصْرَةِ دينِكَ أمْرَ أحدٍ أُلزِمُهُ بطاعتِكَ سوى أمْرِ نَفْسي وأمْرِ أخي هارونَ ، ولا ثقةَ لي في غيرِنا أنْ يطيعَكَ في العُسْرِ واليُسْرِ ، والمَنْشطِ والمَكْرَهِ ، أمّا قومي فقدْ خرجوا عنْ طاعتي ، وفسَقوا عنِ أمرِكَ ، وما دامَ هذا شأْنَهُمْ فافْصِلِ اللّهُمَّ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ بقضائِكَ العادلِ . وقَدْ أجابَ اللهُ تعالى دعاءَ نبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بأنْ أضلَّهُمْ ظاهراً كما ضَلّوا باطناً ، وجاءَ الحُكْمُ الفاصِلُ منَ اللهِ تَعالى بقولِهِ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾ .

قالَ اللهُ لِنبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُجيباً دعواهُ : يا موسى ، إنَّ الأرضَ المُقدَّسَةَ مُحرَّمةٌ على هؤلاءِ الجُبناءِ العُصاةِ مُدّةَ أربعينَ سنةً ، يسيرونَ خلالَها في الصَّحراءِ تائِهينَ حَيارى لا يستقيمُ لهُمْ أمرٌ ، ولا يستقرُّ لهم قرارٌ ، فلا تحزَنْ عليهِمْ بسببِ هذهِ العُقوبةِ ، فإنّا ما عاقبناهُمْ بها إلاّ بِسَببِ خُروجِهِمْ عنْ طاعتِنا وتمرُّدِهمْ على أوامِرنا ، وجُبْنِهِمْ عنْ قتالِ أعدائِنا ، وسوءِ أدبِهِمْ معَ أنبيائِنا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ ـ بيانُ فَضْلِ اللهِ تَعالى ونعَمِهُ على بني إسرائيلَ ، ومِنْ هذهِ النِّعمِ كثرةُ أَنْبيائِهِمْ .

٢ ـ أنعَمَ اللهُ تَعالى على بني إسرائيلَ بسببِ إيمانِهم ، فلمّا تكبَّروا وتجبَّروا سُلِبَتْ عنهُمُ النِّعَمُ وغَشِيَتْهُمُ الغَواشي .

٣ ـ إنَّ بني إسرائيلَ كانوا سيِّئي الأدبِ معَ اللهِ تَعالى ومعَ أنبيائِهِمْ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ .

٤ ـ كانَ نبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مثالَ الدّاعيةِ القُدوةِ .

٥ ـ ضرورةُ تَذَكُّرِ مَجْدِ الآباءِ لِغَرْسِ الشّعورِ بالعِزَّةِ .

٦ ـ الرَّجُلانِ اللّذانِ أمَرا بَني إسْرائيلَ بدُخولِ القَرْيَةِ ، فإنْ دَخَلوها فإنَّهُمْ غالِبونَ هُما موسى وهارونَ ، لِقولِ موسى بَعْدَ ذلِكَ لِرَبِّهِ : إنّي لا أمْلكُ إلاّ نَفْسي وأَخي .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الأرضَ المُقدَّسةَ ، ولا ترتدّوا على أدبارِكُم ، يَتيهونَ في الأرضِ ، فلا تأْسَ .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ نِعَمَ اللهِ تَعالى على بني إسرائيلَ ، بيّنْ هذهِ النِّعَمَ .

٣ـ لماذا رفضَ بنو إسرائيلَ دخولَ الأرضِ المُقدَّسةِ ؟

٤ـ ماذا كانَ جوابُ الرّجلينِ المُؤْمِنَيْنِ على ما قالَهُ قومُهُمْ ؟

٥ـ بيّنَتْ هذهِ الآياتُ طبائعَ بني إسرائيلَ المُختلِفَةَ ، حدّدْ أربعاً منْ هذهِ الطّبائعِ ، واذكرِ الدّليلَ عليْها مِنَ الآياتِ الكَريمةِ .

اقرأْ وتدبّرْ :

قالَ تَعالى : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ عبارةُ : « كتبَ اللهُ لكُم » ، معناها أَحَدُ أمْرَيْنِ :

الأوّلُ : أمرَكُمْ بِدُخولِها وفَرَضَه عليكُم كما فرضَ عليكُمُ الصّلاةَ .

الثّاني : قدَّرَها لكمُ وقضى أنْ تكونَ مساكنَ لكُم دونَ الجبابرَةِ ، بشرطِ توفُّرِ الإيمانِ ، وطاعةِ الأنبياءِ ، والجهادِ في سبيلِ الحقِّ .

والحاصِلُ أنَّ الكتابةَ إمّا أنْ تكونَ تكليفيّةً بمعنى : فرضَ عليكُم أنْ تَدْخلوها مُجاهِدينَ مُطيعينَ أنبياءَكُمْ ، أوْ قدريّةً بمعنى : قدّر لكُم ذلكَ متى آمنتُمْ وأطعتُمُ ، واللهُ تَعالى أعلَمُ .

نَشاطٌ :

ـ قارنْ بين مَوْقفِ اليهودِ الواردِ في الآيةِ (٢٢) مِنْ هذهِ السّورةِ ، وموقفِ المُسلِمينَ يومَ بدرٍ ، واكْتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ
قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ
يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ
يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قُرباناً	اسمٌ لما يُتقرَّبُ بِهِ إلى اللهِ تَعالى منْ صَدَقةٍ أوْ نُسُكٍ .
بَسطْتَ إليَّ يدَكَ	مَددْتَها لِقتلي ظُلْماً وعُدواناً .
تَبوْءَ بإثمي	ترجعَ حاملاً وِزْري .
طوَّعتْ لهُ نفسُهُ	سهَّلَتْ لهُ نفسُه وزيَّنتْ لهُ وشجَّعتْهُ .
يبحثُ في الأرضِ	يحفرُها بمنقاره .
سَوْءَةَ أخيهِ	عَوْرَةَ أخيهِ ، والمُرادُ الجُثَّةُ .
يا وَيْلتى	يا هَلاكي .
أوارِيَ سَوْءَةَ أخي	أدفنَ جَسَدَهُ في التُّرابِ .



بعدَ أنْ قصَّ اللهُ تَعالى علينا مِنْ أحوالِ بني إسرائيلَ وعصيانِهِمْ لنبيِّهِمْ عليْهِ السَّلامُ أتبعَ ذلكَ بِذِكْرِ خبرِ ابنيْ آدمَ عليْهِ السَّلامُ . ويسوقُ اللهُ هذه القصَّةَ لِيُبيِّنَ طبائعَ النُّفوسِ الموروثةَ ، وما يفعُلهُ الحسَدُ ، الَّذي يقضي على أمْتنِ رابطةٍ وهي الأُخوَّةُ ، وكيفَ كانَ السَّببَ في أوّلِ قَتْلٍ وَقَعَ في الأرضِ ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾ .

اتلُ يا محمَّدُ على هؤلاءِ البُغاةِ الحَسَدةِ مِنَ اليهودِ ، وعلى النّاسِ جميعاً قراءةً مُقترِنةً بالحقِّ ذلكَ النبأَ العظيمَ ، نبأَ ابنيْ آدمَ ، وقتَ أنْ قرَّبا قُرْباناً للهِ ـ تَعالى ـ فتقبَّلَ اللهُ ـ عزَّ وجلّ ـ قربانَ أحدِهِما لِصدْقِه وإخْلاصِهِ ، ولَمْ يتقبّلْ مِنَ الآخرِ لِسوءِ نيَّتِهِ وعدمِ تقواهُ .

فحسدَ الّذي لم يُتَقبَّلْ منهُ أخاهُ ، وتوعَّدَهُ بالقتِلِ حِقْداً عليهِ ، فردَّ عليهِ أخوهُ مُبيِّناً أنَّ اللهَ تَعالى لا يقبلُ العملَ إلاّ مِمَّنْ كانَ تقيّاً مُخلِصاً .

ثمَّ انتقلَ الأخُ التقيُّ مِنْ وَعْظِ أخيهِ بتَطْهيرِ قلبهِ إلى تذكيرِهِ بحقوقِ الأُخوَّةِ ، وما تَقتضيهِ مِنْ برٍّ وتَسامُحٍ ، فقالَ كما حكَى لنا القرآنُ الكريمُ عنْه :

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ ﴾ .

لئنْ مَددْتَ يا أخي إليَّ يدَكَ لِتَقْتُلَني ظُلماً وحَسَداً ، فإنِّي لنْ أفعلَ ذلكَ معكَ ، وأُقابلَكَ بما تريدُه منّي ، إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ أنْ يراني باسطاً إليكَ يديَ لأقتُلَكَ .

وفي هذه الجملةِ يُرشِدُ الأخُ أخاهُ إلى خَشْيةِ اللهِ تَعالى على أتمِّ وجهٍ ، ويُبيِّنُ لَهُ بأنَّ القاتلَ لا يخافُ اللهَ تَعالى :

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ ﴾

إنِّي أريدُ بامْتِناعي عنِ التعرُّضِ لكَ ببسطِ يديَ أنْ ترجعَ إلى اللهِ تَعالى بإثمِ قَتْلِكَ إيّايَ ، وبإثمِكَ الّذي كانَ منْكَ قبلَ قَتْلي ، والّذي بِسَببهِ لم يَتقبلِ اللهُ تَعالى قُرْبانَكَ ، فتكونَ بسببِ هذينِ الإثمَيْنِ مِنْ أصحابِ النّارِ في الآخرةِ ، وهذا هوَ جزاءُ الظّالمينَ ، الّذينَ ظَلموا أنفسَهُمْ وظَلموا غيرَهُمْ .

وإلى هُنا نرى أنَّ الأخَ قدْ سَلَكَ في صَرْفِ أخيهِ عنْ جريمتهِ وسائلَ عدّةَ مِنَ الإرشاداتِ ، وهيَ على النّحوِ التّالي :

أولاً : أرشدَه إلى أنَّ اللهَ تَعالى لا يتقبّلُ الأعمالَ إلاّ مِنَ المتَّقينَ المْخلِصينَ .

ثانياً : أرشدَهُ إلى حقوقِ الأُخوَّةِ وما تقتضيهِ مِنْ محبَّةٍ وتسامُحٍ .

ثانياً : أرشدَه إلى أنَّ امتناعَهُ مِنْ قتلِه إنّما هوَ بسببِ خَوْفِه مِنَ اللهِ تَعالى .

رابعاً : أرشدَهُ إلى أنَّ ارتكابَهُ هذهِ الجريمةَ سيؤدِّي بهِ إلى النّارِ والعياذُ باللهِ .

خامساً : أرشدَه إلى أنَّ القاتلَ ظالمٌ .

ومعَ كلِّ هذهِ النصائحِ والإرشاداتِ الّتي تحولُ بينَ الإنسانِ وهذهِ الجريمةِ ، إلاّ أنَّ نفسَ ذلكَ الأخِ الظالِمِ سَهَّلَتْ لهُ أمرَ القَتْلِ ، فكانَ ما كانَ . قالَ تعالى :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

لَقَدْ سَهَّلَتْ لهُ نفسُهُ أنْ يخالفَ الفِطْرةَ ، وأنْ يَقْتُلَ أخاهُ ، فَقتلَهُ ، فصارَ في حكمِ اللهِ تَعالى مِنَ الخاسرينَ . وخسرانُهُ هذا في الدّنيا والآخرةِ ، أمّا في الدّنيا فلأنَّه قتل أخاهُ ، والأخُ سندٌ لأخيهِ وعَوْنٌ لهُ لما بينَهُمْ من رَحِمٍ ورابطةٍ قويَّةٍ ، وأمَّا في الآخرةِ فلأنَّهُ ارتكَبَ جريمةً مِنْ أكبرِ الجرائمِ وأشنَعِها ، وقدْ توَّعدَ اللهُ تَعالى مرتكبَها بالغَضَبِ واللّعنةِ والعذابِ العظيمِ .

وقدْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في هذا الخُصوصِ : « لا تُقْتَلُ نفسٌ ظُلْماً إلاّ كانَ على ابنِ آدمَ كِفْلٌ من دمِها ، لأنَّه أوّلُ منْ سَنَّ القَتلَ »[1] .

فأيُّ مصيرٍ أسوأُ مِنْ هذا المصيرِ ، الّذي فيهِ أنَّ هذا القاتلَ يُشارِكُ القاتِلينَ آثامَهُمْ يومَ القيامةِ ؟ نعوذُ باللهِ منْ هذهِ الجريمةِ النَّكراءِ .

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ قتلَهُ أصابَتْهُ حسرةٌ وحَيْرةٌ ، ولمْ يدرِ ما يصنعُ بجثَّتِه ، فأرسلَ اللهُ تَعالى غُراباً يَنْبُشُ تُرابَ الأرضِ ليدفنَ غُراباً ميّتاً ، حتّى يَعلمَ ذلكَ القاتلُ كيفَ يسترُ جُثَّةَ أخيهِ ، فلمّا رأى القاتلُ ذلكَ قالَ مُتحسِّراً على جريمتِهِ : يا ويلَتا! أَعَجَزْتُ أنْ أكونَ مثلَ هذا الغرابِ فأَسْتُرَ جُثّةَ أخي ؟ فصارَ مِنَ النَّادِمينَ على جريمتِه ومُخالفتِهِ دواعي فِطْرَتِهِ .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢١٣ حديث رقم (١٣٥٧) ورواه مسلم ٣/ ١٣٠٣ حديث رقم (١٦٧٧) .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يَقبلُ اللهُ تَعالى مِنَ العملِ إلاّ ما كانَ خالِصاً لِوَجهِهِ .

٢ـ الحَسَدُ مِنْ دواعي الشّرِ وإيقاعِ القَتْلِ بينَ النّاسِ .

٣ـ النفّسُ الأمّارةُ بالسّوءِ تقودُ صاحِبَها إلى أسْوأ مصيرٍ .

٤ـ قَدْ يَتعلَّمُ الإنْسانُ مِنَ الحيوانِ ما لا يَعْرِفُهُ ولا يَعْلَمُهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قربانا ، بَسطْتَ إليَّ يدَكَ ، تَبوءَ بإثمي ، طوَّعتْ لهُ نفسُهُ ، يبحثُ في الأرضِ ، كيف يواري سَوْءَة أخيه .

١ـ بيّنِ الفائدةَ منْ ذِكْرِ قَصَصِ الأوَّلِينَ .

٢ـ ما الدافعُ الّذي كانَ وراءَ هذهِ الجريمةِ الّتي حدّثتْنا عنها الآياتُ الكريمةُ ؟

٣ـ لقدْ كانَ الأخُ المقتولُ واعِظاً ومُرشِداً لأخيهِ ، بيِّنْ كيفَ كانَ ذلكَ .

٤ـ ماذا نستفيدُ منْ بَعْثِ الغرابِ ؟ ومِنْ بحثِهِ في التُّرابِ ؟

٥ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا ترشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

ـ بيِّنِ الفَرْقَ بينَ وَسْوسَةِ الشَّيطانِ وحديثِ النَّفْسِ ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ العاشِرُ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ
فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾
إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ
تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَحْياها : تسبَّبَ في إحيائِها ، وصيانَتِها منَ القَتْلِ .

مِنْ خلافٍ : يعني اليدَ اليمينَ معَ الرِّجْلِ اليُسْرى أو العكسَ .

يُنفَوْا مِنَ الأرضِ : يُطْرَدوا مِنْها .

خِزيٌ : ذلٌّ وفَضيحةٌ .

التَّفسيرُ :

بَعدَ هذهِ المَوْعظةِ مِنْ قصَّةِ ابنيْ آدمَ ، ذكَرَ اللهُ تَعالى مِنَ الشَّرائِعِ ما يَردعُ المُعتَدي عَنِ اعتدائِهِ ، ويُبشِّرُ المُتَّقي على تقواهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

من أجلِ ذلكَ الطُّغيانِ ، وحُبِّ الاعتداءِ في بَعضِ النُّفوسِ ، أوجبْنا على بني إسرائيلَ في التَّوراةِ ما يردعُ المُعتدي ويُبشِّرُ المتّقي . وخَصَّ بني إسرائيل بالذّكرِ هُنا ، لأنَّهُم أوّلُ أُمَّةٍ نزلَ عليهِمُ الوعيدُ في قَتْلِ الأنفُسِ مَكتوباً ، وكانَ قبلَ ذلكَ قولاً مُطلقاً ، ولأنَّهم أكثرُ النّاسِ سَفْكاً للدماءِ ، وقَتْلاً للمُصْلِحينَ ، وقدْ قَتَلوا كثيراً منَ الأنبياءِ ، ولأنَّ الحَسَدَ مِنْ أخصِّ الأسبابِ الّتي أدَّتْ إلى قتلِ ابنِ آدمَ لأخيهِ ، والحسَدُ رذيلةٌ معروفةٌ في بني إسرائيلَ .

والّذي كتبَهُ اللهُ تَعالى عَليهِمْ أنَّه مَنْ قَتَلَ نَفْساً ظُلماً وعُدواناً دونَ أنْ يَصدُرَ مِنَ المقتولِ ما يوجبُ قَتْلَهُ ، كالقتلِ والفسادِ في الأرضِ ، فكأنَّما قتلَ النّاس جميعاً ، لأنَّ الّذي يَقتلُ نَفْساً بغيرِ حقٍّ يكونُ قد استباحَ دماً مَصوناً قدْ حماهُ الإسلامُ بشرائِعهِ وأحكامِهِ ، ومَنِ استباحَ هذا الدَّمَ في نَفْسٍ واحدةٍ ، فكأنَّما قدِ استباحَهُ في نفوسِ النّاسِ جميعاً ، لأنَّ النّفسَ الواحدةَ تُمثّلُ النَّوعَ الإنسانيَّ كلَّهُ . ومَنْ أحياها فكأنَّما أحيا النّاس جميعاً ، لصيانتِهِ دماءَ البشرِ ، فيستحقُّ عظيمَ الثّوابِ من ربِّهِ ، وهَذا لَيْسَ خاصّاً ببَني إسْرائيلَ ، بَلْ هُوَ عامٌّ في البَشَرِ كُلِّهِمْ .

ولقدْ جاءتْ رسلُنا بني إسرائيلَ بالآياتِ البيّناتِ والمُعجزاتِ الباهراتِ ، إلاّ أنَّ كثيراً منهُم ، بعدَ الّذي كَتْبناهُ عَليهِمْ منْ شرائعَ ، وبعدَ مجيءِ الرُّسلِ إليهِمْ ، قدْ تجاوَزوا الحدَّ في ارتكابِ المعاصي والآثامِ ، وفي هذا ما يدلُّ على أنَّ الخيرَ في بني إسرائيل قليلٌ .

وبعدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى تغليظَ الإثمِ في قتلِ النّفسِ بغيرِ حقٍّ ، وتعظيمَ الأَجْرِ لِمَنْ عَمِلَ على إحيائِها ، أتبعَ ذلكَ ببيانِ حدِّ الحَرابةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

نَزَلتْ هذهِ الآيةُ في قومٍ منْ قَبيلةِ عرينةَ أتوْا رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ الإسلامِ ، وقالوا : يا رسولَ الله ، إنّا قدْ استَوْخَمْنا المدينةَ ـ يعني وَجَدْناها رديئةَ المناخِ ـ فأمرَ لَهُمُ النبيُّ ﷺ بعددٍ مِنَ الإبلِ ومعها

راعٍ ، وأمرَهُمْ أنْ يَخْرُجوا خارجَ المدينةِ فيشرَبوا مِنْ ألبانِ الإبلِ وأبوالِها ، فخَرَجوا ، وقتلوا الرّاعي واسْتاقوا الإبلَ ، وكفروا بعدَ إسلامِهِمْ ، فجيءَ بهم إلى النّبيِّ ﷺ فقطَع أيديَهُمْ وأرجُلَهُمْ ، وسَمَرَ أعْيُنَهُمْ ، وتركَهُمْ في الحرَّةِ حتّى ماتوا ، فنزلت الآيةُ[1] .

وهيَ على أيِّ حالٍ عامَّةٌ فيهم وفي غيرِهِمْ مِمَّنْ يقطَعونَ الطَّريقَ ويُحارِبونَ نِظامَ الأمّةِ ، ويَرْتكبونَ جرائمَ السَّلبِ والنَّهْبِ والقَتْلِ .

فبيّنَ اللهُ أَنَّ عقابَ الّذينَ يُحاربونَ الله تَعالى ورسولَه بخُروجِهِمْ على نظامِ الحُكْمِ وأحكامِ الشَّرعِ ، ويُفْسِدونَ في الأرضِ بقَطْعِ الطّريقِ أو انتهابِ الأموالِ ، فإنّما عقابُهم أنْ يُقتَلوا بمنْ قَتلوا ، وأنْ يُصلَبوا إذا قَتَلوا وغَصَبوا المالَ ، وأنْ تُقطَّعَ أيديهِمْ وأرجُلُهُمْ مِن خلافٍ إذا قطعوا الطّريقَ وغَصَبوا المالَ ولمَ يَقتلوا ، وأنْ يُنفَوْا منْ بلدٍ إلى بلدٍ ، أوْ أنْ يُحبَسوا إذا أخافوا فقط ، ولم يأخذوا مالاً ولم يَقْتلوا . ذلكَ العقابُ ذُلٌّ لهمْ وإهانةٌ في الدُّنيا ، ولَهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ، وهوَ عذابُ النّارِ .

ثمَّ بيّنَ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ أن هذهِ العُقوباتِ تَسْقُطُ عنِ التّائِبينَ قبلَ تَقديمِهِمْ للعدالةِ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

نفِّذوا أيّها المسلمونَ هذهِ العقوباتِ على هؤلاءِ المُحاربينَ لأولياءِ اللهِ تَعالى وأولياءِ رسولِه ﷺ والسّاعينَ في الأرضِ بالفسادِ ، ما داموا مُسْتمرّينَ في غَيّهِمْ وعُدوانِهِمْ ، لكنِ الّذينَ يتوبونَ منهُم عمّا فَعلوا ، قبلَ أنْ تتمكَّنوا منهُم وتُقدّموهُم للعدالةِ ، فإنَّ عُقوبةَ اللهِ تَعالى تسقطُ عنهُم ، ويبقى عليهِمْ ما اقترفوهُ منْ حقوقِ العبادِ ، فإنّها لا تسقطُ بالتَّوبةِ ، واعْلَموا أيُّها المُؤمِنونَ أنّ اللهَ تَعالى واسعُ المغفرةِ والرَّحمةِ لمنْ تابَ وأنابَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اختصاصُ بني إسرائيلَ بالكلامِ عنْ حدِّ القَتْلِ لِما عندَهُم منَ الشَّنائعِ والجرائِمِ .

٢ـ قتلُ النَّفسِ البريئةِ اعتداءٌ على البَشَريَّةِ بأكْمَلِها لأنَّه اعتداءٌ على النَّوْعِ الإنسانيِّ .

٣ـ كَثرةُ الرُّسلِ وآياتُهم لمْ يَحُلْ بينَ بني إسرائيلَ والفسادِ لإيغالِهم فيهِ .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٢٨٨ .

٤ـ المُحارِبونَ يُعاقَبونَ في الدُّنيا والآخرةِ ، ولا يكونُ العقابُ الدُّنيويُّ طُهْرةً لهمُ ولو كانوا مُسلمِينَ .

٥ـ توبةُ المْحارِبينَ قبلَ التَّمكُّنِ منهُم تُسْقِطُ عنهُم عُقوباتِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

منْ أحياها ، مِنْ خلافٍ ، يُنفَوْا مِنَ الأرضِ ، خِزيٌ .

٢ـ بيّنْ لماذا خُصَّ بنو إسرائيل بقولِه تَعالى : « ومِنْ أجلِ ذلك . . . . لمُسْرِفونَ » .

٣ـ بيّن كيفَ يكونُ قتلُ نفسٍ واحدةٍ أو إِحْياؤها قتلاً للبشريَّة أو إحياءً لها .

٤ـ لماذا لم يَرتدعْ بنو إسرائيل معَ كثرةِ الأنبياءِ فيهم ؟

٥ـ ما سببُ نزولِ آية الحِرابةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ حادثتينِ تَدلاّنِ على حَسَدِ اليهودِ للرّسولِ ﷺ ، واكْتُبْهما في دفترِكَ .

٢ـ قارنْ بينَ قاطعِ الطّريقِ والسّارقِ ، من حيثُ : الجريمةُ والعقوبةُ ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٣ـ اكتبْ موضوعاً عنْ حُرْمةِ الدّماءِ في الإسلامِ ، ومتى يَحِلُّ قَتْلُ النَّفسِ ، مؤيّداً ما كَتَبتَهُ بالأدلّةِ الشّرعيَّةِ ، واقرأ الموضوعَ على الطّلبةِ في طابورِ الصّباحِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ
بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ
ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ
أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- الوسيلةَ : ما يُتَوَصَّلُ بهِ إلى اللهِ تَعالى .
- عذابٌ مقيمٌ : دائمٌ ثابتٌ لا يَنقطِعُ .
- نكالاً مِنَ اللهِ : عقوبةً رادِعةً منَ اللهِ تَعالى .
- عزيزٌ : لا يغلِبُهُ غالبٌ ، ولا يفوتُهُ هاربٌ .
- حكيمٌ : أتقنَ كلَّ شيءٍ خَلقَهُ تمامَ الإتقانِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى سوءَ عاقبةِ المُحارِبينَ لَهُ تَعالى ولرسولِهِ ﷺ ، وجّهَ سُبْحانَهُ نِداءَهُ للمُؤْمِنينَ ، وأمرَهم فيهِ بتقوى اللهِ ، والتقرُّبِ إليهِ بالعملِ الصّالحِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا خافوا اللهَ تَعالى بإطاعةِ أوامرِه ، واجتنابِ نواهيهِ ، واطْلُبوا ما يُقرِّبُكمْ إلى ثوابِهِ منْ فعلِ الطّاعاتِ والخَيْراتِ ، وجاهِدوا في سبيلِهِ بإعلاءِ كلمةِ دينِهِ ، ومحاربةِ أعدائِهِ ، لعلّكُمْ تفوزونَ بكرامتِهِ وثوابِهِ .

وهذه الآيةُ بيَّنتْ للمؤمنينَ وأرشَدتهُمْ إلى ما يُسعدُهُمْ ، بأنْ ذكرَتْ لهم ثلاثَ وسائلَ لتحصيلِ الفلاحِ . وهذهِ الوسائلُ هيَ : تقوى اللهِ والتقرّبُ إليهِ بما يرضيهِ سُبْحانَهُ ، والجهادُ في سبيلِهِ . وأما الغايةُ والنتيجةُ لكلِّ ذلكَ فهي الفوزُ والفلاحُ والنَّجاحُ .

بعدَ ذلكَ بيّنَ اللهُ تَعالى ما أعدّهُ للكافرينَ من عذابٍ أليمٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

إنَّ الّذينَ كَفَروا لو كانَ عندَهُمْ ما في الأرضِ وضِعْفُهُ معَه مِنْ صنوفِ الأموالِ وغيرِها منْ مظاهرِ الحياةِ ، وأرادوا أنْ يَجعلوهُ فِديةً لأنفسِهِمْ منْ عذابِ اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ على كُفْرِهِمْ ما نفعَهُمْ هذا كلُّهُ ، ولا قَبِلَ اللهُ منهُم ذلكَ ، لأنَّ سُنَّتَهُ سُبْحانَهُ اقتضَتْ أنْ تكونَ نجاةُ الإنسانِ مِنَ العذابِ يومَ القيامةِ متوقِّفَةً على الإيمانِ ، والعملِ الصّالحِ ، لا على الأموالِ وما يُشْبِهُها منْ حطامِ الدّنيا مَهْما عَظُمَ شأنُها وكَثُرَ عددُها ، وهؤلاءِ لا سبيلَ لهُم إلى الخلاصِ منْ عقابِ اللهِ تَعالى ولهمْ عذابٌ مؤلمٌ شديدٌ .

روى البخاريُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : (يُؤتى بالرجلِ مِنْ أهْلِ النّارِ ، فيُقالُ لهُ : يا ابنَ آدمَ ، كيفَ وجدت مَضْجعَكَ ؟ فيقولُ : شرَّ مَضْجعْ ، فيُقالُ لهُ : أرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرضِ ذهباً أكنتَ تَفتدي به ؟ فيقولُ : نعَمْ ، فيقالُ لَه : قدْ كنتَ سُئلتَ ما هوَ أيسرُ مِنْ ذلك ، أنْ لا تشركَ باللهِ شيئاً ، فيُؤْمَرُ بهِ إلى النّارِ)[1] .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

يريدُ هؤلاءِ الكافرونَ أنْ يَخْرُجوا منَ النّارِ بعدَ أنْ ذاقوا عذابَها وآلامَها وليسوا بخارجينَ منها أبداً ، بِسَببِ ما ارتكبوهُ من قبائحَ ومُنْكَراتٍ في الدُّنيا ، ولهمْ عذابٌ دائمٌ ثابتٌ لا ينقطِعُ . ففي هذه الآيةِ الكريمةِ قَطْعٌ لآمالِ الكافرينَ قَطْعاً لا التئامَ مَعَهُ ، وتيئيسٌ لهمْ مِنْ مثلِ هذا الرَّجاءِ غيرِ النّافعِ . وبعدَ

---

(١) رواه البخاري في باب من نوقش الحساب عذّب .

أنْ بيّنَ اللهُ تعالى في الدَّرسِ السّابقِ عُقوبةَ الحِرابةِ ، وقَطْعِ الطريقِ ، بيّنَ لنا ربُّنا تَعالى عقوبةَ السَّرقةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

وإنّما شُرِعَ بيانُ هذا الحدِّ هُنا لأنَّ الحِرابةَ سَرِقةٌ كُبرى ، فناسبَ أنْ يُبيِّنَ بعدَها أحكامَ السَّرِقاتِ الصُّغرى . فالّذي يَسْرقُ والّتي تَسْرِقُ ، اقْطَعوا أيْدِيَهُما جزاءً بما ارْتَكبا ، عقوبةً لهُما ورَدْعاً لِغيرِهما ، وذلك الحُكْمُ منَ اللهِ تَعالى ، واللهُ تَعالى غالبٌ على أمرِه حكيمٌ في تَشريعِهِ ، فقدْ وضعَ للجرائمِ عقوباتٍ رادعةً مانعةً من شيوعِها وانتشارِها بينَ أفرادِ المُجْتمَعِ .

والمخاطَبُ بقطعِ اليدِ همْ ولاةُ الأُمورِ الّذينَ يَرجِعُ تنفيذُ الحدودِ إليهِمْ .

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

فمَنْ تابَ إلى اللهِ تَعالى توبةً صادقةً مِنْ بعدِ ظُلْمِهِ لنفسِه بسببِ إيقاعِها في المعاصي الَّتي منْ أكبرِها السَّرِقةُ ، وأصلحَ عَمَلَهَ بالطّاعاتِ الّتي تمحو السيئاتِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يقبلُ توبتَهُ ، إنّ اللهُ تَعالى واسِعُ المغفرةِ والرَّحمةِ ، ومِنْ مظاهرِ ذلكَ أنَّه فتحَ لعبادِه بابَ التَّوْبةِ والرُّجوعِ إليهِ سُبْحانَهُ .

ثمّ ساقَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ ما يدلُّ على شُمولِ قُدْرتِهِ ، ونفاذِ إرادتِه بصيغةِ الاستفهامِ التقريريِّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

أَلَمْ تعلمْ أيُّها العاقلُ ، أنّ اللهَ تَعالى لهُ مُلْكُ السّمواتِ والأرضِ ، يتصرَّفُ فيهما وفي غيرِهِما منْ خَلْقِهِ تَصرُّفَ المالكِ في مُلْكِهِ مِنْ دونِ مُدافعٍ أو مُنازعٍ ، فإذا علمْتَ ذلكَ أيّها العاقلُ علماً يقينيّاً فاعْمَلْ بِمُقْتضى هذا العِلْمِ ، بأنْ تكونَ مُطيعاً لخالِقِكَ في كُلِّ ما أمرَ به ونهى عنهُ ، وبأنْ تدعوَ غيرَكَ إلى هذِه الطّاعةِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى صاحبُ السّلطانِ في التَّعذيبِ والعفوِ ، وهوَ سُبْحانَهُ القويُّ القادرُ على كلِّ شيءٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تقوى اللهِ تَعالى رأسُ كُلِّ أمْرٍ خَيِّرٍ .

٢ـ الجهادُ في سبيلِ اللهِ تَعالى منَ الوسائلِ العاليةِ إلى مرضاتِهِ سُبْحانَهُ .

٣ـ الجرائمُ بمختلفِ أنواعِها لها في الشَّرْعِ ما يَرْدَعُ عنها ، ويحولُ دونَ انتشارِها .

٤ـ العقوباتُ الشَّرعيّةُ زَجْرٌ للمُجْرِمينَ ، وعِبْرةٌ للنّاظرينَ .

٥ـ مِنْ رحمةِ اللهِ بالمسلِمينَ أنْ فتحَ لهُم بابَ التَّوبةِ ، ورغّبَهُم فيها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الوسيلةَ ، عذابٌ مقيمٌ ، نَكالاً منَ اللهِ ، عزيزٌ حكيمٌ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ الوسائلَ الموصِلةَ إلى مَرضاةِ الله بيّنْ هذهِ الوسائِلَ .

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ أنَّ آمالَ الكفّارِ مُنقطِعةٌ لا خيرَ فيها ، اذكُرِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ رغبةً مِنْ رَغَباتِ الكافرينَ ، اذكُرْ هذه الرَّغبةَ .

٥ـ أ ـ ما قيمةُ العقوباتِ الشَّرعيّةِ ؟

ب ـ ما عقوبةُ السَّرقةِ ؟

ج ـ ما حُكْمُ مَنْ تابَ وأصْلَحَ ؟

٦ـ ماذا يترتَّبُ على العِلْمِ اليَقينيِّ النافعِ ؟

نَشاطٌ :

ـ قدّمت الآية (٣٩) من هذهِ السّورةِ ، السّارقَ على السّارقةِ ، وآيةُ حدِّ الزِّنا في سورةِ النّور قدّمتِ الزّانيةَ على الزّاني ، ما الحِكْمَةُ في ذلك ؟ اكتبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثّاني عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ
لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا
فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ
مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لا يَحْزُنْكَ** : لا يُؤلِمْكَ
- **يُسارعونَ في الكُفْرِ** : يَقعونَ فيهِ بسرعةٍ ، ويرضَوْنَ بهِ ويقبلونَهُ .
- **فِتْنَتَهُ** : اختبارَهُ حتّى يُظْهِرَ ما تنطوي عليهِ نفسُهُ .
- **سمّاعونَ للكذبِ** : كَثيرو السَّماعِ لَهُ .
- **السُّحْتِ** : كلُّ ما خَبُثَ كسبُهُ وقَبُحَ مَصدرُهُ .
- **بالقِسْطِ** : بالعَدْلِ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى بعضَ التَّكاليفِ الشَّرعيةِ ، تحدّثتْ هذهِ الآياتُ عنِ اليهودِ ، ووسائلِهِمُ الخبيثةِ في مُعارضةِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ ، قال تَعالى :

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يا أيُّها الرَّسولُ ﷺ لا يَحزُنْكَ صُنْعُ الكافرينَ الّذينَ ينتقلونَ في مَراتبِ الكُفْرِ مِنْ أدناها إلى أَعْلاها ، مُسارعينَ فيها ، مِنْ هؤلاءِ المخادعينَ الّذينَ قالوا بألسنتِهِم آمنّا ، ولمْ يَصلِ الإيمانُ إلى قلوبِهِمْ ، ولمْ يُذعِنوا للحقِّ ، ولا يَحْزُنْكَ كذلكَ اليهودُ الّذينَ يُبالِغونَ ويُكثِرونَ الاستماعَ إلى مُفتَرياتِ أحبارِهِمْ ، ويَستجيبونَ لهمُ ، ويُكثِرونَ الاستماعَ والاستجابةَ لطائفةٍ منهُمْ ، ولمْ يَحْضُروا مَجْلِسَكَ تكبُّراً وبُغْضاً ، وهؤلاءِ تجدُهُمْ يُبدِّلونَ ويُحرِّفونَ ما جاءَ في التَّوراةِ منْ بعدِ أنْ أقامَهُ اللهُ تَعالى وأَحْكَمَهُ في مواضِعهِ ، ويقولونَ لأتْباعِهِمْ : إنْ أوتيتُمْ هذا الكلامَ المحرَّفَ المُبدَّلَ وأمَرَكُمْ محمَّدٌ به فاقبلوهُ وأطيعوهُ ، وإنْ لمْ يأتِكُمْ فاحْذَروا أنْ تَقْبلوا غيرَهُ .

ثمَّ يُبيِّنُ اللهُ تَعالى لنبيِّهِ ﷺ أمْراً مُطَمْئِناً وحقيقةً لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ ، وهي أنَّ مَنْ أرادَ اللهُ إضْلالَهُ فلنْ تستطيعَ أنْ تهديَهُ أوْ أنْ تنفعَهُ بشيءٍ لمْ يُرِدْهُ اللهُ تَعالى لَهُ .

وأولئكَ همُ الّذينَ أسرَفوا في الضّلالِ والعِنادِ ، لمْ يُرِدِ اللهُ تَعالى أنْ يُطَهِّرَ قلوبَهم مِنْ دَنَسِ الحِقْدِ والعِنادِ والكُفرِ ، ولهُمْ في الدُّنيا ذُلُّ الفَضيحةِ والهزيمةِ ، ولهُم في الآخرةِ عذابٌ شديدٌ عظيمٌ .

وهذهِ الآيةُ الكريمةُ تُبيِّنُ أنَّ هؤلاءِ المُسارعينَ في الكُفْرِ فريقانِ : الأوّلُ : فريقُ المنافقينَ ، والثّاني : فريقُ اليهودِ ، والآيةُ تدعو النَّبيَّ ﷺ إلى ألاّ يَحْفِلَ بهمْ ولا يألَمَ لباطِلِهِمْ .

﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُنافقينَ واليهودَ منْ صفاتِهِمْ أنَّهم كَثيرو السَّماعِ للكذبِ ، وكثيرو الأكْلِ للمالِ

الحرامِ بجميعِ صورِهِ وألوانِهِ ، ومنَ كانَ هذا شأنُهُ فلا تَنتظِرْ منْهُ خيراً ولا تأمَلْ فيهِ رُشْداً .

وقدِ اشتهرَ اليهودُ بصفةٍ خاصّةٍ في كلِّ زمانٍ بتَقبُّلِ السُّحتِ وأكْلِ الحرامِ ، وقدْ أرشدَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ إلى ما يجبُ عليهِ نحوَهُم إذا ما تحاكَموا إليهِ قائلاً لَهُ : فإنْ جاءكَ هؤلاءِ اليهودُ مُتَحاكِمينَ إليكَ يا محمَّدُ في قضاياهُمْ ، فأنتَ مُخيَّرٌ بينَ أنْ تحكُمَ بما أراكَ اللهُ تعالى وأنْ تتركَهُمْ وتُهْمِلَهُم وتُعْرِضَ عنهُم ، وإنْ تُعْرِضْ عنهُم فيما احتكَموا فيهِ إليكَ فلَنْ يَضرّوكَ شيئاً ، فلا تُبالِ بما يَكيدونَهُ لكَ ، فإنَّ اللهَ تعالى حافِظُكَ وناصِرُكَ عليهِمْ ، وإنِ اخترتَ الحُكْمَ في قضاياهُم فليكنْ حُكمُكَ بالعدلِ الّذي أمَرَكَ اللهُ بهِ ، لأنّهُ يحبُّ العادِلينَ في أحكامِهِم .

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

عجباً لهمْ! كيفَ يَطلبونَ حُكْمَكَ ، معَ أنَّ حُكْمَ اللهِ تعالى مَنصوصٌ عليهِ عندَهُمْ في التَّوراةِ ، والعَجَبُ مِنْ أمرِهِمْ أنّهم يُعرِضونَ عنْ حُكْمِكَ إذا لم يوافِقْ هَواهُمْ ، معَ أنَّهُ المُوافِقُ لِما في كِتابِهِمْ ، وليسَ هؤلاءِ الّذينَ جاءوا يَتحاكمونَ إليكَ بالمُؤْمنينَ لا بكتابِهِمُ التَّوراةِ ، لأنَّهم لوْ كانوا مؤمنينَ بهِ لَنفَّذوا حُكْمَهُ ، ولا بكَ يا محمَّدُ ، لأنَّهم لوْ كانوا مُؤْمِنينَ بكَ لاستجابوا لكَ فيما تأمرُهُم بهِ وتَنْهاهُم عنْهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يَنبغي للدّاعيةِ ألاّ يَحزَنَ مِنْ سوءِ سُلوكِ الكافرينَ ، فاللهُ لَهُمْ بالمِرْصادِ .

٢ـ الإيمانُ اعْتِقادٌ بالقَلْبِ ، وإعْلانٌ باللّسانِ ، وعَمَلٌ بالجَوارِحِ ، فَدَعوى الإيمانِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقادٍ وعَمَلٍ لا يَنْفعُ .

٣ـ طبائعُ اليهودِ وأخلاقُهُمُ الذَّميمَةُ كثيرةٌ ومتعدِّدةٌ ، فالواجبُ الحَذَرُ منهُم .

٤ـ اليهودُ لا يأخذونَ مِنْ دينهِمْ إلاّ ما يُحقِّقُ أهواءَهُمْ ومَصالِحَهُمْ ، ويَرفضونَ ما سوى ذلكَ .

٥ـ لابدَّ مِنَ العدلِ معَ المُحْتَكِمينَ إلينا ، حتّى لَوْ كانوا خصومَنا .



التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيب التّاليةِ :

يُسارعونَ في الكُفْرِ ، سَمّاعونَ للكذبِ ، السُّحْتِ ، بالقِسْطِ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ المُسارِعينَ في الكُفْرِ فريقانِ ، مَنْ هُما ؟

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ رذائلَ اليهودِ ومَنْ على شاكِلَتِهِمْ ، بيّنْ هذهِ الرَّذائلَ .

٤ـ بماذا طَمْأَنَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ إنْ هوَ أعرضَ عنِ المُحْتَكِمينَ إليهِ مِنَ اليهودِ ؟

٥ـ بيّنَ اللهُ تَعالى أنَّ أولئكَ المُحْتَكِمينَ للنَّبيِّ ﷺ ليسوا بالمُؤْمِنينَ ، وَضّحْ ذلك .

٦ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ لا يَكْفي دَعوى الإيمانِ باللِّسانِ ، إذا لَمْ يَحُلَّ الإيمانُ في القَلْبِ .

ب ـ تحريفُ شرعِ اللهِ تَعالى منْ طبائعِ اليهودِ .

ج ـ حُضورُ مجالسِ الكَذِبِ حرامٌ .

د ـ العدلَ ضرورةٌ في الحُكْمِ بينَ النّاسِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثّالثَ عشَرَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثَ عشَرَ

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟
وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟
ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ
وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ
لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هُدىً : ما يَهدي النّاسَ إلى طريقِ السَّعادةِ .

نورٌ : العقائدُ السَّماويَّةُ والمواعظُ الحكيمةُ الّتي تُنيرُ للإنسانِ حياتَه .

الرَّبّانيونَ : العُلماءُ والحُكماءُ والبُصَراءُ بسياسةِ النّاسِ وتدبيرِ أُمورِهِمْ .

الأحبارُ : علماءُ الّدينِ مِنْ أهلِ الكتابِ ، وبخاصةٍ مِنَ اليهودِ .

استُحفِظوا : طُلِبَ منهُم أنْ يَحفظوا .

شُهداءَ : يَشهدونَ أنَّ التَّوراةَ حقٌّ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ حدّثَنا اللهُ تَعالى عن اليهودِ وصِفاتِهِم القَبيحةِ ، حدَّثنا عنِ التَّوراةِ ومَنزلَتِها ، وبعضِ ما اشْتَمَلَتْ عليهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

إنّا أَنْزَلْنا التَّوراةَ على موسى عليهِ السَّلامُ ، مُشتمِلَةً على ما يَهدي النّاسَ إلى الحقِّ منْ أحكامٍ وتكاليفَ ، وعلى ما يُضيءُ لهُم حياتَهُمْ مِنْ عقائدَ ومَواعظَ وأخلاقٍ فاضلةٍ ، وهذهِ التَّوراةُ يَحكُمُ بها بينَ اليهودِ أنبياؤُهُمُ الّذينَ أخْلَصوا دينَهم للهِ تَعالى ، وأخْلَصوا لهُ العبادةَ والطّاعةَ ، ويَحْكُمُ بها أيضاً العُلماءُ والحُكَماءُ السّالِكونَ طريقَ الأنبياءِ ، والّذينَ عُهِدَ إليهم أنْ يَحْفظوا كتابَهم مِنَ التبَّديلِ ؛ إذْ قدْ كانوا شُهداءَ على هذا الكتابِ الّذي أنزلَهُ اللهُ بأنَّهُ حقٌّ ، وكانوا رُقَباءَ على تَنفيذِ حُدودِه ، وتَطبيقِ أحكامِه ، حتّى لا يُهْمَلَ شيءٌ منها .

وإذا كانَ اللهُ تَعالى أَنْزَلَ التَّوراةَ لتنفيذِ أحكامِها ، وتَطبيقِ تَعاليمِها ، فمِنَ الواجبِ عليكُم أيُّها اليهودُ ، أنْ تَقْتَدوا بأنبيائِكُمْ وصُلَحائِكُمْ في ذلكَ ، وأنْ تَستجيبوا للحقِّ الّذي جاءَ بهِ محمَّدٌ ﷺ ، وأنْ تَجعَلوا خَشيتَكُمْ مِنّي وَحْدي ، لا منْ أحدٍ منَ النّاسِ ، فأنا الّذي بيدي نَفْعُ العبادِ ، وأُحذِّرُهُم وإيّاكُم أنْ تَستبدِلوا بآياتي الّتي اشتملَتْ عليها التَّوراةُ أَحْكاماً أُخْرى ، تُغايرُها وتخالِفُها ، لكي تَأْخذوا في مُقابلِ هذه الآياتِ ثَمَناً قليلاً مِنْ حُظوظِ الدُّنيا ، وشَهَواتِها ، كالمالِ والجاهِ ونحوِ ذلكَ ، فإنَّ مَنْ فعلَ ذلكَ ، ولمْ يحكُمْ بما أنزلَ اللهُ تَعالى رغبةً منهُ عنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى أوْ استهانةً بهِ ، فهوَ مِنَ الكافِرينَ ، لأنَّه كتَم الحقَّ الّذي كانَ مِنَ الواجبِ عليه إظهارُهُ والعملُ بهِ .

وهذا الحكمُ الأخيرُ « ومنَ لمْ يحكُم بما أنزلَ اللهُ » عامٌّ في كلِّ منِ انطبقَ عليهِ هذا الوَصْفُ في جميعِ الأزمانِ ، وليسَ خاصّاً باليهودِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ بعضَ ما اشتملَتْ عليهِ التَّوارةُ منْ أحكامٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

إنّا أَنْزَلْنا التّوراةَ ، وفَرَضنا عَليْهِم فيها أنَّ النَّفْسَ تُقْتَلُ بالنَّفْسِ ، والعينَ بالعينِ ، والسِّنَّ بالسِّنِّ ، وهكذا بقيةُ الأعضاءِ بالقياسِ ، وكذا الجروحُ ـ على تفصيلٍ فيها وبيانٍ لِحَدّها بالضَّبْطِ ـ فيها القِصاصُ . وهذا الحُكْمُ في القتلِ أو التَّعدّي العَمْدِ ، أمّا الخطأُ ففيهِ الدِّيَةُ . فَمَنْ تَصدّقَ مِنْ جَسَدهِ بشيءٍ كَفَّرَ اللهُ عنهُ بقَدَرهِ مِنْ ذنوبهِ . ومَنْ يُعْرِضْ عمّا شَرَعهُ اللهُ مِنَ القِصاصِ والعَدْلِ والتَّساوي بينَ الأفرادِ ، فهو مِنَ الظّالمينَ الّذين يَغْمِطونَ النّاسَ حُقوقَهُم المشروعَةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُتُبُ اللهِ تَعالى أنزلَها نوراً وهِدايةً ، لِتُنيرَ للنّاسِ حياتَهُمْ ، وتَهديَهُمْ سُبُلَهُمْ .

٢ـ النَّهيُ عنِ اسْتِبدالِ آياتِ اللهِ تَعالى بثمنٍ بَخْسٍ هوَ عَرَضٌ مِنْ أعراضِ الدُّنيا .

٣ـ عدمُ الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ تَعالى كُفْرٌ وظُلْمٌ ، لأنَّ في ذلكَ مُخالفةً لِشَرْعِ اللهِ .

٤ـ النَّعيُ على بني إسرائيلَ إهمالَهُمْ لأحكامِ اللهِ تَعالى ، وتَهافُتَهُمْ على ما يَتَّفِقُ معَ أهوائِهِمْ .

٥ـ القِصاصُ كما يَجْري في النُّفوسِ والأبدانِ يجري في الأعضاءِ والأطرافِ عِندَ تَمَكُّنِ المُماثَلةِ .

٦ـ التّرغيبُ في العفوِ والحضُّ عليهِ ، لأنَّ الإسلامَ دينُ العفوِ والرَّحمةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

هُدىً ونورٌ ، الرَّبّانيّونَ ، الأحبارُ ، استُحفِظوا ، شُهداءَ .

٢ـ بينَّتِ الآياتُ عِظَمَ منزلةِ التَّوراةِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ هاتِ منَ الآياتِ الدَّليلَ على ما يلي :

أـ جريانُ القِصاصِ في النُّفوسِ وغيرِها .

ب ـ الحُكْمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تَعالى كُفْرٌ وظُلْمٌ .

ج ـ الرَّجلُ والمرأةُ في القِصاصِ سواءٌ .

دـ رغَّبَ الإسلامُ في العَفْوِ عنِ الجُناةِ ، وجعلَ ذلكَ منْ مُضاعفاتِ الأُجورِ .

٤ـ قولُه تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هلْ هو خاصٌّ أمْ عامٌّ ؟ بيّنْ ذلكَ منْ خلالِ الدَّرسِ .

اقرأْ وتدبَّرْ :

روى ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ في تفسيرِه قالَ :

دقَّ رجلٌ منْ قريشٍ سِنَّ رجلٍ منَ الأنصارِ ، فاسْتَعدى عليهِ معاويةَ ، فلمّا ألحَّ الرَّجلُ قالَ معاويةُ : « شأنُكَ وصاحِبُكَ ، قالَ : وأبو الدَّرداءِ عندَ معاويةَ ، فقالَ أبو الدَّرداءِ : سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « ما منْ مسلمٍ يُصابُ بشيءٍ منْ جسدِه فيهبُهُ إلاّ رفعَهَ اللهُ بهِ درجةً وحَطَّ عنهُ بهِ خطيئةً » ، فقالَ الأنصاريُّ : « أنتَ سمعتَهُ منْ رسولِ اللهِ ؟» فقال أبو الدَّرداءِ : « سمعَتْهُ أذنايَ ووعاه قلبِيَ » ، فخلّى الأنصاريُّ سبيلَ القُرَشيِّ ، فقالَ مُعاويةَ : « مُروا لَهُ بمالٍ »[1] .

نَشاطٌ :

ـ ذَكَرَ اللهُ تَعالى أنَّه اسْتَحْفَظَ أهلَ الكتابِ على كِتابِهِمْ ، فمنِ الَّذي تكفَّلَ بحفظِ القُرآنِ ؟ اكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٠ ، والحديث رواه الترمذي ٤/ ١٤ حديث رقم (١٣٩٣) .

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى
وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- وقفَّينا على آثارِهِمْ : بَعثْنا مِنْ بَعدِهِمْ .
- وأَنْزَلْنا إليكَ الكتابَ : القُرآنَ الكريمَ .
- مُهيمِناً عليهِ : رقيباً على ما سبقَهُ مِنَ الكتبِ ، وأميناً وحاكماً عليْها .
- شِرْعةً ومِنهاجاً : ديناً وطريقاً .
- فاسْتَبِقوا الخيراتِ : تَسابقوا في فِعْلِ الطّاعاتِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى مَنزلةَ التَّوراةِ وما اشتملَتْ عليهِ مِنْ هداياتٍ وتشريعاتٍ ، أتبعَ ذلكَ بِبَيانِ منزلةِ الإنجيلِ ، وما اشتملَ عليهِ مِنْ مواعظَ وأحكامٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وأتبَعْنا أُولئكَ الّذينَ أسلَموا وُجوهَهُمْ للهِ تَعالى ، وأخلَصوا لهُ العبادةَ ، والّذينَ كانوا يَحكُمونَ بالتَّوراةِ كموسى وهارونَ عليهِما السَّلامُ وغيرِهم مِمَّنْ جاءَ بعدَهم ، وأرسَلْنا بعدَهُمْ عيسى ابنَ مريمَ ، وجعلناهُ مُتَّبِعاً طريقتَهُمْ ، وناهِجاً نَهْجَهُمْ في الخُضوعِ والطَّاعةِ والإخلاصِ للهِ تَعالى ، مُصدِّقاً للتَّوراةِ الّتي سبقَتْهُ ، وأَنْزَلْنا عليهِ الإنْجيلَ فيهِ هدايةٌ إلى الحقِّ وبيانٌ للأحكامِ ، وفيهِ الهدايةُ والمَوْعظةُ لمنْ سَلَكَ سبيلَ المُتَّقينَ مِنَ المُؤْمنينَ بهِ .

وقدْ وصفَ اللهُ تَعالى الإنجيلَ في هذهِ الآيةِ بخمسِ صفاتٍ هي :

أولاً : فيهِ هدىً .

ثانياً : فيهِ نورٌ .

ثالثاً : مُصَدِّقٌ لما بينَ يَدَيْهِ منَ التَّوراةِ .

رابعاً : كونُهُ هدىً .

خامساً : مَوعظةٌ للمُتَّقينَ .

ثمَّ إنَّ اللهَ تَعالى أمرَ أتباعَ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ بالحُكْمِ بما جاءَ في الإنجيلِ ، فقالَ لأولئكَ الّذينَ آمنوا بِنُبوَّةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ووُجِدوا قبلَ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

على هؤلاءِ أنْ يَحْكُموا فيما بينَهُمْ بِمُقتضى أحكامِ الإنجيلِ مِنْ دونِ تحريفٍ أو تَبديلٍ . أمّا الّذينَ وُجدوا منهمْ بعدَ بعثَةِ النَّبيِّ ﷺ فَمِنَ الواجبِ عليهِمْ أَنْ يُصدِّقوا رسولَ اللهِ ﷺ ويتّبعوا شريعتَه ، لأنَّ فِعْلَهُمْ هذا يعني تصديقَهم بالإنجيلِ ، واتِّباعاً منهُمْ لنبيِّهِمْ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فإنّ شريعةَ الإسلامِ قدْ نسخَتْ جميعَ الشّرائعِ الّتي قَبْلَها . ومَنْ لمْ يَفعلْ ذلكَ منهُمْ ، فهُمُ المُتمرِّدونَ الخارجونَ عنْ جادَّةِ الحقِّ ، وعنِ السَّنَنِ القويمِ والصِّراطِ المُستقيمِ .

وبعدَ أنْ تحدَّثَ اللهُ تَعالى عنِ التّوراةِ والإنجيلِ وأثْنى عليهِما ، وأمرَ باتِّباعِ تعاليمِها ، عقبَ ذلكَ بالحديثِ عنِ القرآنِ الكريمِ الّذي أنزلَهُ سُبْحانَهُ على رسولِهِ محمَّدٍ ﷺ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ .

وأَنْزَلْنا إليكَ أيُّها النَّبيُّ الكتابَ الكاملَ ، وهوَ القرآنُ الكريمُ ، مُلازِماً الحقَّ في كلِّ أحكامِهِ ، وأنبائِهِ ، مُوافِقاً ومُصدِّقاً لما سبقَهُ منْ كُتبنا ، وشاهداً عليها بالصِّحةِ ، ورقيباً عليْها بسببِ حِفْظِهِ مِنَ التَّغييرِ ، فاحْكُمْ بينَ أهلِ الكتابِ إذا تحاكَموا إليكَ بما أنزلَ اللهُ تَعالى عليكَ في القرآنِ ، ولا تَتَّبعْ في حُكْمِكَ شَهَواتِهِمْ ورَغَباتِهِمْ ، فَتنحرفَ عمّا جاءَكَ مِنَ الحقِّ ، فلكُلِّ أُمَّةٍ منكُمْ أيُّها الناسُ جعلْنا منهاجاً لبيانِ الحقِّ وطريقاً واضحاً في الدِّينِ يُمْشى عليْهِ ، ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى لجعلَكُمْ جماعةً واحدةً ذاتَ مَشاربَ مُتَّفقةٍ ، لا تَختلفُ مناهجُ إرشادِهِمْ في جميعِ العُصورِ ، وإنَّما جَعَلَكُمْ هكذا لِيَخْتَبِرَكُمْ فيما آتاكُمْ مِنَ الشَّرائعِ ، ولِيتبيَّنَ المُطيعُ منْ العاصي ، فانْتَهِزوا ـ أيُّها النّاسُ ـ الفُرَصَ ، وسارِعوا إلى عَمَلِ الخيراتِ ، فإنَّ رُجوعَكُمْ جميعاً سيكونُ إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ ، فيخبِرُكُمْ بحقيقةِ ما كنتمْ تَختلفونَ فيهِ ويُجازي كُلّاً منكُمْ بِعَمَلِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الأنبياءُ جميعاً على مِلَّةٍ واحدةٍ ، والكتبُ السّماويَّةُ مصدرُها واحدٌ .

٢ـ النَّصارى مُلزَمونَ باتِّباعِ مِلَّةِ نَبيِّنا محمّدٍ ﷺ ، وإلاّ عُدّوا مُكذِّبينَ بعيسى عليهِ السَّلامُ .

٣ـ اختلافُ شرائعِ النّاسِ منْ سُننِ اللهِ تَعالى في الكَوْنِ .

٤ـ على الإنسانِ العاقلِ أنْ يُسارعَ في الخَيْراتِ قبلَ أنْ يُدْرِكَهُ الموتُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

وقفَّينا على آثارِهِمْ ، الكتابَ ، مُهيمناً عليهِ ، شِرْعةً ومِنهاجاً ، فاسْتَبِقوا الخيراتِ .

٢ ـ هاتِ منَ الآياتِ الدّليلَ على ما يلي :

أ ـ الأنبياءُ جميعاً على مِلَّةٍ واحدةٍ .

ب ـ الكتبُ السَّماويةُ يُصدِّقُ بعضُها بَعْضاً .

ج ـ القرآنُ كلُّهُ حقٌّ .

د ـ اختلافْ الشَّرائع منْ سُنَنِ اللهِ تَعالى .

٣ ـ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ خمسةَ أوصافٍ للإنجيلِ ، بيِّنها واذْكُرِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ ـ اذكُرْ ثَلاثةَ أُمورٍ ممّا ترشدُ إليهِ الآياتُ الكَريمةُ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾
أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟
ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ
أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَفتنوكَ** : يَصرفوكَ ويَصُدّوكَ بكيدهِم عنِ الحقِّ .
- **مَرَضٌ** : شكٌّ ونفاقٌ
- **تُصيبَنا دائرةٌ** : يَدورَ علينا الدَّهرُ بنوائِبِهِ .
- **يُسارِعونَ فيهِمْ** : يُسارعونَ في تَوَلّيهِمْ .
- **بالفتحِ** : بالنَّصرِ لرسولِهِ ﷺ .
- **جَهْدَ أَيمانِهِم** : مُجتهِدينَ في الحَلْفِ بأغلظِ الأَيْمانِ وأوْكدِها .
- **حَبِطَتْ أعمالُهُم** : بَطَلَتْ وضاعَتْ ، فلا يُؤْجَرونَ عليْها .



التّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى مَكانةَ التّوراةِ والإنجيلِ ، تتحدّثُ هذهِ الآياتُ عنِ القرآنِ الكريمِ ، وتُحذِّرُ مِنْ مُوالاةِ الكافِرينَ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

لقدْ أَنْزَلْنا إليكَ الكِتابَ الكاملَ يا محمّدُ ﷺ فيهِ حُكْمُ اللهِ تَعالى وأَمَرْناكَ بأنْ تَحكُمَ بينَ أهلِ الكتابِ بما أنزلَ اللهُ تَعالى ، ولا تَتّبعْ رغباتِ وأهواءَ الّذينَ اتّخذوا دينَهم لَهْواً ولَعِباً منَ اليهودِ والنّصارَى ، واحْذرْ أنْ يَصرِفوكَ عنْ بعضِ ما أنزلَ اللهُ تَعالى إليْكَ ، فإنْ أعْرَضوا عنْ حُكْمِ اللهِ تعالى وأرادوا غَيْرَهُ ، فاعْلَمْ أنّ اللهَ تَعالى إنّما يُريدُ أن يصيبَهُمْ بعذابٍ مِنْ عندهِ بِسَببِ ذنوبِهمُ الّتي ارتكَبوها ، ومِنْها مُخالفةُ أحكامِهِ وشَريعتِهِ ، ثمّ يُجازيهمْ على كلِّ أعمالِهمْ في الآخرةِ ، فكثيرٌ مِنَ النّاسِ مُتمرّدونَ على أحكامِ الشَّريعةِ خارجونَ عن منهجِها .

وتُبيّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ الحُكْمَ إنَّما هوَ للهِ تَعالى ، وهوَ ما جاءَ في كتابِهِ الأخيرِ وهوَ القرآنُ الكريمُ ، وفيها كذلكَ تيئيسٌ لأهلِ الكتابِ منْ محاولةِ إغراءِ النَّبي ﷺ باتّباعِ أهوائِهم وشَهَواتِهِمْ ، فالرّسولُ ﷺ لا يَتّبعُ إلاّ ما أوحاهُ إليهِ ربُّهُ .

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

أيريدُ هؤلاءِ الخارجونَ عنْ أمرِ اللهِ تَعالى ونَهْيِهِ ، والرّافضونَ لِحُكْمهِ أنْ يحكُموا بأحكامِ الجاهليةِ الّتي لا عَدْلَ فيها ، بأنْ يَجْعلوا أساسَ الحُكْمِ المَيْلَ والمُداهنةَ ؟ وهذهِ هيَ طريقةُ أهْلِ الجاهليّةِ ، وهلْ هناكَ مِنَ الأحكامِ ما هوَ أحسنُ مِنْ أحكامِ اللهِ تَعالى لقومٍ يوقِنونَ بالشَّرْعِ ويُذْعِنونَ للحقِّ ؟ وهؤلاءِ فَقَط الّذينَ يُدركونَ حُسْنَ أحكامِ اللهِ تَعالى وما فيها منْ صِدْقٍ وعَدْلٍ .

وبعدَ هذا التّوبيخِ لأولئكَ المُنحرِفينَ ، وجّهَ اللهُ تَعالى نداءً للمُؤْمِنينَ حذَّرهُم فيهِ مِنْ مُوالاةِ أعدائِهِمْ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا باللهِ تَعالى وبِرسولهِ ﷺ لا يَتّخذْ أَحدٌ منكُمْ أحَداً منَ اليهودِ والنّصارَى وليّاً ولا نصيراً ، فلا تُصافوهُمْ مُصافاةَ الأحبابِ ، ولا تَستنصِروا بِهِمْ ، فإنّهمْ جَميعاً يدٌ واحدةٌ عليكُمْ

يَتربّصونَ بكمُ الدَّوائرَ ، ولا يُحبّونَ لكُمُ الخَيْرَ ، فيكفَ تَتوهّمونَ أنْ تكونَ بينكُم وبينَهم مُوالاةٌ ، والواقعُ أنَّ بعضَهُمْ أولياءُ بعضٍ .

ومنْ يتولَّهُمْ منكُمْ أيُّها المُؤْمنونَ فإنَّهُ حُكْمُهُ حُكْمُهُمْ ، لأنَّه إمّا أنْ يكونَ والاهُمْ لِضَعفٍ في دينَهِمْ ، وهذا يُبعدُه منْ دينِ الإسلامِ ، ويقرِّبُه منْ أهلِ الكتابِ ، وإمّا أنْ يكونَ والاهُمْ لأنَّه يحبُّ دينَهُمْ ويُحبُّهُمْ ، فهو كافرٌ باللهِ تَعالى وبرسولهِ ﷺ . وفي هذا تشديدٌ على المنافقينَ الّذينَ يَرتَبطونَ بصداقاتٍ مع اليهودِ والنّصارى ، فهوَ مِنهُمْ . واللهُ لا يهدي هؤلاءِ الظّالمينَ الَّذينَ فَعلوا هذا الفِعْلَ القبيحَ ، بلْ يتركُهُم في غيِّهِم وضَلالتِهِمْ حتّى يأتيَ عَليْهِمْ أمرُ اللهِ تَعالى .

وبعدَ هذا بيّنَ اللهُ تَعالى صورةَ المُنافِقينَ الّذينَ رَغِبوا في مُوالاةِ أعداءِ اللهِ تَعالى وصاروا في صُفوفِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

فترى يا محمّدُ ﷺ أولئكَ المنافقينَ الّذينَ ضَعُفَ إيمانُهُمْ وذهبَ يَقينُهمْ ، يُسارِعونَ في مُناصرةِ أعداءِ الإسلامِ مُسارعةَ الدَّاخلِ في الشَّيءِ ، قائِلينَ في أنفِسهِمْ أوْ للنّاصِحينَ لَهُمْ بالثّباتِ على الحقِّ : اتْرُكونا وشأنَنا ، فإنَّنا نَخشى أنْ تَنْزِلَ بنا مُصيبةٌ مِنَ المصائبِ الّتي يدورُ بها الزمانُ كأنْ تمَسَّنا أزمةٌ أوْ ضائِقةٌ اقتصاديةٌ ، أوْ أنْ يكونَ النَّصرُ في النِّهايةِ لهؤلاءِ الّذينَ نُواليهِمْ ، فنحنُ نُصادقُهُمْ ونُصافيهِمْ لنتّقيَ شرَّهُمْ ، ولِنَنالَ عَوْنَهُمْ عندَ المُلمّاتِ والشّدائدِ ، فإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فلا تهتمّوا أيُّها المؤمنونَ بمُسارعةِ هؤلاءِ الّذينَ في قلوبهِم مرضٌ إلى صفوفِ أعدائِكُمْ ، وارتمائِهِمْ في أحضانِهِمْ خَشيةَ أنْ تُصيبَهُمْ دائرةٌ ، فلعلَّ اللهَ تَعالى بِفَضْلِهِ وصِدْقِ وَعْدِهِ أنْ يأتيَ بالخَيْرِ العميمِ والنَّصرِ المؤزَّرِ الّذي يُظهِرُ دينَهُ ، ويجعلُ كَلمتَهُ هِيَ العُليا ، أوْ يأتيَ بأمرٍ منْ عندِه فيُزَلزِلَ قُلوبَ أعدائِكمْ ، وينصرَكُمْ عليهِمْ ، فيصبحَ المنافقونَ نادِمينَ على ما أسرّوا في أنفِسهِمْ منْ بُغضِهِم لكُمْ ، ومُصافاتِهِمْ لأعدائِكُمْ ، وشَكِّهِمْ في أنْ تكونَ العاقبةُ للإسلامِ والمسلمينَ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

وحينئذٍ يقولُ المؤمنونُ الصّادقونَ مُتعجّبينَ مِنَ المُنافِقينَ : أهؤلاءِ الّذينَ أقْسَموا وبالَغوا في القسَمِ باللهِ تَعالى على أنّهم مَعكُمْ في الدِّين مُؤْمِنونَ مِثْلَكُمْ ؟ كَذَبوا وبَطَلَتْ أعمالُهُمْ ، فصاروا خاسِرينَ في الدُّنيا والآخرةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مَنْ رَغِبَ عنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى فهوَ مِنَ الفاسِقينَ ، لأنَّهُ لا حُكْمَ أحسنُ مِنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى .

٢ـ لا يجوزُ لمؤمنٍ أنْ يواليَ غيرَ المؤمنينَ ، لأنّهم يوالي بعضُهُمْ بَعْضاً .

٣ـ مَنْ سَلَكَ سبيلَ غيرِ المؤمنينَ ووالاهُمْ فهوَ منْهُم .

٤ـ النِّفاقُ مَرَضٌ خبيثٌ يَظهَرُ أثرُهُ في المُنافِقِ .

٥ـ مَنْ والى غيرَ المُؤْمِنينَ خَسِرَ في الدُّنيا والآخرةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أنْ يَفتنوكَ ، تُصيبَنا دائرةٌ ، يُسارِعونَ ، الفتحِ ، جَهْدَ أيْمانِهِم ، حَبِطَتْ أعمالُهُمْ .

٢ـ هاتِ منَ الآياتِ الدَّليلَ على ما يلي :

أـ الحكمُ للهِ تَعالى .

ب ـ الاحتكامُ لغيرِ شَرْعِ اللهِ تَعالى اتِّباعٌ للجاهليّةِ .

ج ـ أعداءُ اللهِ تَعالى يوالي بعضُهُمْ بعضاً .

د ـ مَنْ والى يَهوديّاً فهوَ مثلُهُ .

هـ ـ الّذين يُوالونَ اليهودَ والنَّصارى مُنافقونَ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ السَّببَ في مُوالاةِ المُنافقينَ لأهْلِ الكِتابِ ، بيِّنْ ذلكَ .

٤ـ فسِّر كلاً منَ الآياتِ التّاليةِ :

أـ واحْذرهُم أنْ يَفْتِنوكَ عنْ بعضِ ما أنزلَ اللهُ إليكَ .

ب ـ أفَحُكْمَ الجاهليّةِ يَبْغونَ .

ج ـ فترى الّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعونَ فيهِمْ .

د ـ حَبِطَتْ أعمالُهم فأصْبَحوا خاسِرينَ .

٥ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ حادثةً تُبيِّنُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حَكَمَ فيها على اليهودِ بالحُكْمِ الَّذي جاءَ في القرآنِ الكريمِ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ - القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ
رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَذلّةٍ على المُؤْمنينَ	: عاطِفينَ عليهِم رُحماءَ بِهمْ .
أعزّةٍ على الكافرينَ	: أشدّاءَ عليهِمْ غُلَظاء .
لَوْمةَ لائمٍ	: اعتراضَ مُعْتَرِضٍ .
واسِعٌ	: كبيرُ الفضلِ والجودِ .
هُزُواً ولَعِباً	: سُخريةً ، وهَزْلاً ومُجوناً .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ حذّرَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ مِنْ موالاةِ اليهودِ والنَّصارى ، وجَّهَ نداءً آخرَ لعبادِهِ المُؤْمِنينَ ، بيّنَ لهمُ فيهِ خُطورةَ مُوالاةِ أعداءِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذين آمنوا لا يَتَّخذْ أحدٌ منكُم أحَداً مِنْ أعداءِ اللهِ تَعالى وليّا ونصيراً ، لأنّ وِلايَتَهُمْ تقودُ إلى مَضرَّتِكُمْ وخُسرانِكُمْ ، بلْ وإلى رِدَّتِكُمْ عنِ الحقِّ الّذي آمنتُم بهِ ، ورجوعِكُمْ عنهُ ، ومَنْ يَرْجِعْ منكُم عنِ الإيمانِ إلى الكُفْرِ فلنْ يَضُرَّ اللهَ تعالى بأيّ قَدْرٍ منَ الضَّررِ ، وإنْ فعلتُمْ ذلكَ فإنَّ اللهَ تَعالى سوفَ يأتي بقومٍ خَيْرٍ منكُمْ ، يُحبُّهمْ ، فيوفِّقُهمْ للهُدَى والطّاعةِ ، ويُحبّونَ اللهَ تَعالى فيُطيعونَهُ ، ولا يوالونَ أعداءَهُ ، وفيهِمْ تَواضعٌ ورحمةٌ بإخوانهِمُ المُؤْمنينَ ، وفيهِم شِدَّةٌ وغِلْظةٌ على أعدائِهِمُ الكافرِينَ ، وهؤلاءِ يُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ تَعالى ولا يَخافونَ في سبيلهِ لومةَ لائمٍ ولا اعتراضَ مُعترِضٍ ، وهذا مِنْ فضلِ اللهِ ـ تَعالى ـ ، يمنحُه لمِنْ يشاءُ ممَّنْ يُوفِّقُهمْ للخيرِ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ كثيرُ الفضلِ عليمٌ بمَنْ يَستحقّونَهُ منْ عبادِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ دليلٌ على أنَّ مَحبَّةَ اللهِ للمُؤْمنينَ منْ أعلى الغاياتِ الّتي يَتطلَّعونَ إليها . ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ الّذينَ تَجبُ مُوالاتُهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

إنَّما وليُّكُمُ اللهُ تَعالى الّذي بيدِهِ كلُّ خيرٍ والمَرجوُّ وحدَهُ في الشَّدائدِ والكُروبِ ، ورسولُهُ ﷺ الّذي أخرجَكُمْ بإذنِ اللهِ تَعالى مِنَ الظُّلماتِ إلى النّورِ ، والّذينَ آمنوا هُم منكُمْ وأنتُم منهُمْ ، فهُمْ الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ في مَواقيتِها بخُشوعٍ وإخلاصٍ ، ويُؤْتونَ الزَّكاةَ لِمُسْتَحِقّيها بسماحةٍ وطيبِ نَفْسٍ ، وهمْ خاشعونَ مُتواضعونَ للهِ تَعالى وليسوا مُرائينَ أوْ مَنّانينَ .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

ومنْ يتولَّ اللهُ تَعالى بأنْ يُطيعَهُ ويتوكَّلْ عليهِ ويتولّى رسولَهُ ﷺ بأنْ يتَّبعَهُ ويتأسَّى بهِ ، ويتولّى الّذينَ آمنوا بأنْ يُناصِرَهُمْ ويَشُدَّ أزْرَهُمْ ويتعاونَ معَهُم على البرِّ والتَّقوى ؛ مَنْ يفعلْ ذلكَ فَهُوَ مَنْ حِزْبِ اللهِ تَعالى ، الغالبونَ لغيرِهم منَ الأحزابِ الأخرى الّتي استحوذَ عَليْها الشيطانُ ، وأيُّ فضلٍ ونعمةٍ أحسنُ مِنْ أنْ يكونَ الإنسانُ في حزبِ اللهِ تَعالى .

ثمَّ نهى اللهُ تَعالى المُؤْمنينَ مُجدَّداً عنْ مُوالاةِ أعدائِهِمْ وأعداءِ دينِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا لا تَتَّخِذوا أعداءَ الإسلامِ الّذينَ اتَّخذوا دينَكُمْ سُخْرِيةً ولَهْواً ، وهُمُ اليهودُ والنَّصارى والمُشْركونَ ، لا تتَّخِذوهُمْ نُصراءَ ، ولا تَجْعلوا ولايَتَكُمْ لهمْ ، واتَّقوا اللهَ تَعالى في سائِرِ ما أمَرَكُمْ بهِ وما نهاكُمْ عنهُ ، فلا تُوالوا مَنْ نهاكُمْ عنْ مُوالاتِهِمْ ولا تخالِفوا للهِ تَعالى أمْراً إنْ كُنتمْ مُؤْمنينَ حقّاً ، مُمْتَثِلينَ صِدْقاً ، فإنَّ وصْفَكُمْ بالإيمانِ يُحتِّمُ عَليْكُمُ الطّاعةَ التّامَّةَ للهِ ربِّ العالمينَ .

﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

وإذا ناديْتُمْ أيُّها المُؤْمنونَ بَعْضَكُمْ بعضاً إلى الصَّلاةِ عنْ طريقِ الأذانِ ، اتّخذَ هؤلاءِ المُضلُّونَ ، الصَّلاةَ والأذانَ مَوْضوعاً لِسُخريَتِهِمْ ، وعَبَثِهِمْ وتَهَكُّمِهِمْ ، وتَضاحَكوا عليها وعليكُمْ ، وهذا الصّادرُ منهُم مِنَ استهزاءٍ وعَبَثٍ سببُهُ أنَّهمْ قومٌ سُفهاءُ ، جُهَلاءُ لا يُدْركونَ الأُمورَ على وجهِها الصَّحيحِ ، ولا يُدْركونَ الفَرْقَ بينَ الضَّلالِ والهُدى ، ولا يَستجيبونَ لِلحقِّ الّذي ظهرَ لهم بسببِ عِنادِهِمْ وأحقادِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وِلايةُ غيرِ المُؤْمنينَ رِدّةٌ عنْ دينِ اللهِ تَعالى .

٢ـ لا يَنبغي للمؤمنِ أنْ يخافَ في اللهِ تَعالى لومةَ لائِمٍ .

٣ـ وِلايةُ المؤمنِ إنَّما هيَ للهِ تَعالى ورسولِهِ والمؤمنينَ .

٤ـ مَنْ والى اللهَ والاهُ اللهُ .

٥ـ مِنْ عادةِ المْشركينَ السُّخريةُ مِنَ المؤمنينِ ودينهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أَذلّةٍ على المُؤْمنينَ ، أعزّةٍ على الكافِرينَ ، لومةَ لائم ، واللهُ واسِعٌ عليمٌ ، هُزُواً ولَعِباً .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ أوصافَ المُؤْمِنينَ الّذينَ يُحبُّهُمُ اللهُ تَعالى ويُحبّونَه ، وَضِّحْ هذهِ الصِّفاتِ .

٣ـ ما حُدودُ وِلايةِ المؤمنِ ؟ وما نَتيجةُ هذهِ الوِلايةِ ؟ اذْكُرِ الدَّليلَ على قولِكَ .

٤ـ لماذا نَهى اللهُ تَعالى عنْ مُوالاةِ أهلِ الكتابِ والمُشْرِكينَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ منْ سورةِ المُجادَلةِ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ آياتِ الدَّرسِ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أواخِرَ سورةِ المُطفِّفينَ الَّتي تُبيِّنُ سُخريةَ المُجرِمينَ مِنَ المسلِمينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ
ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ
عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **تنقِمونَ** : تَكْرَهونَ أو تَعيبونَ وتُنكِرونَ .
- **مَثوبةً** : جزاءً وعقوبةً .
- **عَبَدَ الطّاغوتَ** : الطّاغوتُ : كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ .
- **سواءِ السَّبيلِ** : الطريقِ المُعْتَدلِ وهوَ الإسلامُ .
- **السُّحْتَ** : المالَ الحرامَ .
- **الرَّبّانيّونَ** : عُبّادُ اليهودِ .
- **الأحبارُ** : علماءُ اليهودِ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ حذَّرَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ تحذيراً شديداً مِنْ موالاةِ أعدائِهِ ، شَرَعَ في توبيخِ أهلِ الكتابِ

على عنادِهِمْ وحَسدِهِمْ ، وَوَصَفهُمْ بِجُمْلَةٍ منَ الصفاتِ القبيحةِ الّتي ينأى عنها العقلاءُ وأصحابُ المروءةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) ﴾ .

قُلْ يا محمَّدُ ﷺ على سبيلِ التَّوبيخِ لأهلِ الكتابِ والتعَّجُبِ منْ أحوالِهِمْ ، قُلْ لهم : يا معشرَ اليهودِ والنَّصارى هلْ تعيبونَ علَيْنا وتُنْكِرونَ وتَكْرَهونَ منّا إلاّ أنَّنا آمنّا باللهِ تعالى الّذي يَجِبُ الإيمانُ بهِ والخُضوعُ لهُ ، لأنَّه سُبْحانَهُ الخالقُ لكلِّ شيءٍ حقّ ، آمنّا بما أُنْزِلَ إلينا منَ القرآن الكريم ، وآمنّا بما أُنْزِلَ مِنْ قبلُ مِنْ كتبٍ سماويَّةٍ كالتوَّراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وغيرِها مِنَ الكتبِ الّتي أنزلَها اللهُ تعالى على أنبيائِه ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ لا شكَّ في أنَّ إيمانَنا بذلكَ لا يُعابُ ولا يُنكرُ بلْ يُشْكرُ ، ولكنْ لأنَّ أكثرَكُمْ خارجونَ عنْ دائرةِ الإيمانِ الحَقِّ كَرِهْتُمْ منّا ذلكَ ، وأنكرتُموهُ علينا ، وحسدتُمونا على توفيقِ اللهِ إيّانا لِما يحبُّه ويرضاهُ . ومِنْ إنصافِ القرآنِ أنْ قال : (وإنَّ أكْثَرَكُمْ فاسِقونَ) ولمْ يُعمِّمِ الحُكْمَ ، لأنَّ منهُم فِئةً قليلةً مُؤْمِنةً ، وهُمُ الَّذينَ أَسْلَموا .

ثمَّ تابعَ سُبْحانَهُ التَّهكُّمَ بهم وتَعجيبَ النّاسِ بِهمْ وبفسادِ رأْيِهِمْ ، معَ تذكيرِهِمْ بسوءِ مصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦٠) ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ اليهودِ الّذينَ عابوا على المُؤْمنين إيمانَهُمْ باللهِ تَعالى وبما أنزلَهُ منْ كُتبٍ سماويَّةٍ ، والذّينَ قالوا لكُم : ما نعلَمُ أهلَ دينٍ أقلَّ حظّاً في الدُّنيا والآخرةِ منكُم ولا ديناً شرّاً منْ دينِكُمْ ، قلْ لهُم على سبيلِ التبكيتِ والتنبيهِ على ضَلالِهِمْ : هلْ أُخبرُكُمْ بشرِّ النّاسِ عُقوبةً عندَ اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ ؟ إنّه دينُ مَنْ لعنَهُ اللهُ تعالى وطَردَهُ منْ رحمتِه ، وغَضِبَ عليهِ ، ومَسَخَ بعضَهُمْ قِردةً وبعضَهُمْ خنازيرَ ، وجعلَ منهُم مَنْ عَبَدَ الطّاغوتَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، إنّ أولئكَ شَرٌّ مكاناً منْ غيرِهِمْ وأكثرُ ضَلالاً عنْ طريقِ الحقِّ المستقيمِ مِنْ سواهُم ، فهمْ في الدُّنيا يُشرِكونَ باللهِ تَعالى ، ويَنتهِكونَ مَحارِمَه ، وفي الآخرةِ مأواهُم النّارُ وبئسَ القرارُ .

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ (٦١) ﴾ .

وإذا جاءَ إليكُمْ أيُّها المؤمنونَ ، هذا الصِّنْفُ مِنَ النّاسِ أظهروا الإسلامَ ، وقالوا لكُمْ : آمنّا بأنَّكُمْ على حقٍّ ، وحالُهُمْ وحقيقتُهُمْ أنَّهمْ قدْ دَخَلوا إليكُمْ وهُمْ مُتلبِّسونَ بالكُفْرِ ، وخَرجوا مِنْ عندِكُمْ وهمْ مُتَلبِّسونَ بهِ أيضاً ، فهُم يَدخلونَ عليكُمْ ويَخرجونَ مِنْ عندِكُمْ وقُلوبُهُمْ كما هِيَ ،

لا تتأثرُ بالمَواعظِ الّتي يُلقيها الرّسولُ ﷺ ، لأنّهمْ قدْ قستْ قلوبُهُمْ وفَسدَتْ نفوسُهُمْ ، واللهُ تَعالى أعلمُ بما كانوا يُخفونَهُ مِنْ نِفاقٍ وخِداعٍ وحَسَدٍ وبَغْضاءَ لَكُمْ عندَ دُخولِهِمْ وعندَ خروجِهمْ ، فاللهُ سُبْحانَهُ لا تخفى عليهِ خافيةٌ مِنْ أحوالِهِمْ ، فاحْذَروهُمْ ولا توالوهُمْ .

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

وترى أيُّها الرّسولُ الكريمُ ﷺ ، وأيُّها السامعُ ، كثيراً منْ هؤلاءِ اليهودِ يُسارِعونَ في ارتكابِ الآثامِ والمعاصي ، وفي التّعدّي والظُّلْمِ ، وأكْلِ المالِ الحرامِ كالرّشوةِ والرِّبا مِنْ دونِ تردّدٍ ، لَبِئسَ ما يفعلونَهُ منْ هذهِ القبائحِ الدّالةِ على فسادِ أخلاقِهِمْ وسوءِ مُعامَلتِهِمْ .

ثمَّ وبَّخَ اللهُ تَعالى عُلَماءَ اليهودِ على سُكوتِهِمْ على هذا المُنْكَرِ الّذي فعلَهُ اليهودُ أعينُهُمْ دونَ نكيرٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ اليهودَ دَأْبُهُمْ المُسارَعةُ إلى اقْترافِ الآثامِ ، وإلى أكْلِ المالِ الحرامِ ، أما كانَ ينبغي أنْ يَنْهاهُمْ نُسّاكُهُمْ وعُلَماؤُهُمْ وأحبارُهُمْ عنْ هذهِ الأقوالِ الكاذبةِ الباطِلَةِ ، وعنْ تلكَ المآكلِ الخبيثةِ ، لَبِئسَ ما كانَ يصنعُ هؤلاءِ الأحبارُ مِنْ تَرْكِ النَّصيحةِ والنَّهي عنِ المَعصيةِ ، ولَبِئْسَ ما كانوا يَصنعونَ مِنْ أكلِ الحرامِ ، وارْتِكابِ المعاصي والآثامِ .

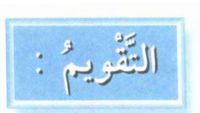
التّفسيرُ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يَحْسُدونَ المؤمنينَ علَى ما آتاهُمُ اللهُ مِنَ الإيمانِ الحَقِّ .

٢ـ بيانُ سوءِ طباعِ اليهودِ وأخلاقِهِمُ الفاسدةِ ، كالمُخادعةِ والحِقْدِ والحَسَدِ .

٣ـ خُطورةُ سُكوتِ أهْلِ العِلْمِ عنِ الفسادِ وارتكابِ المعاصي والآثامِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

تَنْقمونَ ، مَثوبةً ، عَبَدَ الطّاغوتَ ، سواءِ السَّبيلِ ، أَكْلِهِمُ السُّحْتَ ، الرَّبّانيّونَ ، الأحبارُ .

٢ـ لماذا نقَمَ أهلُ الكتابِ مِنَ المُؤْمِنينَ ؟

٣ـ ما الأوصافُ والرَّذائلُ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى عنِ اليهودِ في هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ بيّنْ مَنْزِلةَ اليهودِ عندَ الله تَعالى كما ذكرَتْها هذهِ الآياتُ .

٥ـ بيّنتِ الآياتُ مُخادَعةَ اليهودِ للمُؤْمِنينَ ، وضّحْ ذلكَ .

٦ـ ما الحالاتُ الّتي ذكرتْها الآيةُ (٦٣) عنْ علماءِ اليهودِ ؟

نَشاطٌ :

اكتبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الّتي تُبيّنُ سببَ إيمانِ اليهودِ أوّلَ النّهارِ وكُفْرِهِمْ آخِرَهُ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ المائدَةِ - القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَـٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ
جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَغْلولةٌ	: مَقبوضةٌ عنِ العطاءِ بُخْلاً .
أُمَّةٌ مقتصِدَةٌ	: مُعتدلةٌ ، مَنْ أسلمَ وتَبِعَ رسولَ ﷺ .
أقاموا التَّوراةَ والإنجيلَ	: عَمِلوا بما فيها مِنَ الأحكامِ على أتمِّ وَجْهٍ .
يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ	: يَحميكَ ويَحرُسُكَ مِنْ أنْ يَقْتلوكَ .

التَّفسيرُ :

بيّنتِ الآياتُ السّابقةُ جانباً مِنْ أحوالِ اليهودِ وطبائِعِهِمُ الفاسدةِ ، وبيّنَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ مَزيداً منْ طبائِعِهِم وسوءِ مُعتَقدِهِمْ وخُبْثِ قلوبِهِمْ وسوءِ أدبِهِمْ معَ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

وقالتِ اليهودُ : يدُ اللهِ تَعالى مقبوضةٌ لا تنبسطُ بالعطاءِ ، يُريدونَ وصْفَهُ تَعالى بالبُخْلِ ، وواقِعُ الأَمْرِ أَنَّهُمُ المُتَّصِفونَ بنَقيصَةِ البُخْلِ ، فَهُمُ المَغْلولَةُ أيْديهِمْ ، وهُمُ المَلْعونونَ بما نَسَبوهُ إلى رَبِّ العِزَّةِ مِنَ النَّقائِصِ واللهُ تَعالى غنيٌّ كريمٌ يُنفِقُ كما يشاءُ ، وإنَّ كثيراً منْ هؤلاءِ لإمعانِهِمْ في الضَّلالِ لَيَزيدُهُمْ ما أُنزِلَ إليكَ مِنْ ربِّكَ تباركَ وتَعالى ظُلْماً وكُفْراً ، لِما جُبلوا عليهِ مِنْ حِقْدٍ وحَسَدٍ ، وجعلَ اللهُ تَعالى بَينَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ إلى يومِ القيامةِ ، كُلَّما أشعلوا ناراً لِحَرْبِ رسولِ اللهِ ﷺ والمؤمنينَ أطْفَأَها اللهُ تَعالى بهَزيمتِهِمْ وانتصارِ نبيّهِ ﷺ وأتباعِهِ ، وإنَّ هؤلاءِ اليهودَ يَجتَهِدونَ في نَشْرِ الفسادِ في الأرضِ بالكَيْدِ والفِتَنِ وإثارةِ الحربِ ، واللهُ تَعالى لا يُحبُّ المُفسِدينَ .

وبعدَ أنْ حكَى اللهُ تَعالى عنهُمْ هذا المُعْتَقدَ الفاسِدَ ، بيّنَ فَتْحَ بابِ الخَيْرِ لهُمْ مَتى آمنوا واتَّقَوْا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

ولَوْ أنَّ أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى آمنوا برسولِ اللهِ ﷺ وبما جاءَ بهِ مِنْ حقٍّ ونورٍ ، واتَّقوا اللهَ تَعالى بأنْ صانوا أنْفُسَهُمْ عنْ كُلِّ ما لا يَرضاهُ ، لَو أنَّهُمْ فَعلوا ذلكَ لكفَّرَ اللهُ تعالى عنهُمْ سيِّئاتِهِمْ ، ورَفَعَ عنهُمُ العِقابَ ، وسَتَرَ عليهِمْ مَعاصيَهُمْ ، فلمْ يُحاسِبْهُمْ عَلَيْها ، ولأَدخلَهُمْ جنّاتِ النَّعيمِ في الآخرةِ .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

ولَو أنّهمْ حَفِظوا التَّوراةَ والإنْجيلَ كما نَزَلا ، وعمِلوا بما فيهِما وآمنوا بما أُنْزِلَ إليهِمْ وهوَ القرآنُ الكريمُ ، لوسَّعَ اللهُ تَعالى الرِّزْقَ ، وجَعَلَهُ يأتيهِمْ مِنْ كُلِّ جهةٍ يَلتمسونَهُ منْها ، وأفاضَ عليهِم بركاتِ السَّماءِ ، وأخرجَ لهُمْ بركاتِ الأرضِ . ومِنْ عَدْلِ اللهِ تَعالى أنَّهُ أنْصَفَهُمْ وبيَّنَ أنَّهمْ ليسوا سواءً ، فمنهُمْ جماعةٌ عادلةٌ عاقِلةٌ ، وهُمُ الّذينَ آمنوا بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ الكريمِ ، وكثيرٌ مِنْ أهْلِ الكتابِ لَبئسَ ما يَعملونَ ويَقولونَ وهُم عنِ الحقِّ مُعرِضونَ .

وبعدَ أنْ حكَى اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابقةِ ما كانَ عليهِ أعداءُ الإسلامِ وخُصوصاً اليهودُ مِنَ محاولاتٍ لِفتنةِ الرَّسولِ ﷺ ومِنْ دسائسَ حاكوها لِعرْقَلَةِ سَيْرِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ ، ومِنَ استهزاءِ

بتعاليمِ الدّينِ ، ومِنْ حِقْدٍ على المُؤْمنينَ لإيمانِهِمْ بِرُسلِ اللهِ تَعالى وكُتبهِ ومِنْ سوءِ أدبٍ معَ خالِقِهِمْ ورازِقِهِمْ ، بعدَ أنْ حكى اللهُ تَعالى كلَّ ذلكَ ، أتبعَهُ بتوجيه نداءٍ إلى الرَّسولِ ﷺ وأمَرَهُ بتبليغِ الدّينِ دونَ أنْ يلتفتَ إلى مَكْرِ الماكِرينَ أوْ حِقْدِ الحاقدِينَ ، فإنَّه سُبْحانَهُ قدْ حماهُ وعَصَمَهُ منهُم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

يا أيُّها المُرْسَلُ مِنَ اللهِ تَعالى أخْبِرِ النّاسَ بكلِّ ما أوحِيَ إليكَ مِنْ ربِّكَ ، وادعُهمْ إليهِ ولا تَخْشَ إلاّ اللهَ تَعالى ، فقدْ كلَّفَكَ بتَبليغِ جميعِ ما أُرْسِلْتَ بهِ ، وهو يحفظُكَ مِنْ كَيْدِ أعدائِكَ ، ويمنعُكَ مِنْ أنْ تَعْلَقَ نفسُكَ بشيءٍ مِنْ شُبُهاتِهِمْ واعْتِراضاتِهِمْ ، ويَصونُ حياتَكَ عنْ أنْ يعتديَ عليها أحدٌ بالقتلِ أوِ الإهلاكِ . وقدْ قامَ النَّبيُّ ﷺ بما أمرَهُ اللهُ تَعالى بهِ دون زيادةٍ أوْ نَقْصٍ ، وَحَفِظَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ المؤامَراتِ الَّتي حيكَتْ ضِدَّهُ .

وقدْ تَضمَّنَتْ هذه الآيةُ الكريمةُ مُعجِزَةً كبُرى للنَّبيِّ ﷺ ، فقدْ عَصَمَ حياةَ رسولِه ﷺ عنْ أنْ يُصيبَها قَتْلٌ أوْ إِهْلاكٌ على أيدي الكافِرينَ والحاقِدينَ ، مهما دبَّروا لهُ مِنْ كَيْدٍ ومَكْرٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ فسادُ مُعْتَقَدِ اليهودِ في ذاتِ الله تَعالى وتطاوُلُهُمْ عليه عزَّ وجلَّ .

٢ـ اللهُ عزَّ وجلَّ جوادٌ كريمٌ لا يَبْخَلُ بعطائِه عنْ أحدٍ .

٣ـ حَسَدُ اليهودِ للنَّبيِّ ﷺ جعلَهُمْ يَزدادونَ كُفْراً وطُغْيانا .

٤ـ كُلَّما أوقدَ اليهودُ ناراً لحربِ المسلمينَ هزَمَهُم اللهُ تَعالى ونَصَرَ المسلمينَ عليهِم وأطفأَها لهُمْ .

٥ـ الإيمانُ برسولِ اللهِ ﷺ وتحكيمُ شَرْعِ اللهِ يَفْتَحُ باب الرِّزْقِ ، ويكونُ مَدعاةً لِخَيْرِ الدُّنيا والآخرةِ .

٦ـ بابُ التَّوبةِ والأملِ مفتوحٌ لكلِّ النّاسِ ، بشرطِ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ .

٧ـ عصمةُ الرّسولِ ﷺ مِنَ الهلاكِ والقَتْلِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مَغْلولةٌ ، أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ فسادُ مُعْتَقَدِ اليهودِ .

ب ـ لا يُحقِّقُ اليهودُ أملَهُمْ مِنْ إشعالِ الحربِ معَ المسلمينَ .

ج ـ سعيُ اليهودِ الدَّؤوبُ للإفسادِ في الأرضِ .

د ـ الرسولُ ﷺ مَعصومٌ منَ القَتْلِ .

٣ـ ما وعْدُ اللهِ تَعالى لأهلِ الكتابِ إذا تحقَّقَ منهُم ما يلي :

أـ إذا آمنوا واتَّقوْا .

ب ـ إذا أقاموا التَّوراةَ والإنْجيلَ ، والتزموا بما أَنزلَ اللهُ تَعالى إليْهِم .

٤ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ مُعجزَةً للنَّبيِّ ﷺ ، بيِّنْ هذهِ المُعْجِزَةَ .

٥ـ بيّنتِ الآياتُ مُخادعةَ اليهودِ للمُؤْمنينَ ، وضّحْ ذلك .

٦ـ ما الحالاتُ الّتي ذكرتْها الآيةُ عنْ عُلماءِ اليهودِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحشرِ الّتي تُبيّنُ تَفرُّقَ اليهودِ وتَشتُّتَهُمْ .

٢ـ ارجعْ إلى كتابِ سيرةِ ابنِ هشامٍ ، واستخرِجْ منهُ حادثَتيْنِ تَدلّانِ على عِصْمةِ اللهِ تَعالى لرسولِهِ ﷺ ، وحمايَتِهِ لهُ مِنْ تآمُرِ اليهودِ والمشركينَ عَلَيْهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ
إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ
مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَسْتُمْ على شيءٍ : لا اعتدادَ بِما تَفعلونَ فكلُّهُ باطِلٌ .

فلاتَأْسَ : فلا تَحْزَنْ .

الصّابئونَ : قيلَ : هُمْ عَبَدَةُ الكواكبِ ، أوْ عبدةُ الملائكةِ .

فِتْنَةٌ : بلاءٌ وعذابٌ .

عَموا وصَمّوا : عطّلوا أعيُنَهُمْ وآذانَهُمْ عنْ رُؤيةِ الحقِّ وسَماعِهِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى قبائحَ مُعْتَقَدِ اليهودِ ، وعِصْمَتَهُ لِرَسولِهِ ﷺ ، أَمَرَهُ اللهُ بأنْ يُصارِحَ أهلَ الكتابِ ، بما هُمْ عليهِ منْ باطلٍ ، وأنْ يَدْعُوَهُمْ إلى اتّباعِ الحقِّ الّذي جاءَ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

يأمُرُ اللهُ الرّسولَ ﷺ ليقولَ لأهلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنّصارَى الّذينَ امتدَّتْ أيديهم إلى كُتبهِمْ بالتَّغييرِ والتَّبديلِ : إنّكُم لستُمْ على شيءٍ يُعْتَدُّ بهِ مِنَ الدِّينِ أو العلمِ أو المُروءَةِ ، ولنْ تكونوا على دينٍ صحيحٍ إلاّ إذا أَعْلنتُمْ جميعَ الأحكامِ الّتي أُنزلَتْ في التَّوراةِ والإنْجيلِ ، وعَمِلْتُمْ بها ، وآمنْتُم بالقرآنِ الموحى بهِ منَ اللهِ تَعالى إلى رسولِهِ ﷺ لهدايةِ النّاسِ ، لأنّ ذلكَ مما يُصَدِّقُهُ الإنجيلُ والتَّوراةُ . ولْتَتيقَّنْ أيُّها الرّسولُ الكريمُ ﷺ أنّ مُعظَمَ أهلِ الكتابِ سَيزدادونَ بالقرآنِ الموحى إليكَ ظُلْماً وكُفْراً ، وسَبَبُ ذَلِكَ أنّهُمْ كُلَّما عَلِموا مِنْهُ شَيئاً كَفَروا بهِ وكَذَّبوهُ ، ولأنَّ نفوسَهُمْ لا تميلُ إلى الخَيْرِ ، إنَّما تَنْحَدِرُ نحوَ القومِ الكافرينَ ، فإنَّهمْ همُ الّذينَ استحبّوا العَمى على الهُدى ، وفي المؤمنينَ غنىً لكَ عنْهُمْ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ أنَّ النّاسَ أمامَهُ سواءٌ ، وأنَّهُ لا تفاضُلَ بينَهم إلاّ بالإيمانِ والعَمَلِ الصّالحِ ، وأنَّ الإيمانَ الحقَّ يَقطعُ ما قبلَهُ مِنْ عقائدَ زائفةٍ وأفعالٍ سَيئَةٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

يُبيِّنُ اللهُ في هذهِ الآياتِ أنَّ أصْحابَ المِلَلِ مِنَ المُؤْمِنينَ مِنْ هَذهِ الأُمَّةِ واليَهودَ والصابئَةَ والنَّصارى ، كلُّ أولئكِ إذا أخلَصوا في الإيمانِ باللهِ تَعالى وصَدَّقوا بالبَعْثِ والجزاءِ ، وأتوْا بالأعمالِ الصّالحةِ الّتي جاءَ بها الإسلامُ ، فهُمْ في مَأْمَنٍ مِنَ العَذابِ وفي سُرورٍ بالنَّعيمِ يومَ القيامةِ .

وهذهِ الآيةُ الكريمةُ مَسوقةٌ للتّرغيبِ في الإيمانِ والعملِ الصّالحِ ، ببيانِ أنَّ كلَّ مَنْ آمنَ باللهِ تَعالى واليومِ الآخرِ ، واتّبعَ ما جاءَ بهِ النَّبيُّ ﷺ واستمرَّ على هذا الإيمانِ وهذا الاتّباعِ إلى أنْ فارقَ الحياةَ ، فإن اللهَ تَعالى يَرضى عنهُ ويُثيبُهُ ثواباً حَسناً ، ويتجاوزُ عمّا فَرَطَ منهُ منْ ذنوبٍ ، لأنَّ الإيمانَ الصّادِقَ يَجُبُّ ما قبلَه مِنْ عقائدَ وأعمالٍ زائفةٍ باطلةٍ وأقوالٍ فاسدةٍ .

وتستمرُّ آياتُ السّورةِ في فَضْحِ اليهودِ وبيانِ رذائِلِهمْ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

لقدْ أخَذْنا العَهْدَ الموثَّقَ المؤكَّدَ على بني إسرائيلَ في التَّوراةِ بأَنْ يَتّبعوا أحكامَها ولا يَكْتُموها ، وأرسلْنا إليهِمْ رُسُلاً كثيرينَ لِيُبيِّنوا لهُم أحكامَ اللهِ تَعالى ، ويُؤَكِّدوا عَهْدَ اللهِ تَعالى عليْهِمْ ، ولكنَّهُمْ نَقَضوا الميثاقَ وعَصَوا الرُّسلَ ، فكانوا كلَّما جاءَهُمْ رسولٌ بما لا تَشتهيهِ نفوسُهُمُ الشَّقيةُ ، وبما

لا تميلُ إليهِ قلوبُهُمْ الرَديَّةُ ، ناصَبوهُ العَداءَ ، فكذَّبوا بعضَ الرُسلِ ، ولمْ يَكْتفوا معَ الآخرينَ بالتَّكذيبِ ، بلْ أضافوا إلى ذلكَ أنْ قَتلوا بعضَهُمْ .

ومِمَّنْ حاوَلوا قَتْلَهُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كما حاولوا قتل رسولِ اللهِ ﷺ غيرَ أنّ اللهَ تَعالى نجّاهُما منهُمْ .

وبنو إسرائيلَ لا يُكَذِّبونَ الرُّسُلَ ويَقتلونَهُم إلاّ لأنَّهم جاؤوهُمْ بما يخالِفُ هواهُمْ ، ويَتعارضُ معَ أنانيَّتِهِمْ وشرِّهِم ومطامعِهم الباطلةِ . وهكذا الأُممُ عندما تفسدُ عقولُها ، وتُسيْطِرُ عليها الأطماعُ والشَّهَواتُ ، تَرى الحَسَنَ قبيحاً وتُحاربُ مَنْ يَهديها إلى الرَّشادِ حتّى لكأنَّهُ عدوٌّ لها .

﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ ﴾ .

وظنَّ بنو إسرائيلَ أنَّه لا تَنْزلُ بهِمْ شدائدُ تُبيِّنَ التَّائبينَ منْ غيرِ التّائبينَ ، ولذلكَ لمْ يَصْبروا على المِحنِ والابتلاءاتِ ، وضلَّ كثيرٌ منهُمْ وصاروا كالعُمْيانِ الصُّمِّ وأعرضوا عنِ الحقِّ . فسلَّطَ اللهُ تَعالى عليهم مَنْ أذاقَهُمْ الهوانَ والذُّلَّ ، وبعدَ حينٍ رَجَعوا إلى اللهِ تَعالى تائبينَ فتقبّلَ توبَتَهُمْ ، وأعادَ إليهم عِزَّهُمْ ، ولكنَّهمْ مِنْ بعدِ ذلكَ ضَلّوا مرَّةً أُخرى وصاروا كالعُمْي الصُّمِّ ، واللهُ تَعالى مُطَّلِعٌ عليهِمْ مُشاهِدٌ لأعمالِهِمْ ومُجازيهِمْ عليْها .

وهكذا شأنُ الأُممِ إذا ما اسْتحوذَ عليهِمُ الشَّيطانُ ، وتغلَّبَ عليهم حُبُّ الشَّهَواتِ ، وضَعُفَ الوازِعُ الدّينيُّ في نفوسِهِمْ ، إنَّهم في هذهِ الحالةِ يصيرُ همُّهُمْ مَقصوراً على تدبيرِ شؤونِ دُنياهُم ، فإذا ما وجدوا فيها مأكلَهُمْ ومشربَهُمْ وملذّاتِهِمْ أَغْمَضوا أعيُنَهُمْ عنْ آخرتِهِمْ ، بلْ ربَّما اسْتَهانوا وتهكَّموا بمنْ يُذكِّرُهُمْ بها ، فتكونُ نتيجةُ إيثارِهِمْ الدّنيا على الآخرةِ الشّقاءَ والتَّعاسةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الانحرافُ عنِ الدّينِ باطلٌ لا ثمرةَ لهُ .

٢ـ حَسَدُ أهلِ الكتابِ للنَّبيِّ ﷺ زادهُم طُغياناً وكُفْراً .

٣ـ النّاسُ أمامَ اللهِ تَعالى سواءٌ ، وإنَّما يتفاضَلونَ بما يُقدّمونَ منْ عملٍ صالحٍ .

٤ـ كانَ جزاءُ رُسُلِ اللهِ تَعالى عندَ بني إسرائيلَ أنْ كذَّبوا بعضَهُمْ ، وقتلوا بعضَهمُ الآخَرَ .

٥ـ الأُممُ عندَما تَنْجَرِفُ يصيرُ الباطلُ عندَها حقّاً والصّديقُ عدوّاً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ـ لستُمْ على شيءٍ ، فلا تأسَ ، الصّابئونَ ، فتنةٌ ، عَموا وصَمُّوا .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أ ـ لا ثمرةَ إلاّ للدِّينِ الحقِّ .

ب ـ الناسُ أمامَ اللهِ تَعالى سواءٌ .

ج ـ جاءَ بني إسرائيلَ رسلٌ كثيرونَ .

د ـ بنو إسرائيلَ قَتلوا الأنبياءَ والمُرْسَلينَ .

٣ـ بيِّنِ السَّببَ الّذي مِنْ أجلِه كَفَرَ بنو إسرائيلَ بالأنبياءِ وقَتلوا بعضاً منهُمْ .

٤ـ ما أثرُ الذُّنوبِ والمعاصي في الأُممِ منْ خلالِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ؟

نَشاطٌ :

١ ـ اكتبْ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تدلُّ على المعنى الواردِ في الآيةِ (٦٩) .

٢ ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ اسمَ نبيٍّ قتلَهُ اليهودُ .

٣ـ ارجعْ إلى القرآنِ الكريمِ ، ودوِّنْ في دفترِكَ بعضَ الآياتِ الّتي تحدَّثَتْ عنْ هلاكِ الأُممِ بسببِ ذنوبِها ، وتكذيبِها للرُّسلِ الكرامِ ـ عليهمُ الصّلاةُ والسَّلامُ ـ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ العِشرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ
إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ
مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَلَتْ : مَضَتْ .

صِدِّيقةٌ : كثيرةُ الصِّدقِ معَ الله تَعالى .

أنّى يُؤفكونَ : كَيفَ يُصْرَفونَ عنْ تدبُّرِ الدَّلائلِ البيِّنةِ وقبولِها .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى أنماطاً منْ قبائحِ اليهودِ ، وصِفاتِهمُ الذَّميمةِ ، شَرَعَ في بيانِ قبائحِ النَّصارى وضَلالاتِهم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

أقسمَ اللهُ تعالى بأنّه لمْ يُؤْمِنْ باللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ منْ يَزْعُمْ أنّ اللهَ حلّ في عيسى ابنِ مريمَ حتّى صار إلهاً كما يقولُ كثيرٌ مِنَ النّصارَى ، معَ أنّ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ براءٌ منْ هذهِ الدَّعوى ، فإنّه ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أمَرَ بني إسرائيلَ أنْ يُخْلِصوا الدينَ للهِ وحدَهُ قائلاً لهمْ : أفْرِدوا اللهَ وحْدَهُ بالعِبادَةِ ، فهْو المُسْتَحِقُّ لَها دونَ غَيْرِهِ ، فإنّهُ ربّي وربُّكُمْ ، ومالكُ أمْرِنا جميعاً ، وإنَّ كلَّ مَنْ يدَّعي أنّ للهِ تعالى شريكاً ، فإنَّ جزاءَهُ ألاّ يَدْخُلَ الجنَّةَ أبداً وأنْ تكونَ النّارُ مصيرَهُ ، ولَنْ تَجِدَ لَهُ نَصيراً يَمْنَعُهُ ويَحْميه مِنْ ذلكَ العَذابِ .

وهذا القولُ في عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قولُ طائفةٍ مِنَ النّصارَى ، وقدْ بيّنَ اللهُ تعالى قولاً لِطائفةٍ أو طوائفَ أُخرى منهُم ، فإنَّ النّصارَى طوائفُ مُتَفرِّقةٌ في العقائِدِ والنِّحَلِ ، إلاّ أنَّهُمْ يَجتمِعونَ على الكُفْرِ والضَّلالِ ، فهُم شِيَعٌ شتّى وفِرَقٌ مُتكاذِبةٌ ، كلُّ شيعةٍ تُكفِّرُ الأُخرى ، وتُعارِضُها في مُعتَقداتِها .

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

لقدْ كفرَ أولئكَ الّذينَ قالوا إنّ اللهَ تعالى ثالثُ ثلاثةٍ كُفْراً شديداً ، ويَعنونَ بذلكَ اللهَ الَّذي يَدْعونَهُ أباً ، وعيسى الّذي يَدْعونَهُ ابْناً ، وجبْريلُ الّذي يَدْعونَهُ الرّوحَ القُدُسَ .

والحقُّ الثّابتُ أنّه ليسَ هناكَ إلاّ إلهٌ واحدٌ مُسْتَحِقٌ للعبادةِ والإلهيّةِ ، وإنْ لمْ يرجِعْ هؤلاءِ الّذينَ قالوا بالتّثليثِ عنَ عقائدِهِمْ الزّائفةِ وأقوالِهُمْ الفاسدةِ ، ويَعتصموا بِعُرْوةِ التّوحيدِ ، لَيُصيبَنَّ الّذينَ استمرّوا على الكفرِ منهُم عذابٌ شديدٌ موجِعٌ .

وبعدَ هذا التّرهيبِ الشّديدِ للكافرينَ مِنَ العذابِ الأليم ، فتحَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بابَ رحمته للتّائبينَ ، فرغّبَهُمْ في الإيمانِ ، وأنْكرَ عليهِمْ تَقاعُسَهُمْ عنهُ بعدَ أنْ ثبتَ بُطلانُ ما همْ عليهِ منْ عقائدَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

ألا يَنتهي هؤلاءِ عنْ تلكَ العقائدِ الزّائفةِ ، ويَرجعوا إلى الإيمانِ باللهِ تعالى ، ويَطلبوا منه التّجاوزَ عمّا وقع منهُم مِنَ الذّنوبِ ، إنّ اللهَ تعالى واسعُ المغفرةِ عظيمُ الرّحمةِ .

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اخْتِلافَ النَّصارى في عيسى ، فَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ اللهُ ، ومِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ ثالِثُ ثَلاثَةٍ ، بَيَّنَ القَوْلَ الحَقَّ في عيسى ، فَهُوَ رسولٌ كَبقيّةِ الرُّسُلِ ، أنْعَمَ اللهُ تَعالى عليهِ بالرِّسالةِ كما أنعمَ على كثيرٍ مِمَّنْ سبقه مثلِ : نوحٍ وإبراهيمَ وموسى ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وغيرِهم ، وأُمّ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ما هيَ إلاّ إحدى النِّساءِ طُبِعَتْ على الصِّدقِ في قَوْلِها بربّها ، وكانَتْ هِيَ وابنُها عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يأكُلانِ الطّعامَ والشَّرابَ ، وفي ذلكَ علامةٌ على البَشَريّةِ ، فالإلهُ لَيْسَ بحاجَةٍ إلى الأَكْلِ والشُّرْبِ ، والَّذي يَأْكُلُ ويَشْرَبُ ، يَتبوَّلُ ويَتَغوَّطُ كَما يَفْعَلُ البَشَرُ ، واللهُ تَنَزَّهَ عَنِ القاذوراتِ والأَوْساخِ . فتأمَّلْ أيُّها السامعُ حالَ هؤلاءِ الّذينَ عَمُوا عنْ دَلالَةِ الآياتِ الواضحةِ الّتي بيّنها اللهُ تَعالى لهم ، ثمَّ تأمَّلْ كيفَ يَنْصَرِفونَ عنِ الحقِّ معَ وُضوحِه . ثمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى نبيّهُ ﷺ أنْ يُوَبِّخَ هؤلاءِ النَّصارى الّذينَ ضلّوا معَ وضوحِ الدَّلائلِ القائدةِ إلى الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

قُلْ يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ النّصارى : أَتعبدونَ منْ دونِ اللهِ تَعالى عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأُمَّهُ ؟ وهما لا يَستطيعانِ أنْ يَضُرّاكُمْ بشيءٍ مِنَ الضَّررِ في الأَنْفُسِ والأموالِ ، ولا أنْ يَنْفعاكُمْ بشيءٍ مِنَ النَّفعِ كإيجادِ الصِّحةِ والخِصْبِ والسَّعةِ ؟ . والضَّررُ والنفعُ مِنَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، واللهُ تَعالى وَحْدَهُ هوَ السَّميعُ لما تَنْطِقونَ ، العليمُ بجميعِ أحوالِكمْ وأعمالِكُمْ ، وسَيُحاسِبُكُمْ على ذلكَ ، وسَيُجازيكُمْ عى أقوالِكُمُ الباطلةِ وعقائدكُمُ الزّائفةِ بما تَستحقّونَ مِنْ عذابٍ أليمٍ ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مَنْ قالَ إنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ إلهٌ ، فهوَ كافرٌ ، ومَنْ قالَ إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ فهوَ كافرٌ .

٢ـ بابُ التَّوبةِ مفتوحٌ لمنْ رَجَعَ إلى اللهِ تَعالى وأنابَ إليهِ وتخلّى عنِ الكفرِ والفُجورِ .

٣ـ عيسى ابنُ مريمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وأُمّه ليسا إلاّ بَشَراً كالبشرِ ، لكنَّ اللهَ تَعالى اختارَ لهُما الفضلَ .

٤ـ النَّفعُ والضَّرُّ بيدِ اللهِ تَعالى وَحْدهُ ، حيثُ لا ضارَّ ولا نافعَ إلاّ هو ـ سُبْحانَهُ ـ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

خَلَتْ ، صِدّيقةٌ ، أنَّى يُؤفَكونَ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ مدّعي أُلوهيةِ المسيحِ كافرٌ .

ب ـ منْ زعمَ أنّ للهِ تَعالى شَريكاً فهوَ كافرٌ .

ج ـ لا يستحقُّ الألوهيَّةَ والعبادةَ إلاّ إلهٌ واحدٌ .

د ـ منْ تابَ ، تابَ اللهُ تَعالى عليهِ .

٣ـ للنّصارى أقوالٌ متعدِّدةٌ في اللهِ تَعالى بيّنتْها الآياتُ الكريمةُ ، وضّحْ ذلكَ .

٤ـ بيّنْ أثرَ كونِ الضّرِّ والنَّفعِ بيدَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أسماءَ ثلاثِ طوائفَ منْ طوائفِ النَّصارى .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والعِشْرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟
مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ
كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لاتَغْلوا : لا تتجاوَزوا الحدَّ ، ولا تُفرِّطوا .

أهواءَ : آراءَ قومٍ دعَتْ إليها الشَّهوةُ دونَ حُجَّةٍ ولا بُرهانٍ . وكلُّ رَأْيٍ اتَّبَعَهُ صاحِبُهُ في مُقابِلِ الشَّرْعِ فَهُو اتّباعٌ لِلْهَوى .

لُعِنَ : طُرِدَ منْ رحمةِ اللهِ تَعالى .

لا يتَناهوْنَ عنْ مُنْكَرٍ : لا ينهى بعضُهُمْ بعضاً عنْ مُنْكَرٍ .

سَخِطَ اللهُ عَليهِمْ : غَضِبَ الله تَعالى عليهِمْ بما فَعَلوهُ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى فسادَ مُعتَقدِ النَّصارَى في ذاتِ اللهِ ، أرشدَهُمْ إلى طريقِ الحقِّ ، ونهاهُم عنِ الغُلُوِّ الباطلِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها الرَّسولُ ﷺ لأهلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنَّصارَى : إنّ اللهَ تعالى ينهاكُمْ أنْ تتجاوَزوا في مُعتَقداتِكُمْ حدودَ الحقِّ ، وتَميلوا إلى الباطلِ ، فتجعَلوا بعضَ خَلْقِهِ آلهةً أوْ تُنكِروا رسالةَ بعضِ الرُّسلِ ، وَينْهاكُمْ أنْ تَسيروا وراءَ شَهواتِ أُناسٍ سَبَقوكُمْ قدْ تجنَّبوا طريقَ الهُدى ، ومنَعوا كثيراً منَ النَّاسِ أنْ يَسْلكوها ، واستمرُّوا عَلى مُجافاتِهم طريقَ الحقِّ الواضحِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكريمةِ وصفٌ للنَّصارَى بثلاثةِ أوصافٍ هي : أنَّهم كانوا ضالّينَ منْ قبلُ ، وأنَّهُم كانوا مُضلِّينَ لغيرِهِمْ ، وأنَّهم استمرُّوا على تلكِ الحالِ منَ الضَّلالِ .

وممّا يُستفادُ منْ هذهِ الآيةِ أنّ الغُلُوَّ في الدّينِ ، بمعنى مجاوزةِ الحقِّ إلى الباطِلِ أمرٌ مُنكَرٌ وباطلٌ . جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ :(إياكُم والغلوَّ في الدّينِ ، فإنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قبلَكم بالغُلوِّ في الدِّينِ)[1] .

ثمَّ حَكى اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ بعضَ الرّذائلِ الّتي شاعَتْ في بني إسرائيلَ ، وبسببها اسْتَحقّوا اللّعنَ والطَّرْدَ منْ رحمةِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

هذا إخبارٌ مِنْ رَبِّ العِزَّةِ عَنْ لَعْنِهِ لِلْكُفّارِ مِنْ بني إسْرائيلَ فيما أنْزَلَهُ في الزَّبورِ على نبيِّهِ داودَ - عليْهِ السَّلامُ - وفي الإنجيلِ على نبيِّهِ عيسى - عليْهِ السَّلامُ - وذلكَ بسببِ تمرُّدِهِمْ على طاعةِ اللهِ تَعالى وتماديهِمْ في الظُّلمِ والإفسادِ .

﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

مِنْ مَظاهرِ عِصيانِ هؤلاءِ الكافرينَ مِنْ بني إسرائيلَ وتعدّيهم ، الّذي أدّى إلى لَعْنِهِمْ وطَرْدِهِمْ منْ رحمةِ اللهِ ، أنَّهم كانُوا لا ينهى بعضُهُمْ بَعْضاً عنِ اقترافِ المُنكَراتِ واجتِراحِ السَّيئاتِ ، بلْ كانوا يَروْنَ المُنكَراتِ تُرتكَبُ فَيَسْكُتونَ عنها من دونِ استنكارٍ لها ، معَ قدرتِهِمْ على مَنْعِها قبلَ وُقوعِها ، وهو منْ أقبحِ ما كانوا يَفعلونَهُ .

وأسْوأُ ما تُصابُ به الأُممُ في حاضرِها ومُستقبلِها أنْ تَفْشوَ فيها المُنكَراتُ والسَّيئاتُ والرَّذائلُ فلا تَجدُ مَنْ يَسْعى لِتغييرِها وإزالتِها ، وقدْ جاءتْ أحاديثُ كثيرةٌ تَحُثُّ عَلى الأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ، ص ٢٥ رقم ٣٢٥ ، طبعة الحلبي .

المُنكرِ ، منْها الحديثُ المشهورُ : (مَنْ رأى مِنكمْ مُنكرا فليغيّرْهُ بيدِه ، فإنْ لمْ يستطعْ فبلسانِه ، فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبِه ، وذلك أضعفُ الإيمانِ)[1] .

ثُمَّ ذَمَّ اللهُ اليهودَ في العهدِ النَّبويِّ المُباركِ في تَحالُفِهِمْ معَ المُشركينَ ضدَّ المسلمينَ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ترى يا محمَّدُ ﷺ كثيراً من بني إسرائيلَ يَتولَّوْنَ المشركينَ ، ويَنْصُرونَهُمْ على حربِ الإسلامِ . وقدْ ذمَّ اللهُ هذا الفِعْلَ ، وأخْبَرَ أنَّهُ أسْخَطَ اللهَ وأغْضَبَه عَلَيْهِمْ ، وتوعَّدَهُمْ بالخُلودِ في النَّارِ جَزاءَ تولِّيهِمْ الكُفَّارَ ومَحارَبَتِهِمُ المسلمينَ .

ثمَّ بيّنَ اللهُ تَعالى الدَّوافعَ الّتي حَمَلتِ الفاسِقينَ منْ أهلِ الكتابِ على وِلايةِ الكافرينَ ، ومُصادَقَتِهِمْ ومُعاوَنَتِهِمْ على حربِ الإسلامِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

ولو صحتْ عقيدةُ هؤلاءِ في الإيمانِ باللهِ تَعالى ورسولِه محمّدٍ ﷺ وما أُنزلَ إليهِ مِنَ القرآنِ ، لَمنعَهمْ ذلكَ الإيمانُ عنْ مُوالاتِهِمُ الكُفّارَ ضِدَّ المؤمنينَ ، ولكنَّ كثيراً منْ بني إسرائيلَ عاصونَ خارِجونَ عنِ الدّينِ الحَقِّ .

وبهذا نَرى أنَّ هذهِ الآياتِ الكريمةَ قدْ بيَّنَتْ ما عليهِ الكافرونَ مِنْ بني إسرائيلَ منْ صفاتٍ ذميمةٍ قادتْهُمْ إلى أنْ يلعنَهُمُ اللهُ تَعالى ويطردَهُمْ منْ رحمتِه ، حتّى يَحْذرَهُمُ المسلمونَ ، ويَجتنِبوا سُلوكَهُمُ السَّيِّءَ وخُلقَهُمُ القبيحَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الغُلوُّ في الدّينِ بتركِ الحقِّ إلى الباطلِ أمرٌ مذمومٌ .

٢ـ اتِّباعُ الضّالّينَ والمُفسدينَ ضلالٌ وفسادٌ .

---

(١) رواه الإمام مسلم ١/ ٦٩ حديث رقم (٤٩) .

٣ـ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المُنكَرِ منَ الواجباتِ الشَّرعيَّةِ المهمَّةِ .

٤ـ وِلايةُ الكافِرينَ أمرٌ مَذمومٌ ، لأنَّها تقودُ إلى سَخَطِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

لا تَغلُوا ، أهواءَ ، لُعِنَ ، لا يتَناهوْنَ عنْ منكرٍ ، سَخِطَ اللهُ عليهِمْ .

٢ـ لماذا كانَ الغُلوُّ في الدّينِ أمراً مَذْموماً ؟ .

٣ـ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المُنكَرِ واجبٌ شرعيٌّ ، وضّحْ ذلكَ منْ آياتِ الدَّرسِ .

٤ـ هاتِ دليلاً منَ السُّنَّةِ على وجوبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المُنكَرِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ كيفَ يكونُ تغييرُ المنكرِ بالقَلْبِ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ اسمَ الزّعيمِ اليَهوديِّ الذّي حرّضَ المشرِكينَ في مَكّةَ على حربِ رسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ ارجعْ إلى أحدِ كتبِ السيرةِ ، واكتبْ موضوعاً عنْ دورِ اليهودِ في غزوةِ الأحزابِ (الخندق) وضَعْهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثاني والعِشرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم
مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا
وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا
مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **قِسِّيسينَ** : رُؤساءَ النَّصارى وعُلماؤهُمْ .
- **تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ** : تمتلىءُ أعينُهُمْ بالدَّمعِ فتصبُّهُ .
- **أَثَابَهُمْ** : جازاهُم وكافأَهُم .

التَّفسيرُ :

بعدَ بيانِ سوءِ اعتقادِ اليَهودِ والنّصارى ، وفسادِ ما يَعملونَ ، أخذَ سبحانَهُ وتَعالى في بيانِ العلاقةِ بينَ هذهِ الطّوائفِ والمُؤْمنينَ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) ﴾ .

تاللهِ لَتجدَنَّ أشدَ النّاسِ عداوةً للمؤمنينَ اليَهودَ ، لأنَّهم أهلُ عنادٍ وجُحودٍ وغَمْطٍ للحُقوقِ ، يَحسُدونَ النَّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ تَعالى منْ فضلِهِ ، بخاصّةٍ أهلُ العلمِ والدّينِ ، ولذلكَ تراهُم قَتَلوا الأنبياءَ بغيرِ حقّ وقَتلوا الّذينَ يَأمرونَ بالقِسْطِ منَ النّاسِ ، ومواقِفُهُمْ في مُناوأةِ النبيّ ﷺ وتآمُرُهُمْ عليهِ مشهورةٌ ، فقدْ همُّوا بقتلِه وحاوَلوا ذلكَ مراراً ، فسحروهُ وسمُّوهُ وألَّبوا عليهِ القبائلَ ، وكانوا مصدرَ النِّفاقِ والشَّغَبِ . هذا شأنُهُمْ دائماً ، فهُم أهلُ مَكْرٍ وخيانةٍ غَلَبَتْ عليهمُ الأنانيَّةُ وحبُّ المادّةِ ولؤمُ الطَّبْعِ وسوءُ الصُّنْعِ ، ويَقْرُبُهُمْ في هذا أهلُ الشِّركِ وعُبَّادُ الأوثانِ ، فهُم مشتركونَ معَهُم في أخسِّ الصِّفَاتِ وإنْ فاقَهُم اليهودُ . وأشدُّ ما لاقى النَّبيُّ ﷺ والمُؤمِنونَ مِنَ العداوةِ والإيذاءِ كانَ منْ يهودِ الحجازِ في المدينةِ وما حولَها ومنْ مشركي العربِ ، ولا سيَّما أهلَ مكّةَ وما حولَها ، والتاريخُ قديماً وحديثاً مليءٌ بالشواهِد على ذلكَ .

ثُمَّ تحدَّثَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى عَنْ طائِفة مِنَ النَّصارى ، مِنْهُمْ بعضُ نصارى الحَبَشَةِ عِنْدَما قُرِئَ عَلَيْهِمْ القُرآنُ عَرَفوا أنَّهُ حَقٌّ ، فآمَنوا واهْتَدوْا ودَخلوا في زُمْرَةِ المُؤْمنينَ . وقالَ اللهُ في هذهِ الزُّمْرَةِ المُؤْمِنَةِ مِنَ النَّصارى ومَنْ كانَ عَلى شاكِلَتِهِمْ : ولَتجدَنَّ أيُّها الرَّسولُ ﷺ أقْرَبَ النّاسِ مودَّةً وأكثرَهُمْ محبَّةً للَّذينَ آمنوا بكَ وصدَّقوكَ هؤلاءِ الَّذينَ قالوا إنّا نصارى ، ذلكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسّيسينَ ورُهْباناً لا يَسْتَكْبِرونَ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ إذا عَرَفوهُ ، ولِذلِكَ قالَ فيهِمْ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) ﴾ .

أيْ: ودَليلُ عَدمِ اسْتِكْبارِهِمْ أنَّهُمْ عِنْدما سَمِعوا ما أُنزِلَ على رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قرآنٍ ، تأثَّرتْ قلوبُهُمْ وخَشعَتْ نفوسُهُمْ وسالَتْ دُموعُهُمْ منْ أعينِهم بغزارةٍ وكثرةٍ ، منْ أجلِ ما عرفُوهُ مِنَ الحقِّ الّذي بيَّنهُ لهُمُ القرآنُ الكريمُ بعدَ أنْ كانوا غافلينَ عنْه ، فإذا كانَ ذلك منهُمْ انطلقَتْ ألسنتُهُمْ بالدُّعاءِ قائلينَ : ربَّنا آمنَّا بكَ وبرسُلِكَ ، وبالحقِّ الّذي نزَّلتَهُ عليهِم ، فاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ ، الّذينَ شَهِدوا بأنَّ رسولَكَ حَقٌّ ، وأنَّ ما جاءَ بِهِ حَقٌّ .

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) ﴾

وقالوا أيضاً : وأيُّ مانعٍ يمنعُنا منَ الإيمانِ باللهِ تَعالى ، وبما جاءَنا مِنَ الحَقِّ المُنْزَلِ على رسولِه وهو القرآنُ والهادي إلى الرُّشدِ ، ونحنُ نطمعُ أنْ يُدْخِلَنا ربُّنا بِسَبَبِ إيمانِنا معَ القومِ الَّذينَ صَلَحَتْ

أنفسَهُمْ بالعقيدةِ الصَّحيحةِ ، وبالعِباداتِ الصّحيحةِ وبالأخلاقِ الفاضلةِ ، وهُمْ أتباعُ محَمّدٍ ﷺ .

ولقدْ صَدّقَ هؤلاءِ اللهَ تَعالى فيما قالوه بإخْبارِهِ عمّا أعدَّهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوابِ في قولِهِ :

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

فكافأَهُم اللهُ تَعالى بسببِ أقوالِهِمْ الطَّيبةِ الدَّالَّةِ على إيمانِهِمْ وإخْلاصِهِمْ جنّاتٍ تجري مِنْ تحتِ بَساتينِها وأشجارِها الأنهارُ ، وهُمْ باقونَ في تلكَ الجَنّاتِ بقاءً لا موتَ معَهُ ، وذلكَ العطاءُ الجزيلُ الّذي منحَهُمْ اللهُ تَعالى إيّاهُ إنّما هوَ جزاءُ المُحسنينَ المؤمنينَ المُخلِصينَ في أقوالِهِمْ وأعمالِهِمْ .

هذا جزاءُ النَّصارى الّذينَ سَمِعوا ما أُنزِلَ إلى الرَّسولِ ﷺ فآمنوا بهِ ، وقالوا ما يَشهدُ بصفاءِ نُفوسِهِمْ . أمَّا النَّصارى الّذينَ سَمِعوا فأعرَضوا ، وجَحدوا ، فقدْ بيّنَ اللهُ تَعالى مصيرَهُمُ السَّيِّءَ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

والّذينَ كفروا وجَحدوا الحقَّ الّذي جاءَهُمْ مِنَ النَّصارى الّذينَ بَقوا عَلى كُفْرِهِمْ ، ومِنْهُمُ الّذينَ حَدَّثَنا اللهُ عَنْهُم في آياتٍ سابقَةٍ ، كالَّذينَ زَعَموا أنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ، أو الّذينَ قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ ، فهؤلاءِ مُكَذِّبونَ بآياتِ اللهِ ووحَدانيتِهِ ، ومُكذِّبون للرُّسُلِ ، وهؤلاءِ أصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

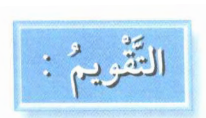
١ـ عَداءُ اليهودِ مُستحكِمٌ للمؤمِنينَ ، وهُمْ والمشركونَ في هذا سواءٌ .

٢ـ النَّصارى أقربُ للمسلمِينَ مِنَ اليهودِ بما عِنْدَهُم مِنْ زواجرَ عنِ العداءِ .

٣ـ النَّصارى الّذينَ أثْنى عَلَيْهِمْ هُمْ طائِفَةٌ آمَنوا باللهِ وصَدَّقوا رَسولَهُ ، أمّا الّذينَ يَكْفُرونَ بِهذا الدّينِ مِنَ النَّصارى ، فَمَصيرهُمُ النّارُ خالِدينَ فيها .

٤ـ المؤمنونَ بالنَّبيِّ ﷺ همُ القومُ الصّالِحونَ .

٥ـ مَنْ أطاعَ اللهَ تَعالى كافأهُ بالحُسنى ، ومَنْ عصى اللهُ فالنَّارُ مأْواهُ .



التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قِسِّيسينَ ، تَفيضُ مِنَ الدّمْعِ ، أَثَابَهُم .

٢ـ بيِّنْ السِّرَّ في عداوةِ اليهودِ الشَّديدةِ للمؤمنينَ .

٣ـ لماذا كانَ النَّصارى أقربَ إلى المؤمنينَ مِنَ اليهودِ ؟

٤ـ بيِّنِ الأثرَ الحاصلَ لبعضِ النّصارى عندَ سماعِهِمْ للقرآنِ الكريمِ .

٥ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ المؤمنونَ همُ القومُ الصَّالحونَ .

ب ـ منَ أطاعَ اللهَ تَعالى كافأَهُ بالحُسنى .

ج ـ منْ عصى اللهَ تَعالى عذّبَهُ في جهنّمَ .

* * *

الدَّرسُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا
يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ
مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ
أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- طّيبّاتِ : مُستلذّاتٍ وحلالاً .
- لا تعتَدوا : لا تتجاوَزوا حدودَ اللهِ تَعالى .
- طَيِّباً : غيرَ مُسْتَقْذَرٍ .
- اللَّغوِ : ما يجري على اللّسانِ منْ غيرِ قصدٍ .
- عقَّدتُّمْ الأَيمانَ : وثّقتمُوها بالقَصْدِ والنِّيةِ .
- كَفَّارتُهُ : هيَ الأعمالُ الّتي تُزيلَ أوزارَ الذُّنوبِ والأَيْمانِ .
- مِنْ أوسطِ ما تُطعِمونَ أهليكُم : الوسطُ في الطّعامِ يُقَدَّرُ بما لا يَبْلُغُ حَدَّهُ الأعْلى ولا حدَّهُ الأَدْنى ، فهُوَ بَيْنَ أجْوَدِ الطّعامِ وأرْدَئِهِ .
- تحريرُ رقبةٍ : عِتْقُها مِنَ الرِّقِّ .



بعدَ أنْ حَدَّثَنا اللهُ تَعالى عنْ أهلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنَّصارَى ، وجّهَ ـ سبحانَهُ وتَعالى ـ نداءَه للمؤمنينَ ، وبيَّنَ لهُم بَعْضَ ما شَرَعَ لهُم في المَأْكَلِ والمَشْرَبِ وَكَفَّارَةِ الأيْمانِ ، ، فقالَ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٨٧) ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنُوا باللهِ إيماناً حقّاً ، لا تُحَرِّموا على أنفسِكُمْ شيئاً مِنَ الطَّيباتِ الَّتي أحلَّها اللهُ لكُم ، فإنّهُ سبحانَهُ ما أحلَّها لكُمْ إلاّ لِما فيها منْ منافعَ وفوائدَ تُعينُكُمْ على شؤونِ دينكُمْ ودُنياكُمْ ، ولا تتجاوَزوا الحدودَ الّتي شرَعَها اللهُ تَعالى لكُم مِنَ التَّوسُّطِ في أُمورِكُمْ ، فاللهُ تَعالى لا يُحبُّ المُتَجاوزِينَ لحدودِهِ .

ثمَّ أمرَهُم سبحانَهُ بالتّمتُّعِ بالرِّزقِ الحلالِ ، فقالَ سبحانَه :

﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾

وكُلوا أيّها المُؤْمِنونَ مِنَ الرِّزقِ الحلالِ الطّيبِ الّذي رزَقَكُمُ اللهُ تَعالى إيّاهُ وتفضَّلَ عليكُمْ بهِ ، واتَّقوا اللهَ تَعالى الَّذي أنتُمْ بهِ مُؤمنونَ ، بأنْ تَصونوا أنفسَكُمْ عنْ كلِّ ما يُغْضِبُهُ ، وَتَلْتزموا في كلِّ مَأْكلِكُمْ ومشرَبِكُمْ وملبسِكُمْ ، وسائرِ شؤونِكُمْ حدودَ اللهِ تَعالى وتوجيهاتِ رسولِه ﷺ .

والمُرادُ بالأكْلِ والشُّرْبِ هُنا مُطلَقُ التَّمتُّعِ الحلالِ بما أحَلَّ اللهُ تَعالى .

وهاتانِ الآيتانِ تَنْهَيانِ المؤمنينَ عنْ تحريمِ الطّيباتِ الّتي أحلَّها اللهُ تَعالى لَهُمْ ، وتأمُرُهُمْ بالتَّمتُّعِ بها دونَ إسرافٍ أوْ تقتيرٍ ، معَ خَشْيتِهِمْ للهِ تَعالى وشُكْرِهِ على ما وهبَهُمْ منْ نِعَمٍ ، لأنَّ تَرْكَ هذهِ الطّيباتِ يُؤدّي إلى ضَعْفِ العقولِ والأجسامِ ، والإسلامُ يُريدُ منْ أتباعهِ أنْ يكونوا أَقْوياءَ في عُقولِهم وفي أجسامِهِمْ وفي سائرِ شُؤونِهِمْ ، لأنّ المؤمنَ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ تَعالى منَ المؤمنِ الضَّعيفِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى كفّارةَ اليمينِ ، وأمرَ المؤمنينَ بِحِفْظِ أيمانِهِمْ ، فقالَ سُبحانَهُ :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

لا يُعاقِبُكُمُ اللهُ تَعالى بسببِ ما لمْ تقصُدوهُ منْ أيمانِكُمْ ، وإنَّما يعاقِبُكُمْ بسببِ الحِنْثِ فيما قَصدتُموهُ ووثَّقتُموهُ منَ الإيمانِ ، فإنْ حَنثتُم فيما حَلفتُمْ عليهِ ، فعليكُمْ أنْ تُكَفِّروا وتَفْعلوا ما يَغْفِرُ الذَّنبَ بنقْضِ اليَمينِ ، وكفَّارةُ اليمينِ أنْ تُطعِموا عَشْرَةَ فُقراءَ ، ممَّا جرتِ العادةُ أن تأْكلوا منهُ أنتُم وأقارِبُكُمُ الَّذين همْ في رِعايتِكُمْ ، مِنْ أوْسَطِ ما تأْكُلوهُ وتُطْعِموهُ أهْلَكُمْ ، أي : لا أفْضَلَهُ ، ولا أرْدأَهُ . أوْ بأنْ تكسوا عَشَرةَ مِنَ الفقراءِ كِسوةَ مُعتادة ، أوْ بأنْ تُحرِّروا رقبةً ، أيْ : تُحرِّروا إنساناً منَ الرِّقِّ ، فإذا لمْ يتمكّنِ الحالِفُ منْ أحدِ هذهِ الأُمورِ فعليهِ أنْ يصومَ ثلاثةَ أيامٍ ، وكلُّ واحدٍ منْ هذه الأُمورِ يُغفَرُ به ذَنْبُ الحَلْفِ المُوثَّقِ بالنِّيةِ إذا نقضَهُ الحالِفُ ، وصونوا أيْمانَكُمْ ، فلا تَضعوها في غيرِ مَوْضِعها ، ولا تَتْركوا فِعْلَ ما يَغفِرُ ذنبَكُمْ إذا نَقَضْتُموها . على هذا النسقِ مِنَ البيانِ يُبيِّنُ اللهُ تَعالى لكُم أحكامَهُ ، لِتَشكروا نِعمَهُ بمَعرفَتِها والقيامِ بحقِّها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تحريمُ ما أَحلّ اللهُ تَعالى اعتداءٌ على شريعتِه وحدودِهِ .

٢ـ التّمتُّعُ بالطّيباتِ لا يُنافي التَّقوى .

٣ـ اليَمينُ اللّغوُ ـ وهي الّتي لا يَقْصُدُ المَرْءُ الحَلْفَ فيها ، كَقَوْلِ : لا واللهِ وبَلى واللهِ ـ لا مُؤاخذة فيها .

٤ـ اليمينُ المقصودةُ إذا كانتْ كَذباً استحقَّ صاحبُها العذابَ الشّديدَ وهِيَ اليَمينُ الغَموسُ ، لأنَّها تَغْمِسُ صاحِبَها في النّارِ .

٥ـ اليَمينُ المَقصودَةُ الّتي يَحْنثُ صاحِبُها فيها الكَفّارَةُ المَحدَّدةُ في الآياتِ .

٦ـ إنَّ الواجبَ على المؤمنِ أنْ يَحْفظَ يَمينَهُ ، بأنْ يُكَفِّرَ عَنْها إذا حَنَثَ بِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

طيبّاتِ ، لا تعتَدوا ، طَيِّباً ، اللَّغوِ ، عقَّدتُم الأَيْمانَ ، كَفَّارتُهُ ، تحريرُ رقبةٍ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ لا مؤاخذةَ إلاّ باليَمينِ المُنْعَقِدَةِ .

ب ـ الواجبُ على المُؤْمنِ تقليلُ الحَلْفِ إلاّ للضرورةِ .

٣ـ ما كَفّارةُ اليَمينِ إذا حَنَثَ فيها صاحِبُها؟

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابِعُ والعِشرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ
تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن
ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا
مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **المَيْسِرُ** : القِمارُ .
- **الأنصابُ** : حِجارةٌ كانَ أَهْلُ الجاهليّةِ ينصِبونها ويَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ .
- **الأزلامُ** : قِداحٌ كانَ أهلُ الجاهليّةِ يَسْتَقْسِمون بِها .
- **رِجْسٌ** : خُبْثٌ وقَذَرٌ .
- **فاجتنِبوهُ** : فابتعِدوا عنْهُ .
- **جُناحٌ** : إثمٌ وحرجٌ .
- **طَعِموا** : شَرِبوا أو أَكلوا .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ نَهى اللهُ تَعالى عنْ تَحريمِ ما أحلَّه لهُمْ ، وإباحةِ ما حرَّمَ اللهُ عَليْهِمْ ، وبَيَّنَ كَفّارةَ اليمينِ ، وجَّهَ الله تَعالى نداءً ثانياً للمؤمنينَ بيَّنَ لهُم فيهِ مضارَّ المُحرَّماتِ ، وأمرَهُمْ باجتنابِها ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

روى مسلمٌ عنْ سعدِ بن أبي وقّاصٍ أنّه قالَ : فيَّ نزلتْ هذهِ الآياتُ مِنَ القرآنِ ، وقالَ : أتيتُ على نَفَرٍ منَ الأَنْصارِ فقالوا : تعالَ نُطعمْكَ ونَسقيكَ خمراً ، وذلكَ قبل أنْ تُحرَّمُ الخَمْرُ ، قال : فأتيتُهُمْ في حِشٍّ ـ يعني بُستانٍ ـ فإذا رأسُ جزورٍ مَشويٌّ عندَهُمْ وزِقٌّ منْ الخمرِ ـ إناءٌ فيهِ خمرٌ ـ قالَ : فأكلْتُ وشربْتُ معَهم ، قالَ : فذكرْتُ الأَنْصارَ والمُهاجرينَ عندَهمْ ، فقلتُ : المُهاجرونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصارِ . قالَ : فأخذَ رجلٌ منَ الأَنْصارِ لَحْيَ جَمَلٍ فضَرَبَني بهِ فجرحَ أنفي ، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتَه فأنزلَ اللهُ تَعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ . . . ﴾[1] .

يدعو اللهُ تَعالى عبادَهُ المُؤْمنينَ إلى التزامِ أوامرِهِ بالانتهاءِ عنْ أُمورٍ عِدّةٍ فيقولُ : يا أيُّها الّذينَ آمنُوا إيماناً حقّاً إنَّما تعاطِي الخمرِ ، أي : الشّرابُ الّذي يُخامرُ العقلَ ويُغطّيهِ ويُذهِبُهُ ويَمنعُهُ مِنَ التَّفكيرِ السّليمِ ، وكذا القمارُ الّذي عنْ طريقِهِ يكونُ اكْتِسابُ المالِ بالحظِّ المَبنيِّ على المُصادفةِ ، دونَ جهدٍ أو فائدةٍ تعودُ على المسلمينَ ، وكذا الحجارةُ والأصنامُ الّتي كانَ الجاهليُّونَ يَنْصِبونَها عندَ الكعبةِ ويتقرَّبونَ لها بالذَّبائحِ ، وتلكَ السّهامُ التي كانوا يَسْتَقْسِمونَ بها ، ويَعتمِدونَ عَلَيْها في مَعْرِفةِ الغَيْبِ ، كلُّ هذا خَبَثٌ مُسْتَقْذَرٌ تعافُهُ النُّفوسُ السليمةُ ، وهو منْ تَزيينِ الشَّيطانِ الّذي هوَ عدوٌّ للإنسانِ ، لذا أمرَ اللهُ تَعالى عبادَهُ المُؤْمنينَ أنْ يَبْتَعِدوا عنْ هذهِ الأشياءِ لِكي يَفوزوا في الدُّنيا بحياةٍ فاضلةٍ ، وفي الآخرةِ بنعيمِ الجنَّةِ .

ثمَّ أكدَّ اللهُ تَعالى تحريمَ هذهِ الأشياءِ ، وَبخاصةٍ الخمرُ والميسرُ ببيانِ مفاسِدِها الدُّنيويَّةِ والدينيَّةِ ، فقال تَعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

إنّما يريدُ الشيطانُ بتَزيينهِ المُنْكَراتِ لكُمْ أنْ يُوقعَ بينكُم العداوةَ والبَغضاءَ ، بأنْ يقطعَ ما بينَكُم منْ صِلاتٍ ، ويُثيرَ في نُفوسِكُمُ الأحقادَ والضَّغائنَ بسببِ تعاطيكُمْ للخمرِ والمَيْسرِ ، لأنَّ شاربَ الخمرِ إذا ما استولتِ الخمرُ على عَقْلهِ أزالَتْ رُشْدَهُ وَأفْقَدَتْهُ وعْيَهُ ، وجعلَتْهُ يُسيءُ إلى مَنْ أحسنَ

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث رقم ١٧٤٨/ ٤٣ .

إلبه ، ويَتعدَّى على أقربِ النَّاسِ إليهِ ، وهذا يورثْ أشدَّ ألوانِ العداوةِ والبَغْضاءِ بينَ النَّاسِ . ومُتعاطي المَيْسرِ كثيراً ما يخسَرُ مالَهْ على مائدةِ القِمارِ ، والمالُ شقيقُ الرُّوحِ كما يقولونَ ، فإذا ما خَسِرَهُ هذا المُقامِرُ صارَ عدوّاً لِمنْ سَلَبَ مالَهُ منْهُ ، وأصبحَ يُضْمِرُ لَهُ السُّوءَ ، وقدْ يؤدِّي بِهِ الحالُ إلى قَتْلِه حتّى يَشفِيَ غَيْظَهُ منْهُ ، لأنَّهُ قدْ جعلَهُ فقيراً بائساً مُجرَّداً منْ أموالِه بعدَ أنْ كانَ مالِكَها ، وفي ذلكَ ما فيهِ مِنْ تَولُّدِ العداوةِ والبَغضاءِ ، وإيقادِ نارِ الفِتَنِ والشُّرورِ بينَ النَّاسِ .

هذهِ هِي مفاسدُ الخَمْرِ والمَيْسرِ في الدُّنيا ، أما مَفاسدُهما الدّينيَّةُ ، فإنّ الشَّيْطانَ يَستخدِمُ هَذهِ المَفاسدَ الخبيثةَ لِيَصُدَّ النّاسَ ويُشْغِلَهم عنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى وعنِ الصّلاةِ ، فيحولُ بذلكَ بينَهُمْ وبينَ طاعةِ اللهِ تَعالى ومُراقبتهِ والتَّقربِ إليهِ ، لأنَّ شاربَ الخمرِ يمنعُه ما حَلَّ بهِ منْ نشوةٍ كاذبةٍ ، ومنْ فُقدانِ لِرُشدِه عنْ طاعةِ اللهِ تَعالى وأداءِ ما أوجبَهُ سبحانَهُ عليهِ منْ صلاةٍ وغيرِها ، ولأنَّ مُتَعاطِيَ المَيْسرِ بسببِ استحلالِه لِكَسْبِ المالِ عنْ هذا الطريقِ الخبيثِ ، وبسببِ فُقدانِهِ للعاطفةِ الدّينيّةِ السَّليمةِ ، صارَ لا يُفكِّرُ في القيامِ بما أوجبَهُ اللهُ تَعالى مِنْ عباداتٍ .

فبعدَ أنْ عَلِمْتُمْ ضَررَ هذه المَفاسدِ ابْتَعِدوا عمّا نَهيتُكُمْ عنهُ لِتُفوِّتوا على إبليسَ غرَضَهُ . وقدِ امتثلَ الصّحابةُ لأمرِ الله تَعالى وقالوا : انْتَهَيْنا يا ربُّ ، انتهينا يا ربُّ ، وأراقوا ما كانَ عندَهم مِنَ الخمرِ في طُرقاتِ المدينةِ .

ثمَّ أكّدَ سبحانَه وجوبَ الانتهاءِ عَمّا نَهاهُمْ عَنْهُ بأنْ أمرَ بطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ فقالَ تَعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾

أَمَرَ اللهُ المْؤْمنينَ أنْ يَمْتَثِلوا أَمْرَهُ وأَمْرَ رسولِه ﷺ فيما يُبلِّغُهُمْ بهِ عنْ ربِّهِ ، وقالَ لَهُمْ : (احْذَروا) أي : ابتعِدوا عمَّا يُعرِّضُكُمْ للعذابِ إنْ خالفتُمْ ، لأنَّكُمْ إنْ أعرضْتُمْ عنِ الاستجابةِ لِما أمَرَكُمْ بهِ ، فَتَيقَّنوا أنَّهُ مُعاقِبُكُمْ ، وليسَ لكُم عُذْرٌ بعدَ أنْ بيَّنَ لكُمُ الرَّسولُ ﷺ عاقبةَ المُخالِفينَ ، وأنَّهُ ليسَ على رسولِنا ﷺ إلاّ إخبارُكُمْ بأحكامِنا ، وتَوْضيحُها تَوْضيحاً كاملاً .

وقدْ أتبعَ اللهُ تَعالى هذا البيانَ الخاصَّ في تحريمِ الخمرِ والميسرِ ، ببيانِ حُكْمِ مَنْ شَرِبَ الخمرَ وماتَ قبلَ أنْ ينزلَ تحريمُها فقالَ سبحانَهُ :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

ليسَ على الّذينَ آمنوا باللهِ تَعالى ، وصدّقوا رسولَهُ ﷺ ، وأتَوْا بصالحِ الأعمالِ ، إثمٌ فيما يَطعَمونَ منْ حلالٍ طيّبٍ ، ولا فيما سبقَ أنْ طَعِموهُ مِنَ المُحرَّماتِ قبلَ تحريمِها ، إذا خافوا اللهَ تَعالى ، وابتَعدوا عمَّا حرَّمَ اللهُ عليهم ، ثمَّ دأَبوا على خَوْفِهم منَ اللهِ تَعالى في كلِّ حالٍ ، وأخلَصوا

في أعمالِهِمْ ، وأدَّوْها على وجهِ الكَمالِ ، فإنّ اللهَ تَعالى يُثبِّتُ المُخْلِصينَ في أعمالِهِمْ على قَدْرِ إخلاصِهِمْ وَعَمَلِهِمْ ، واللهُ يُحبُّ مَنْ أحسنَ في عَمَلِهِ وصَدَقَ في إيمانِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ حُرْمةُ الخَمْرِ والمَيْسرِ والأنصابِ والأزلامِ ، ووجوبُ اجتنابِها كيْ يفوزَ مُجْتَنِبُها بالفلاحِ والرِّضوانِ .

٢ـ مَسارِبُ الشيطانِ وطُرقُ إغوائِهِ كثيرةٌ ، لأنَّه لا يُريدُ للإنسانِ الخيَر ، وعلى العاقِلِ أنْ يَجْتَنِبَ الوُقوعَ فيها .

٣ـ وُجوبُ طاعةِ اللهِ تَعالى وطاعةِ رسولهِ ﷺ في ما جاءَ بِهِ .

٤ـ الواجِبُ عَلى الرَّسولِ ﷺ تَبليغُ النَّاسِ ما أنْزَلَهُ اللهُ إليهِ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلى العِبادِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الميَسرُ ، الأنصابُ ، الأزلامُ ، رِجْسٌ ، جُناحٌ ، طَعِموا .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ حُرْمةُ الخَمْرِ .

ب ـ الشيطانُ يتربّصُ بالمؤمنينَ شرّاً .

ج ـ وُجوبُ طاعةِ اللهِ تَعالى وطاعةِ رسولِهِ ﷺ .

٣ـ بيّنْ موقفَ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ تَعالى عنهُم منْ آياتِ تحريمِ الخمرِ .

٤ـ ما السّببُ الّذي منْ أجلِه نزلَ تحريمُ الخمرِ ؟

٥ـ مَا عِللُ التَّحريمِ التّي ذَكَرَها اللهُ تَعالى في الخَمْرِ والمَيْسرِ ؟



قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهُما ـ : لمّا نزلَ تحريمُ الخمرِ قالَ قومٌ : كيفَ بمِنْ ماتَ منَّا وهوَ يَشْربُها ويأكلُ المَيْسرَ ؟ فنزلَ قولُ اللهِ تَعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ موضوعاً في حدودِ صفحتَينِ عنْ أضرارِ كلِّ منَ الخَمْرِ والمَيْسرِ ، مؤيّداً ما تقولُهُ بالآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ ، وضَعِ المَوْضوعَ على مجلةِ الحائطِ في المدرسةِ .

* * *

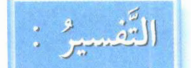
الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٖ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ
فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ
مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٖ مِّنكُمْ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٞ
طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ
وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ
صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- لَيبلُوَنَّكُمْ : لِيَختبرَنَّكُمْ ويَمْتَحِنَنَّكُمْ .
- تنالُهُ أيديكُمْ : يكونُ في مُتناوَلِ اليدِ .
- وأنتُمْ حُرُمٌ : مُحْرِمونَ بحجٍّ أو عُمْرَةٍ .
- النَّعَم : الإبلِ والبقرِ والضأنِ والمَعزِ .
- بالغَ الكعبةِ : واصلَ الحرمِ فيُذْبَحُ فيهِ .
- عَدْلُ ذلكَ : مُعادِلُ الطّعامِ ومقابِلُهُ .
- وبالَ أمرِهِ : سوءَ عاقبةِ ذنبه .
- السَّيارةِ : المسافِرينَ .



بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تعالى حُرْمةَ الخَمْرِ وما يُشْبِهُها مِنَ المُنْكَراتِ ، وحَذَّرَ اللهُ تعالى المُؤْمنينَ مِنَ الاقترابِ منْها ، وبيّنَ لَهُم حُكْمَ منْ ماتَ قبلَ تحريمِ هذهِ الأشياءِ ، أخذَ سبحانَهُ في بيانٍ مُفَصَّلٍ لبعضِ الأحكامِ الّتي تتعلّقُ بالصّيدِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

نزَلَتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ في عُمْرَةِ الحُديبيةِ ، حيثُ ابتلَى اللهُ تعالى عبادَه بالصّيْدِ وهُمْ مُحْرِمونَ ، فكانتِ الوحوشُ تَغشاهُمْ في رِحالِهِمْ ، وكانوا مُتمكّنينَ منْ صَيْدِها ، والإمساكِ بها بأيديهِم ، وطَعْنِها برماحِهِمْ ، وفيها يُخاطبُ اللهُ تعالى عِبادَهُ فيَقولُ لهم :

يا أيُّها الّذينَ آمنوا ، إنّ اللهَ تَعالى يختبرُكُمْ في الإحرامِ بتحريمِ صَيْدِ الحيوانِ والطيورِ ، ويَخْتَبِرُكُمْ بأنْ يُسهّلَ عليكُم اصطيادَها بأيديكُم ورماحِكُمْ ، ليظهَرَ الّذينَ يُراقبونَهُ ويخشَونَهُ ويَلتزمُونَ بتطبيقِ أحكامِهِ في السّرِّ والعَلَنِ ، وقدْ توعَّدَ اللهُ مَنْ تجاوزوا حُدودَهُ تَعالى بعدَ بيانِها بعذابٍ شديدٍ مُؤلمٍ عظيمِ الإهانةِ ، لأنَّ التَّعدّي بعدَ الإنذارِ دليلٌ على عدمِ المُبالاةِ بأوامرِ اللهِ تَعالى ، ومَنْ لمْ يُبالِ بأوامرِ اللهِ ساءتْ عاقبتُه وقَبُحَ مصيرُه .

وقدْ نجحتِ الأمةُ الإسلاميّةُ وخصوصاً السَّلفُ الصّالحُ في هذا الاختبارِ ، فقدْ تَجنَّبوا وهُمْ مُحرِمونَ أوْ في الحَرَمِ صَيْدَ البرِّ مهما أغراهُمْ قُرْبُهُ منهُم ، بينَما أخفقَ بنو إسرائيلَ فيما يُشبِه هذا الاختبارَ ، فقدْ نهاهُم اللهُ تَعالى عنِ الصّيدِ في يومِ السَّبتِ ، فكانتِ الأسماكُ تَظهرُ لهُم في هذا اليومِ امتحاناً مِنَ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، فما كانَ منهُم إلاّ أنْ تَحايَلوا على صَيْدِها في يومِ السَّبتِ ، بأنْ حَبَسوها في هذا اليومِ لِيَصيدوها في غيرِه ، فاسْتَحقُّوا مِنَ اللهِ تَعالى اللّعنةَ والمَسْخَ ، واستحقّتِ الأُمّةُ الإسلاميّةُ أنْ تَكونَ خيرَ أُمّةٍ أخرِجَتْ للنّاسِ .

ثُمَّ إنّ اللهَ تَعالى حذّرَ المؤمنينَ مِنَ التّعرُّضِ للصّيدِ في حالةِ الإحرامِ وبيّنَ الجزاءَ المُترتِّبَ على مَنْ يَفعلُ ذلكَ ، وهدّدتِ الآيةُ مَنْ يَستهينُ بحدودِ اللهِ تَعالى بالعذابِ الشّديدِ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا ، لا تقتُلوا الصَّيْدَ حالَ كونِكُمْ مُحرِمينَ بالحجِّ والعُمْرةِ ، وأدائِكُمْ

لأعمالِهما ، ومَنْ قتلَهُ منكُم قاصِداً فَعَلَيْهِ أنْ يؤدّيَ نظيرَ الصَّيْدِ الّذي قتلَهُ مِمّا يُشبِهُهُ مِنَ الإبلِ والبَقرِ والغَنَمِ . ويُعْرَفُ النظيرُ بتقديرِ رَجُلَيْنِ عادِلَينِ منكُم يَحكُمانِ بهِ ، فَيذبحُهُ ويهديهُ إلى الفقراءِ عندَ الكعبةِ أو يدفعُ بدلَهُ إليهِمْ ، أوْ يُخرِجُ قيمةَ المِثْلِ طعاماً للفقراءِ ، لكلِّ فقيرٍ ما يكفيه يومَهُ ، ليكونَ ذلكَ مُسْقِطاً لِذَنْبِ تعدّيهِ على أمرِ اللهِ تَعالى بالصَّيدِ الّذي نُهِيَ عنْه ، أوْ يصومُ أيّاماً بعدَدِ الفقراءِ الّذينَ كانوا يستحقّونَ الطَّعامَ لو أخرجَهُ ، وقدْ شرعَ ذلكَ لِيَحُسَّ المُعْتدي بنتائجِ جُرْمِه وسوءِ عاقبتِه . وقدْ عفا اللهُ تَعالى عمّا سبقَ لكُم مِنَ المُخالَفَةِ قبلَ تحريمِها ، ومنْ رَجَعَ إلى التعدّي بعدَ العِلْمِ بتحريمِهِ فإنّ اللهَ تَعالى يُعاقبُهُ بما ارتكبَهُ ، وهو سبحانَه غالِبٌ لا يُغْلَبُ ، شديدُ العقابِ لمنْ يُصِرُّ على الذَّنبِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ بعدَ هذا ما أحلَّهُ اللهُ للمُحْرِمِ وما حرَّمَهُ عليهِ ممّا يتعلَّقُ بالصَّيْدِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

أحلَّ اللهُ لكُم أنْ تَصيدوا حيوانَ البحارِ ، وأنْ تأْكلوا منه ، وينتفعَ بهِ المُقيمونَ منْكُم والمُسافِرونَ ، وحرَّمَ عَليكُمْ أنْ تَصيدوا حيوانَ البرِّ غيرَ المستأنَسِ ممّا جرتِ العادةُ بصيدِهِ ، وعدمِ تَربيتِه في المَنازلِ والبيوتِ ، ما دُمتم مُحْرِمينَ بالحجِّ أو العمرةِ ، وراقِبوا اللهَ تَعالى وخافوا عِقابَه ، فلا تُخالِفوهُ ، فإنّكم إليهِ تُرْجَعونَ يومَ القيامةِ فيجازيكُمْ على ما تعملونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَبْتلي اللهُ عزَّ وجلَ عبادَه بما شاءَ ، امْتِحاناً واختِباراً مِنْهُ سُبحانَهُ .

٢ـ صيدُ البحرِ حلالٌ على المُحْرِمينَ وعلى غيرِهِمْ ، وصَيْدُ البرِّ حرامٌ على المُحْرِمِ لحجٍّ أو لِعُمْرَةٍ .

٣ـ أحكامُ الشَّرْعِ بيِّنَةٌ واضِحةٌ ، كي لا يكونَ للنّاسِ على اللهِ حُجّةٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

لَيَبْلُوَنَّكُم ، وأنتُمْ حُرُمٌ ، النَّعَمِ ، بالغَ الكعبةِ ، عَدْلُ ذلكَ ، وبالَ أمرِهِ ، السَّيارةِ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ حُرْمةُ صيدِ البرِّ على المُحْرِمينَ .

ب ـ حلُّ صيدِ البحرِ للمُحْرِمينَ .

ج ـ عدمُ الالتزامِ بأوامرِ اللهِ تَعالى بابٌ عظيمٌ للشَّرِّ .

٣ـ رجلٌ مُحْرِمٌ صادَ غزالاً ثمَّ تذكَّرَ أنَّهُ حَرامٌ ، ماذا يفعلُ ؟

٤ـ رجلٌ مُحْرِمٌ بِعُمْرَةٍ ذهبَ للسّباحةِ فصادَ سَمَكاً ، ماذا يفعلُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الّتي تتحدَّثُ عنْ قصّةِ بني إسرائيلَ وتعدِّيهِم حدودَ اللهِ تَعالى يومَ السَّبتِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ أربعةَ مِنْ مَحظوراتِ الإحْرامِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والعِشْرونَ

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ
لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قِياماً للنّاسِ : ما يُقيمُ مصالحَهُم ، ويُصْلِحُها لهُم .

الشهرَ الحرامَ : الأشْهُرَ الحُرُمَ الأربعةَ الّتي حرَّمَ اللهُ فيها القِتالَ .

الهَدْيَ : ما يُهدى مِنَ الأنعامِ لِيذبَحَهُ المُسْلِمُ في الحَرَمِ .

القلائدَ : ما يُقلَّدُ بِهِ الحيوانُ المُرادُ ذبحُهُ في الحَرَمِ .

التَّفْسيرُ :

بعدَ النَّهْيِ الشديدِ للمُحْرِمينَ عَنْ صَيْدِ البرِّ ، بيَّنَ الله تَعالى المَنزلةَ السّاميةَ للكعبةِ المُشرَّفةِ ، وبيَّنَ مكانةَ الأشهرِ الحُرُمِ وما يُقَدَّمُ فيها مِنْ خيراتٍ لِسُكّانِ الحَرَمِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

جعلَ اللهُ تَعالى الكعبةَ ، وهي البيتُ الّذي عظَّمَهُ وحرَّمَ فيهِ وفيما حولَهُ الاعتداءَ على الإنسانِ والحيوانِ غيرِ المُسْتَأْنَسِ ، هذا البيتُ جعلَهُ اللهُ مُقيماً لِمصالحِ النّاسِ الدُّنْيَويَّةِ والأُخْرَويَّةِ ، فإليهِ

يَتَّجهونَ في صلاتِهم ، ويَحجُّونَ إليهِ ليكونوا في ضِيافةِ اللهِ تَعالى ، ولِيَعمَلوا على جَمْعِ شَمْلِهِمْ ، كما عظَّم شَهْرَ الحجِّ وما يُهدى إلى الكعبةِ منَ الأنعام ، وبخاصةِ تلكَ التي يوضَعُ في عُنقِها القلائدُ لإشعارِ النّاظرينَ بأنّها تُهدَى إلى البيتِ الحرام . وكلُّ هذهِ الأمور إنّما هي لِحِكَمٍ يَعلَمُها اللهُ ، فَعِلْمُ اللهِ تَعالى مُحيطٌ بما في السَّماواتِ الّتي يَنزلُ منها الوحيُ بالتَّشريع ، ومحيطٌ بما في الأرضِ فَيُشرِّعُ لِمَنْ فيها ما يُصْلِحُ معايشَهُمْ ، وأنَّ عِلْمَهُ سُبحانَهُ مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ ، فلا تَخْفى عليهِ خافيةٌ .

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾

اعْلَموا أيّها النَّاسُ أنّ عذابَ اللهِ تَعالى شديدٌ ، يَنزِلُ بمَنْ يَستبيحُ حُرماتِهِ ، وأنَّهُ سبحانَهُ كثيرُ المَغفرةِ لِذُنوبِ مَنْ يتوبُ ويُحافظُ على طاعاتِهِ ، واسِعُ الرّحمةِ بهِمْ ، يَغْفِرُ لَهُمْ ما وقعَ منْهُم .

وجَمَعَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بينَ التَّرهيبِ والتَّرغيبِ ، حتّى يكونَ المؤمنُ بينَ الرَّجاءِ والخوفِ ، فلا يَقْنَطُ مِنْ رحمةِ اللهِ تَعالى ، ولا يجتريءُ على ارتكابِ ما يُغْضِبُهُ .

وبعدَ هذا التَّرغيبِ والتَّرهيبِ بيّنَ اللهُ تَعالى المُهمَّاتِ الّتي وكَلَها إلى رسولِهِ ﷺ ، فقالَ تَعالى :

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

ليسَ على رسولِنا أيُّها النَّاسُ ، إلاّ تبليغُ ما أمَرْناهُ بتبليغِهِ إليكُم ، وتوصيلُ ما كلّفناهُ بتوصيلِهِ لكُم ، وهوَ لم يُقَصِّرْ في ذلكَ ولمْ يألُ جُهداً في نُصْحِكُمْ وإرشادِكُمْ ، فأطيعوهُ لِتَسْعَدوا ، واعْلَموا أنَّ اللهَ تَعالى يعلمُ ما تُظهِرونَ وما تُخفونَ مِنْ خَيْرٍ أو شرٍّ ، وسَيُجازيكُمْ بما تَستحقُّونَ يومَ القيامةِ .

وعلى هذا فليسَ على الرَّسولِ ﷺ إدْخالُ الإيمانِ والهُدى في قُلوبِ العِبادِ ، فَهذا للهِ تَعالى وَحْدَهُ هو الّذي بيدِه ذلكَ ، وهوَ الّذي بيدِه حسابُهُمْ ومجازاتُهُم على أعمالِهِمْ ، وأمّا مُهِمَّةُ الرّسولِ فهَي التبليغُ .

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

لا يَسْتوي في ميزانِ اللهِ تَعالى ولا في ميزانِ العُقَلاءِ ، الخبيثُ والطَّيبُ حتى ولو كانَ الخبيثُ كثيرَ المَظْهَرِ ، برّاقَ الشكلِ تُعْجِبُ النّاظِرينَ هيئتُهُ ، فلا تَغترَّ أيُّها العاقلُ بهِ ولا تؤثِّرْ في نفسِك كثرتُهُ وسطوتُهُ ، فإنَّه مهما كثُرَ وظهَرَ وفشا فإنَّه سيِّيء العاقبةِ ، سريعُ الزَّوالِ ، لذّتُهُ تعقُبها الحَسْرَةُ ، وشَهواتُه تَتلوها النّدامةُ ، وسَطوتُه تَتبعُها الخَسارةُ والكراهيةُ ، وطريقُهُ المليئةُ بالقذَرِ والدَّنَسِ يجبُ أن يَغْلِقَ أبوابَها الأخيارُ والشُّرفاءُ .

أما الطَّيِّبُ فهوَ محمودُ العاقبةِ ، لذّتُهُ الحلالُ يُباركُها الله تَعالى وثمارُهُ الحَسَنةُ تؤيَدُها شَريعتُه ، وتَستريحُ لها العقول السَّليمةُ ، والقلوبُ النَّقيةُ مِنْ كلِّ دنسٍ وباطلٍ ، وطريقُهُ المستقيمُ ـ مهما قلَّ سالِكوها ـ هيَ الطريقُ الّتي توصِلُ إلى كُلِّ خيرٍ وفلاحٍ .

ولا شَكَّ في أنَّ العقلَ عندما يتخلَّصُ مِنَ الهوى سَيختارُ الطَّيِّبَ على الخَبيثِ ، لأنَّ في الطَّيِّبِ سعادةَ الدّنيا والآخرةِ .

ويظهرُ كذلكَ عدمُ تساوي الخَبيثِ والطَّيِّبِ في أنَّ أهلَ الخبيثِ سيُعاقَبونَ ويَندَمونَ مهما كَثُروا ، وأهلَ الطَّيِّبِ سَيُثابونَ ويَفرحونَ ، فاتّقوا اللهَ تَعالى يا أصحابَ العُقولِ السَّليمةِ ؛ بأنْ تجتنِبوا كلَّ ما هو خبيثٌ ، وتُقبلوا على كلِّ ما هَو طيِّبٌ ، لعلَّكم بسببِ هذهِ التّقوى والخشيةِ منَ اللهِ تَعالى تَنالونَ الفلاحَ والنَّجاحَ في دُنياكُم وآخِرَتِكُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ تَعالى يُحرِّمُ ما شاءَ منَ الأماكنِ والأوقاتِ حَسَبَ عِلْمِه وحِكْمَتِهِ .

٢ـ ما يُهدى إلى الحَرَمِ لأجلِ اللهِ تَعالى شيءٌ مُعظَّمٌ عندَه سبحانَهُ .

٣ـ هدايةُ النَّاسِ وضلالُهُمْ هيَ للهِ تَعالى وحْدَهُ ، وما على الرَّسولِ إلاّ البلاغُ .

٤ـ الخبيثُ مَهْما كثُرَ فعاقبتُهُ مَذمومةٌ ، والطَّيِّبُ مهمَا قلَّ فعاقِبتُهُ محمودةٌ .

٥ـ أصحابُ العقولِ السّليمةِ همُ أهلُ التَّقوى الّذينَ يتذكّرونَ ويتدبَّرونَ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قِياماً للنّاسِ ، الشهرَ الحرامَ ، الهَدْيَ ، القلائدَ .

٢ـ بيِّنْ منزلةَ الكعبةِ عندَ اللهِ تَعالى .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ وظيفةَ الرّسولِ ﷺ . بيِّنْ ذلكَ .

٤ـ مَا موقفُ العاقلِ أمامَ الخبيثِ والطّيِّبِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الآيةَ الدّالّةَ على أنَّ الكعبةَ المُشرَّفةَ هيَ أوّلُ بيتٍ وُضِعَ في الأرضِ لعبادةِ اللهِ .

الدَّرسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ السّابعُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ
بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ
قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إنْ تُبْدَ لكُم : إنْ تَظْهَرْ وتَتَّضِحْ .

بَحيرةٍ : النّاقةِ تُشَقُّ أُذُنُها ، وتُخلَى للطواغيتِ إذا ولدَتْ خمسةً آخرُها ذَكَرٌ .

سائِبَةٍ : الناقةِ يُسيِّبها صاحبُها للأَصْنامِ إذا شفِيَ مِنْ مرضٍ أو نجا منْ مَكْروهٍ .

وَصيلةٍ : النّاقةِ تُتْرَكُ للأصنامِ إذا بكّرتْ بذكرٍ ثم ثنَّتْ بأُنثَى ، وقالوا وصَلَتْ أخاها .

حامٍ : الفَحْلِ لا يُرْكَبُ ولا يُحْمَلُ عليهِ إذا لَقَحَ وأنتجَ مِنْ صُلبهِ عشرةً .

حَسْبُنا : كافينا .

عَليكُمْ أنفسَكُمْ : الزَموها واحفَظوها مِنَ المَعاصي .



بعدَ الحديثِ المستفيضِ عنِ الحلالِ والحرامِ في شريعةِ الإسلامِ ، اتّجهَتْ آياتُ السّورةِ الكريمةِ إلى تربيةِ المسلمينَ وإرشادِهْم إلى الآدابِ التي يَجِبُ أن يَتمسَّكوا بِهَا ،

ونَهيهِم عنِ الأسئلةِ الّتي لا خَيْرَ يُرجى من وراءِ إثارتِها ، فقال سبحانَهُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

الظّاهرُ منْ وقائعِ السّيرةِ النّبويّةِ أنَّ بعضَ الصَّحابةِ كانَ يسألُ النَّبيَّ ﷺ أسئلةً لا فائدةَ فيها ، أوْ أنَّ الجوابَ عليهَا يُحدِثُ مَساءةً للسّائلِ ، وأنّ النَّبيَّ ﷺ قدْ كرِهَ هذهِ المسائلَ ، ومِمّا وردَ في شأنِ هذهِ الأسئلةِ الّتي كانتْ على ما يبدو سَبباً لِنزولِ هذا النَّهْيِ ، ما أخرجَهُ البخاريُّ ، قالَ : قالَ رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ : يا رسولَ اللهِ مَنْ أبي ؟ قالَ : أبوكَ فلانٌ[1] .

ومثلُه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : فواللهِ لا تسألُوني عنْ شيءٍ إلاّ أخبرتُكُمْ بهِ ما دمتُ في مَقامي هذا . فقامَ إليهِ رجلٌ ، فقالَ : أينَ مَدْخلي يَا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : النّارُ ، فقامَ عبدُ اللهِ بنُ حُذافةَ ، فقالَ : مَنْ أبي يا رسولَ اللهِ ؟ فقالَ : أبوكَ حُذافةُ[2] .

وفي هذه الآيةِ يُوَجِّهُ اللهُ تَعالى عبادَهُ المؤمنينَ إلى أدبِ التعامُلِ مع أُمورِ الدّينِ ودقائقِهِ ، فيخاطِبُهُمْ إشفاقاً عليهم ورَحْمةً بهمْ : يا أيّها الذين آمنوا باللهِ تَعالى حقَّ الإيمانِ ، لا تسألُوا نَبيَّكُمْ محمَّداً ﷺ عنْ أشياءَ إنْ تَظهرْ لكُم تَغمُّكُمْ وتُحزنْكُمْ وتَندَموا على السُّؤالِ عنها ، لِما يَترتَّبُ عليها مِنْ إحراجِكُمْ .

ومِنَ المشقَّةِ عليْكُمْ ومِنَ الفضيحةِ لبعضِكُمْ أنْ تسألوا عنها النَّبيَّ ﷺ في حياتِهِ ، فإنَّ اللهَ يُنَزِّلُ عليهِ القرآنَ يُبيّنُها لكُم ، وقدْ عفا اللهُ تَعالى عنكُم في هذه الأشياءِ فلا يعاقبُكُمْ عليْها ، واللهُ تعالى كثيرُ المغفرةِ واسعُ الحِلْمِ ، فلا يُعجِّلُ بالعقوبةِ ، فهوَ غفورٌ يَغفِرُ ذُنوبَ عبادِهِ ، حليمٌ بِهِمْ .

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير حديث ٤٦٢٢ .

(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٦٦٠ حديث رقم (٦٨٦٤) وانظر ٤/ ١٨٣٢ حديث رقم (٢٣٥٩) .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تعالى بعض مظاهرِ العِبَرِ والعِظاتِ والحِكَمِ منْ وراءِ نَهْيِهِمْ عَنِ الأسئلةِ التي لا خيرَ يُرجَى منْ ورائِها ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قدْ سألَ عنْ أمثالِ هذهِ الأُمورِ الشَّاقَّةِ ، الّتي لا نَفْعَ منْ ورائِها جماعةٌ ممَّن سَبَقوكُمْ ، ثمَّ بعدَ أنْ كُلِّفوها على ألسنةِ أنبيائِهم ثَقُلَ عليهِمْ تنفيذُها ، فأَعْرَضوا عنها وكانوا لها مُنكِرينَ ، واللهُ تَعالى يُريدُ اليُسْرَ ولا يريدُ العُسْرَ ويُكلِّفُ النَّاسَ ما يُطيقونَ ، فلا يَصحُّ أنْ يُكَلِّفَ الإنسانُ نفسَه ما لا يُطيقُ .

وبعد ذلكَ حكى اللهُ تَعالى عنْ بعضِ التَّشْريعاتِ الّتي كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يتمسّكونَ بها ، ويعتبرونَها مِنَ الأحكام اللازمةِ معَ أنَّها لا أَصْلَ لها ، وإنّما همُ الّذينَ ابتدَعوها ونَسَبوها إلى دينِ اللهِ تَعالى مِنَ دونِ دليلٍ أوْ بُرْهانٍ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

ما شَرَعَ اللهُ تَعالى شيئاً ممَّا حرَّمهُ أهلُ الجاهليّةِ على أنفسِهمْ مِنَ البحيرةِ والوَصيلةِ والسَّائبةِ والحامي ، وهذهِ الحيواناتُ إنَّما حرَّمَ أهلُ الجاهليّةِ الانتفاعَ بها منْ عندِ أنفسِهِمْ مِنْ دونِ علمٍ أو بُرْهانٍ ، وهُمْ في هذا التَّحريم إنّما يَفترونَ على اللهِ تَعالى الكَذِبَ الصّريحَ القاطعَ بسببِ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، وأكثرُهُمْ لا يفقهونَ الحقَّ ، ولا يَستجيبونَ لهُ ، انقياداً لأهوائِهِمْ وأهْواءِ رُؤسائِهِمْ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

وإذا قالَ قائلٌ ـ على سبيلِ النُّصْحِ والإرشادِ إلى الخيرِ ـ لهؤلاءِ المُقلِّدينَ ، المُنْقادينَ انقياداً أعمى لِما كانَ عَلَيْهِ الآباءُ والأَجْدادُ مِنْ ضَلالٍ ، اسْتَجيبوا لِما أنزلَ اللهُ تَعالى في كتابِهِ ، ولِما أنزلَهُ عى رسولِهِ ﷺ مِنَ الهُدى والنّورِ لِتَسْعَدوا وتَفوزوا ، قالوا بعنادٍ وغباءٍ : كافينا في هذا الشأنِ ما وجَدْنا عليه آباءَنا مِنْ عقائدَ وتقاليدَ وعاداتٍ ، فلا نَلتَفِتْ إلى ما سِواهُ .

وهذهِ حُجّةُ كلِّ ضالٍّ مُقلّدٍ لِمنْ سبقُوهُ بغيرِ تَعقُّلٍ ولا تَدبُّرٍ ، إنّه يَتْرُكُ معانِيَ العِزّةِ والكَرامةِ ، وإعمالَ الفِكْرِ ليعيشَ أسيراً للأوهامِ الّتي شبَّ عليها وسارَ خَلْفَها ، مُقلِّداً غيرَهُ ومُنقاداً له انقيادَ الخائفينَ الأذِلّاءِ .

ثمَّ أظهرتْ هذهِ الآيةُ التعجُّبَ منْ هؤلاءِ بقولِه تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ أَبَآؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾

أيقولُونَ حسبُنا ما وجدْنا عليهِ آباءَنا ، ويُغْلِقونَ على أنفسِهِمْ بابَ الهِدايةِ مَعَ أنَّ الآباءَ قَدْ يَكونونَ جَهَلَةً لا يعلمونَ شيئاً منَ الحقِّ ولا يَهتدونَ إليهِ لانْطِماسِ بَصيرتِهِمْ .

وبعدَ هذا البيانِ لهذهِ الأحكامِ وذمِّ المُقلِّدينَ لآبائِهِمْ تقليداً أعمى ، وجَّهُ سبحانَه نِداءَ إلى المُؤْمِنينَ ، أمرَهُمْ فيه بأنْ يُلْزِموا أنفسَهم طاعةَ اللهِ تَعالى ، وأنَّه ليسَ عليْهم شيءٌ مِنْ آثامِ غيرِهِمْ ، ما داموا قدْ نصحوهُمْ وأرشدوهُمْ إلى الخيرِ ، فقال سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يا أيُّها الذينَ آمنوا باللهِ تَعالى إيماناً حقيقياً ، الزموا العملَ بطاعةِ اللهِ تَعالى بأنْ تُؤَدُّوا ما أمرَكُم به ، وتنتَهوا عمّا نهاكُم عنْه ، وأنتُم بعدَ ذلكَ لا يُضيرُكُمْ ضلالُ مَنْ ضلَّ وَغوى ، ما دمتُم قدْ أدّيتُمْ حقَّ أنفسِكُمْ عليكُم بصيانتِها عمّا يُغْضِبُ اللهَ تَعالى ، وأدَّيتُم حقَّ غيرِكُمْ عليكُم ، بإرشادِه ونُصْحِهِ وأمرِه بالمعروفِ ونهْيِهِ عن المُنْكَرِ ، فإنْ أبى الاستجابةَ لكُمْ بعدَ النُّصْحِ والإرشادِ والأخْذِ على يدِهِ مِنَ الوقوعِ في الظّلمِ ، فلا ضَيْرَ عليكُمْ في تماديهِ في غَيِّهِ وضَلالِه ، فإنَّ مصيرَكُم ومَرْجعَكُمْ إلى اللهِ تَعالى وحْدَهُ فينبِّئُكُمْ يومَ القيامةِ بما كُنتمْ تعملونَ في الدُّنيا مِنْ خيرٍ أوْ شرٍّ ، ويُجازي أهْلَ الخيرِ بما يستحقُّونَهُ مِنْ ثوابٍ ، ويُجازي أهلَ الشَّرِ بما يَستحقُّونَهُ مِنْ عِقابٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يَنبغي على المؤمنِ الاشتغالُ بما هوَ مُفيدٌ .

٢ـ ضَلَّ الجاهليُّونَ بتحريمِهم ما أحلَّ اللهُ تَعالى لَهُمْ .

٣ـ ضَرورةُ الاستجابةِ لأمرِ اللهِ تَعالى وأمْرِ رسولهِ ﷺ .

٤ـ مَنْ أدَّى حقَّ اللهِ تَعالى في نفسِه وفي غيرِه لا يضُرُّهُ فسادُ النَّاسِ .

٥ـ لا يُؤاخَذُ الإنسانُ بجريرةِ غيرِه ما دامَ قَدْ أدَّى الّذي عليهِ .



التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

إنْ تُبْدَ لكُم ، بَحيرةٍ ، سَائِبةٍ ، وَصيلةٍ ، حامٍ ، عَليكُمْ أنفسَكُمْ .

٢ـ اصطلح أهلُ الجاهليَّةِ على تسميةِ بعضِ الحيواناتِ وحرَّمُوها على أنفسِهم ، اذكُرْ هذهِ المسمَّياتِ وسببَ تحريمِهِمْ لها .

٣ـ اذْكُرِ الدّليلَ على حُرْمةِ التَّقليدِ الأعمى .

٤ـ ماذا يَترتَّبُ على المؤمنِ إذا كانَ مُؤَدِّياً حقوقَ اللهِ تَعالى في نفسِه وفي مُجتمَعِهِ ؟

٥ـ لماذا نهى اللهُ تَعالى عنِ السّؤالِ في هذهِ الآياتِ الكريمةِ ؟

تَعَلَّمْ :

ـ قالَ أبو السُّعودِ : لا يَتوهمَنَّ أحدٌ في قولِ اللهِ تَعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ رخصةً في تركِ الأَمْرِ بالمَعروفِ والنّهي عَنِ المُنْكَرِ ، فإنَّ مِنْ جُملةِ الاهْتِداءِ أنْ يُنْكِرَ ، وقدْ رُوِيَ أنْ أبا بكرٍ الصّديقَ قالَ يوماً على المنبرِ : إنَّ النّاسَ إذا رأَوا المُنْكَرَ فلمْ يُغيّروهُ عمَّهمُ اللهُ بعقابِه .

ـ أخرجَ الحاكمُ أنَّ رسولَ ﷺ قالَ : ائتمِروا بالمَعْروفِ ، وتَناهوْا عنِ المُنْكَرِ حتى إذا رأيْتَ شُحّاً مُطاعاً وهوىً مُتَّبعاً ، ودنيا مُؤْثَرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه ، فعليْكَ بخاصَّةِ نَفْسِك[١] .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه أبو داود ٤/١٢٣ حديث رقم (٤٣٤١) والترمذي ٥/٢٥٧ حديث رقم(٣٠٥٨) وابن ماجه ٢/١٣٣٠ حديث رقم (٤٠١٤) .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرُونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ
ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ
ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ
إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ضربتُمْ في الأَرْضِ : سافَرْتُم فيها .

تَحْبِسونَهما : تُمْسِكونَهُما .

لا نَشتري بهِ ثمناً : لا نأخذُ بِقَسَمِنا عَرَضاً دُنْيوِيّاً .

عُثِرَ : ظَهَرَ ، وُجِدَ أنّهما استحقّا إثماً .

الأَوْلَيانِ : الأَقْربانِ إلى المَيِّتِ ، الوارثانِ لهُ .

التَّفسيرُ :

تستمرُّ آياتُ السّورةِ الكَريمةِ في بيانِ بعضِ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ ، ومنها الوصيَّةُ ، قالَ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

سَبَبُ النّزولِ :

هذهِ الآيةُ والآيتانِ بعدَها نزلَتْ في حادثةٍ مُعيَّنةٍ كمَا ذكرَ المُفسّرونَ ، وهذهِ الحادثةُ فحواها ما يلي : أنَّ تميمَ الدّاريَّ ، وعديَّ بنَ بداءٍ وكانا نَصْرانِييْنِ كانا يختلفانِ إلى مكَّةَ لأجلِ التّجارةِ ، فصحِبَهُما رجلٌ منْ بني سَهْمٍ ، فماتَ بأرضٍ ليسَ بِها أحدٌ مِنَ المُسْلمينَ ، فأوصى إليهما بتَرِكَتِهِ لِيوصِلوها إلى أهْلِهِ ، فلمَّا قَدِما دَفَعاها إلى أهْلِهِ ، وكتما جاماً ـ إناءً ـ كانَ معَهُ منْ فضَّةٍ كانَ مَخوصاً بالذّهبِ ـ عليهِ صفائحُ ذهبيَّةٌ ـ فقالا : لم نرَهُ فيما دَفَعَهُ إلينا ، فَأُتِيَ بهما إلى النَّبيِّ ﷺ فاستحلفَهُما باللهِ ما كَتَما ولا اطَّلعا ، وخلَّى سبيلَهُما ، فنزلتِ الآياتُ . ثمّ إنّ الجامَ وُجِدَ عندَ قوم منْ أهلِ مكَّةَ ، فقالوا : ابتعَناهُ منْ تميمٍ الدّاريِّ وعديّ بنِ بداءٍ ، فقامَ أولياءُ السَّهْمِيِّ فأخذوا الجامَ وحلَفَ رجلانِ منهُم باللهِ أنّ هذا الجامَ جامُ صاحبِنا : وشهادتُنا أحقُّ منْ شهادتِهما وما اعتدَينا ،[1] ، فنزلتِ الآياتُ .

وقَدْ شرَعَ اللهُ تَعالى للمؤمنينَ الوصيَّةَ في السَّفرِ ، فعلى مَنْ كانَ مسافِراً وأحسَّ بدُنُوِّ أجلِه وأرادَ أنْ يوصِيَ بشيءٍ أنْ يُحضِرَ رَجُليْنِ عَدْليْنِ منَ المُسْلمينَ ، أوْ منْ غيرِ المُسْلمينَ إنْ لمَ يجدْ غَيْرَهُما ، فيُعطِيهما المالَ الّذي مَعَهُ ، فإذا أوْصَلا ما أَخَذاهُ إلى ورثةِ الميتِ وارتابَ الوَرَثةُ في أمانةِ هَذيْنِ الرَّجليْنِ ، فعليهِمْ أنْ يَرفَعوا الأمْرَ للحاكِمِ ، وعلى الحاكِمِ أنْ يَستحلِفَ الرّجلينِ باللهِ تَعالى بعدَ الصَّلاةِ بأنَّهما ما كَتَما شَيْئاً مِنْ وصيَّةِ الميّتِ وما خانا .

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

فإذا ظهَرَ أنَّ اللّذيْنِ حمَلا ما أوْصى بهِ المَيّتُ قدْ كَذبا في شَهادتِهما أوْ أخفيا شَيْئاً ، فإنَّ اثنَيْنِ منْ أقربِ المُستحِقّينَ لِتَركةِ الميتِ هُما أحقُّ أنْ يَقِفا مكانَ الشّاهِديْنِ بعدَ الصَّلاةِ ، فَيَحْلِفانِ باللهِ تعالى أنّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا حديث رقم (٢٧٨٠) .

الأَخْذَ بِقَوْلِهما أحقُّ ، وذَلِكَ عِنْدَ ظُهور ما يُشكِّكُ في روايةِ الأَوّلينَ ، وأنَّهما لم يَكونا في حَلْفِهِما مُعتَدِيَيْنِ . فإنَّنا لَوْ فعلنَا ذلكَ نكونُ مِنَ الظَّالمينَ المُستحقّينَ عقابَ مَنْ يظلمُ غيرَهُ .

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

ذلكَ الّذي شَرَعْنا مِنْ هذهِ النُّظُم جميعاً ، أدنى الطُّرقِ وأقربُها إلى أنْ يؤدّيَ الشهداءُ الشّهادةَ على وجْهِها بلا تَحريفٍ ولا تَبديلٍ ، وأَنْ يخافوا مِنَ الفضيحةِ الّتي تَعْقُبُ اسْتِحقاقَ الإثمِ ، بِرَدِّ أيْمانِ الوَرَثَةِ بعد أيْمانِهِمْ ، فإنّها تكونُ مُبْطِلَةً لأيْمانِهِمْ ، فالواجبُ أنْ يخافوا مِنْ عقابِ اللهِ ، أو مِنْ ردِّ الأيْمانِ والفَضيحةِ .

واتّقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واسْمَعوا وأطيعوا ، فاللهُ لا يَهدي القَوْمَ الظّالمينَ الخارِجينَ عَنْ حُدودِ الشّرْعِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الحثُّ على الوصيّةِ وتأكيدُ أَمْرِها في الحَضَرِ والسَّفَرِ ، وضرورةُ الإشْهادِ عَليْها .

٢ـ شَرعيّةُ اختيارِ الأوقاتِ والأمكنةِ والصيَغِ المُغَلَّظةِ الّتي تُؤَثِّرُ في قلوبِ الشُّهودِ ومقسِمي الأيْمانِ .

٣ـ جوازُ دَعْوَةِ الشُّهودِ إلى حَلْفِ اليمينِ إذا ارتابَ الحُكّامُ أو الخُصومُ في شَهادَتِهم .

٤ـ جوازُ شهادةِ غيرِ المُسْلِمينَ على المُسْلِمينَ عندَ الضّرورةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ضربتُمْ في الأرضِ ، تَحْبِسونَهما ، لا نَشتري بهِ ثمناً ، عُثِرَ ، الأَوْلَيانِ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ الشهادةُ على الوصيةِ ضروريةٌ .

ب ـ الوصيَّةُ أمرٌ مطلوبٌ شَرْعاً .

ج ـ اختيارُ الأوقاتِ للاسْتِحلافِ .

٣ـ بيّنْ سببَ نزولِ هذهِ الآياتِ .

٤ـ ما أثرُ هذهِ الأحكامِ الشّرعيَّةِ في حِفْظِ الحُقوقِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الحِكْمَة مِنَ استحْلافِ الشاهِدَيْنِ بعد الصّلاةِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ المائِدَةِ - القِسْمُ التّاسِعُ والعِشْرونَ

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ
ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ
ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ
تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ
وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِۦِّنَ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

روحِ القُدسِ : جبريلَ - عليْهِ السَّلامُ - .

المهدِ : ما يوضَعُ فيهِ الوليدُ ، ويُكَنّى بهِ عَنْ حالةِ الطّفولةِ الأولى .

كَهْلاً : في حالِ اكتمالِ القوّةِ ، حالِ الكِبَرِ .

الكتابَ : كلَّ ما يُكتَبُ ، أو الكتابةَ .

الحِكْمةَ : العِلْمَ النافعَ .

تَخْلُقُ : تُصَوِّرُ وتُقدّرُ .

الأَكْمَهَ : الأَعْمى المولودَ مَطْموسَ العَيْنِ .

الحواريِّينَ : أنصارِ عيسى - عليْهِ السَّلامُ - وخواصِّهِ .



التَّفسيرُ :

بعدَما ذكرَ اللهُ تَعالى الوصيةَ وأمرَ بتقوى اللهِ تَعالى والسَّمْعِ والطَّاعةِ ، أعقبَهُ بذكرِ اليومِ المهولِ المخيفِ وهُو يومُ القيامةِ ، الّذي يَجمَعُ اللهُ تَعالى فيهِ الأوَّلينَ والآخِرينَ لِلْحسابِ ، تمهيداً لِذِكْرِ المُعْجزاتِ الّتي أيَّدَ اللهُ تَعالى بها عبدَهُ ورسولَهُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ سبحانَهُ :

﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾

تذكَّروا ـ أيُّها النَّاسُ ـ يومَ القيامةِ حينَ يجمعُ اللهُ تَعالى كُلَّ الرُّسلِ ، ويسألُهُمْ قائلاً لهُمْ : ماذا أجابتْكُمْ بهِ أُمَمُكُمُ الّذينَ أُرْسِلْتُمْ إليهِم ؟ أبالإيمانِ أمْ بالإنكارِ ؟ والأُمَمُ حينئذٍ حاضِرةٌ لِتُقَدَّمَ عليهِمُ الحُجَّةُ بشهادةِ رُسُلِهِمْ بأَنَّنا يا ربِّ لا نعلَمُ ما كانَ بعدَنا منْ أمرِ مَنْ أُرسلْنا إليْهِمْ ، وأنتَ وحْدَكَ يا ربَّنا الّذي تعلَمُ ذلكَ ، لأنَّكَ الّذي أحاطَ بالظّواهرِ والبَواطنِ ، وأنتَ علاّمُ الغُيوبِ .

وهذا السُّؤالُ مِنَ اللهِ تَعالى لِرُسلِهِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ إنّما هوَ توبيخٌ لأقوامِهِمُ الّذينَ عصَوْا ربَّهُمْ ، وارتدُّوا على أدْبارِهِمْ ، ولمْ يُؤدُّوا لِرُسلِ اللهِ تَعالى حُقوقَهُمْ ، وفيهِ أيضاً إعلاءٌ لشأنِ الرُّسلِ ؛ إذْ إنَّ إجابَتَهُمْ هذهِ ستكونُ قاضيةً على الأُممِ المُكذِّبةِ .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

وفي ذلكَ الوقتِ يُنادي اللهُ تَعالى عيسى ابنَ مريمَ مِنْ بينِ الرُّسُلِ فيقولُ لهُ : اذْكُرْ ما أنعمتُ بهِ عليكَ وعلى أُمِّكَ في الدُّنيا ، حينَما ثَبَّتُّكَ بالوحيِ وأنْطَقْتُكَ وأنتَ رضيعٌ بما يُبَرِّئُ أُمَّكَ ممّا اتُّهِمتْ بهِ ، كما أنطقتُكَ وأنتَ كبيرٌ بما قدْ أوحيتُ إليكَ ، وأنْعَمتُ عليكَ بتعليمِكَ الكتابةَ ، ووفَّقْتُكَ للصَّوابِ في القَوْلِ والعَمَلِ ، وَعَلَّمتُكَ كتابَ موسَى ـ عليهِ السَّلامُ ـ والإنجيلَ الّذي أنزلْتُهُ عليكَ ، وأجريْتُ لكَ مُعجزاتٍ تَخْرُجُ عن طَوْقِ البشرِ ، حيثُ تَتَخذُ مِنَ الطّينِ بإذنِ اللهِ تَعالى ، فَتَنْفُخُ فيها فَيُصْبِحُ طائِراً حياً بقدرةِ اللهِ تَعالى لا بِقُدْرَتِكَ ، وتَشفي منَ العَمى مَنْ وُلِدَ أعمى ، وتَشْفي الأَبْرصَ مِنْ بَرَصِهِ بإذنِ اللهِ تَعالى وقُدْرتِهِ ، وأجريتُ على يديْكَ إحياءَ الموتى بإذنِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ ،

ومَنَعتُ اليهودَ من قَتْلِكَ وصَلْبِكَ عندما أتيتَهُمْ بالمُعْجزاتِ ، لِيُؤْمِنوا ، فأعْرَضَ فريقٌ منهم ، وادّعَوْا أنَّ ما أظهرْتَ منَ المُعْجزاتِ ما هو إلاّ مِنْ قَبيلِ السِّحْرِ الواضحِ .

ثمَّ بعدّ ذلك وجّهَ ـ سبحانَهُ وتَعالى ـ قولَه لِنَبيّهِ ﷺ مُذَكّراً ومُبيِّناً لَهُ ما فعلَهُ اللهُ تَعالى ببعضِ مَنْ دَعاهُم عيسى عليْهِ السَّلامُ للإيمانِ ، فقالَ سُبْحانَه :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ ما مَنَنّا بهِ على عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ في هذا الشأنِ حينَ ألهمْنا جماعةً ممّنْ دعاهُم عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ يؤمِنُوا باللهِ تَعالى وبرسولِه عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فاسْتَجابوا لَهُ وصاروا منْ خاصّةِ أصْحابِه ، وقالوا : آمنّا واشْهَدْ يا ربّنا بأنَّنا مُخْلِصونَ مُنقادونَ لأَوامرِكَ .

وفي هذا تَذْكيرٌ للنّبيِّ ﷺ وأُمّتِهِ أنْ يُتابِعَ المؤمنونَ رسولَهُمْ ، ويخلِصوا للهِ الطّاعةَ على يدِ هذا النّبيِّ العظيمِ ﷺ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يومُ القيامةِ يُجْمَعُ فيهِ النّاسُ للحسابِ ، ويُجْمَعُ فيهِ الرُّسلُ للشَّهادةِ على أقوامِهِمْ .

٢ـ تأييدُ اللهِ لرسُلِهِ بالمُعْجزاتِ الّتي يُجريها على أيديهِمْ فَتتحقّقُ بإرادتِهِ .

٣ـ إصْرارُ الكافرينَ عَلى كُفْرِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، عَلى الرّغْمِ مِنْ وُضوحِ البيِّناتِ والدَّلائِلِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

روحِ القُدُسِ ، المهدِ ، كَهْلاً ، الكتابَ والحِكْمةَ ، تخلُقُ ، الأَكْمَهَ ، الحواريّينَ .

٢ـ ما الّذي يَجري في يومِ القيامةِ ممّا ذكرَتْه هذهِ الآياتُ ؟

٣ـ بيِّنِ الغَرضَ مِنْ سؤالِ اللهِ تَعالى الرُّسُلَ ـ عَلَيْهِمُ السّلامُ ـ أمامَ أُمَمِهِمْ .

٤ـ ذكرتِ الآياتُ نعمَ اللهِ تَعالى على عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ، ومعجزاتِهِ ، اذكُرْ هذه المُعْجِزاتِ وهذهِ النِّعَمَ مُرَتَّبَةً كما جاءتْ في الآياتِ الكَريمةِ .

٥ـ ما مَوْقِفُ بني إسرائيلَ منْ مُعجِزاتِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الصَّفِّ الّتي تتحدَّثُ عنْ سيِّدِنا عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ.

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثّلاثونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الثّلاثونَ

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ
صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى
مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الحواريّونَ : الأصْحابُ الخُلّصُ للمسيحِ عليهِ السّلامُ .

مائدةً : طاولةً عَلَيْها طعامٌ ، وقدْ تُطْلَقُ على الطّعامِ نفسِهِ .

عيداً : سُروراً وفَرَحاً ، أو يوماً نُعظّمُهُ .

التّفسيرُ :

أخْبَرَنا اللهُ في هذهِ الآياتِ عَنْ طَلَبِ الحَوارييّنَ مِنْ عيسى عليهِ السّلامُ أنْ يُنْزِلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مائِدَةً مِنَ السَّماءِ ، والحِوارُ الّذي جَرى بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ في ذَلِكَ ، واسْتجابَةُ اللهِ لِدُعاءِ عيسى، ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ وتَهْديدُهُ مَنْ كَفرَ بَعْدَ ذَلِكَ بالعَذابِ الأَليمِ . وتبدأُ الآياتُ بِذِكْرِ ما قالَهُ الحواريّونَ ، قالَ تَعالى :

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

اذكرُ أيُّها النَّبيُّ ما حدثَ حينَ قالَ الحوارِيّونَ مِنْ أتباعُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وهُمُ المُخْلِصونَ

منْهُمْ : يَا عيسى ابنَ مريمَ : هلْ يُجيبُكَ ربُّك إذا طَلبْتَ منهْ أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا طعاماً مِنَ السَّماءِ ؟ فردَّ عَليهم عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إنْ كنتمُ مؤمنينَ باللهِ تَعالى فخافوهُ وأطيعوا أوامَرهُ ، ونواهيَهُ ، ولا تَطلبوا حُجَجاً غيرَ الّتي قدَّمْتُها إليكُم تصديقاً لِرسالَتي فيكُمْ ، واللهُ ـ سُبحانَهُ ـ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

قالَ الحواريّونَ لعيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : إنّنا نُريدُ نُزولَ هذهِ المائدةِ علينْا منَ السَّماءِ لأسبابٍ :

أوّلُها : أنّنا نَرْغَبُ في الأكْلِ منْها لِنَنالَ البَرَكةَ ، ولأنّنا في حاجةٍ إلى الطَّعامِ بعدَ أنْ ضيَّق عَلْينا أعداؤُكَ وأعداؤُنا الّذينَ لمْ يؤمِنوا برِسالتِكَ .

وثانيها : أنَّنا نَرْغَبُ في نزولِها لكَيْ تزدادَ قُلوبُنا اطْمئناناً إلى أنَّكَ صادِقٌ ، فيما تُبَلِّغُهُ عنْ ربّكَ تَعالى ، فإنَّ انضمامَ عِلْمِ المُشاهَدةِ إلى العِلْمِ الاسْتدلاليِّ مِمَّا يُؤَدِّي إلى رُسوخِ الإيمانِ وقُوَّةِ اليقينِ .

وثالِثُها : أنَّنا نرغبُ في نُزولِها لكيْ نعلَمَ أنْ قدْ صَدَقْتَنا في دَعْوَى النُّبَّوةِ وفي جميعِ ما تُخْبِرُنا بهِ منْ مأموراتٍ ومَنهيّاتٍ ، لأنَّ نُزولَها مِنَ السَّماءِ يجعلُها تُخالِفُ ما جئتَنا بهِ منْ مُعْجِزاتٍ أرضيَّةٍ ، وفي ذلك ما فيهِ مِنَ الدَّلالةِ على صِدْقِكَ في نُبوَّتِكَ .

ورابعُها : أنَّنا نرغبُ في نزولِها لكيْ نكونَ مِنَ الشّاهدينَ على هذهِ المُعْجزةِ عندَ الّذينَ لم يَحْضُروها مِن بني إسرائيلَ ، لِيزدادَ الّذينَ آمنوا منهُم إيماناً ، ويُؤْمِنَ الّذي عندَه استعدادٌ للإيمانِ .

وهذهِ الأسبابُ تُظهِرُ أنْ ليسَ منْ مقصودِ الحواريّينَ الشَّكُّ في قُدْرةِ اللهِ تَعالى أوْ في نُبوَّةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أوْ التَعنُّتُ .

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

فاستجابَ لَهُمْ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقالَ بِضَراعةٍ وخُشوعٍ : يا ربَّنا ومالِكَ أمرِنا ، أنْزِلْ عَلينا مائدةً مِنَ السماءِ ، يكونُ يومُ نُزولِها عيداً للمُؤْمنينَ والمُتَأخِّرينَ ، ولِتكونَ مُعجزةً تؤيّدُ بها دعوتَكَ وارْزُقنا ـ اللَّهُمَّ ـ رِزْقاً طيّباً حلالاً ، وأنتَ خيرُ الرّازِقينَ .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى حديثَهُ عَنْ هذهِ المائدةِ وما جَرى بشأْنِها بينَ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والحواريّينَ منْ أقوالٍ ، فقال سبحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لِنَبيّهِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : إنّي سأُنْزِلُ هذه المائدةَ عليْكُمْ مِنَ السَّماءِ ، فأَيُّ امرىءٍ منكُم يَجْحَدُ هذهِ النِّعمةَ بعدَ إنْزالِها فإنّي أُعاقِبُهُ عِقاباً لا أُعاقبُهُ أحداً مِنَ العالَمينَ ، لأنَّهُ يكونُ قدْ كَفَرَ بعدَما شاهدَ دليلَ الإيمانِ الّذي طلبَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يَنْبغي للمُؤْمنينَ أنْ يَطْلُبوا مِنَ الأشياءِ ما يَثْقُلُ عليهم تحمُّلُهُ .

٢ـ الأنبياءُ يُحاوِلونَ جُهْدَهم إقناعَ النَّاسِ بصحّةِ رِسالاتِهِمْ .

٣ـ طَلَبُ الآياتِ مِنَ النَّبيِّ لا يُنافي التَّصديقَ بهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مائدةً ، عيداً .

٢ـ بيِّنِ الأسبابَ الّتي دعَتِ الحوارِيّينَ إلى سؤالِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ يُنْزِلَ اللهُ تَعالى عَليْهِمْ مائدةً مِنَ السَّماءِ .

٣ـ ما الأغراضُ الّتي طلبَها عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عندَما دعا ربَّهُ ؟

٤ـ ماذا كانَ جوابُ اللهِ تَعالى لنبيِّهِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ ما طلبَ اليهودُ منْ موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ إنزالِ المَنِّ والسَّلوى عَليْهِمْ .

٢ـ طلبَ مشركو مكَّةَ منْ رسولِ ﷺ أنْ يُحَوِّلَ لهمُ جبلَ الصَّفا ذهباً ، فماذا أجابَهُمْ ؟ اكتبْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرسُ الحادي والثّلاثونَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الحادي والثَّلاثونَ

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ
سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ
أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ
وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سُبْحانَكَ : أُنزِّهُكَ عمّا لا يليقُ بكَ .

شهيداً : كُنْتُ أَشْهَدُ على أَعمالِهِمْ حينَ كُنْتُ حَيّاً فيهِمْ .

تَوفَّيْتَني : أَخَذْتَني إليكَ وافياً بِرَفْعي إلى السّماءِ حيّاً .

التَّفسيرُ :

بعدّ أنْ بيَّنَ تَعالى لنَا قصَّةَ المائدةِ ختمَ سُبْحانَهُ هذهِ السّورةَ الكريمةَ ببيانِ ما سيقولُهُ سُبْحانَهُ لعيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يومَ القيامةِ ، وردِّ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، حتّى تزدادَ حَسْرةُ الّذينَ وَصَفوا المسيحَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وَأُمَّهُ بما هما بَريئانِ منْه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها النَّبيُّ ما سيحدُثُ يومَ القيامةِ ، حينَ يقولُ اللهُ تَعالى لِعيسى ابن مريمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ : أأنتَ الّذي قلتَ لهُم اجْعَلوني أنا وأُمِّيَ إلهينَ مَنْ دونِ اللهِ ؟ فقالَ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : أنزِّهُكَ تَنْزيهاً تامّاً عنْ أنْ يكونَ لكَ شريكٌ ، ولا يَصِحُّ لي أنْ أطْلُبَ طَلَباً ليسَ ليس أَدْنى حقٍّ فيهِ ، لوْ كنتُ قلتُ ذلكَ لَعَلِمْتَهُ ، لأنّكَ تعلَمُ خفايا نَفْسي ، فَضْلاً عنْ ظاهرِ قَوْلي ، ولا أعلمُ ما تُخفيهِ عنّي ، إنّكَ وحْدَكَ صاحبُ العِلْمِ ، المحيطُ بكلِّ خفيِّ وغائبٍ .

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

ما قلتُ لهم يا إلهي اتَّخِذوني وأُمِّيَ إلهَيْنِ منْ دونِ اللهِ تَعالى وإنّما أَمَرْتُهُمْ أنْ يَعْبدوكَ وحدَكَ لا شريكَ لكَ ، فأنتَ ربِّي وربُّهُمْ ، وأنتَ الّذي خلقتَني وخلقتَهُم ، إنَّني لمْ أُقصِّرْ في ذلكَ ، وإنّني كنتُ رقيباً وشهيداً على قَوْمي ، وداعياً لهُم إلى إخلاصِ العباداتِ لكَ والعملِ بموجبِ أَمْرِكَ مُدّةَ بقائي فيهِمْ .

فلمّا تَوَفَّيْتَني ، والمُرادُ بهِ تَوفٍّ شبيهٌ بالنَّوْمِ ، ولَيْسَ هُو تَوفّي المَوْتِ ، وكانَ مَعَ التَّوفّي الرَّفْعُ إلى السَّماءِ حيّاً ، كنتَ وحْدَكَ يا إلهي الحفيظَ عَليهِمْ ، المُراقبَ لأحوالِهِمْ ، العليمَ بتَصرُّفاتِهم ، الخبيرَ بمنْ أحسنَ منهُم وبمَنْ أساءَ ، وأنتَ يا إلهي على كلِّ شيءٍ شهيدٌ ، لا تَخْفى عليكَ خافيةٌ منْ أُمورِ خَلْقِكَ .

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

إنْ تُعذِّبْ يا إلهي قَوْمي ، فإنّكَ تُعذّبُ عبادَك الّذينَ خَلقتَهُمْ بقُدْرَتِكَ والّذينَ تَمْلكُهُمْ مُلْكاً تامّاً ، ولا اعتراضَ على المالكِ المُطْلَقِ فيما يفعلُ بمَمْلوكِهِ ، وإنْ تَغْفِرْ لهُم ، وتَسْتُرْ سيِّئاتِهم وتصفحْ عنهُم ، فذلكَ إليكَ وَحْدَكَ لأنَّ صَفْحَكَ عمَّنْ تشاءُ منْ عبادِك هوَ صَفَحُ القويِّ القاهرِ الغالبِ الّذي لا يُعجِزُهُ شَيءٌ ، والّذي خلقَ الأشياءَ كلَّها على أحسنِ ما يكونُ .

بعدَ هذا التفويضِ منْ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ للهِ تَعالى ، ختمَ اللهُ الحديثَ ببيانِ حُسْنِ عاقبةِ الصَّادقينَ يومَ القيامةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى : هذا هوَ اليومُ الّذي ينفعُ الصّادقينَ صِدْقُهُمْ ، وسوفَ تكونُ لهمْ جنّاتٌ تجري منْ تحتِ أشجارِها الأنهارُ ، وهُم يُقيمونَ فيها ، لا يَخْرجون منْها أبداً ، يَتمتَّعونَ بِرضوانِ اللهِ تَعالى عَنْهُمْ ، ورِضاهُم بثوابِهِ ، وذلكَ النَّعيمُ هوَ الفوزُ الّذي ليسَ بعدَه فَوْزٌ .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى هذهِ السُورةَ الكَريمةَ بهذِهِ الآيةِ الدّالةِ على شُمولِ مُلْكِهِ لكلِّ شيءٍ في هذا الكَوْنِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾

للهِ تَعالى وحْدَهُ دونَ أحدٍ سِواهُ المُلْكُ الكاملُ للسَّمواتِ وللأرضِ ، ولما فيهنَّ منْ كلِّ كائنٍ ، وهُوَ سُبْحانَهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، فلا يُعْجزُهُ أمْرٌ أرادَهُ ، ومَنْ زعمَ أنَّ لهَ شريكاً ، سواءٌ أكانَ هذا الشَّريكُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أَو أُمَّهُ أو غَيْرَهُما ، فقدْ أعظمَ الفِرْيَةَ على اللهِ تَعالى وتَسَرْبَلَ بالجهالَةِ ، وكان مُسْتَحِقّاً لخِزْيِ الدُّنيا وعذابِ الآخِرَةِ .

هذه الآيةُ الكَريمةُ مُتّسقةٌ معَ ما سبقَها تمامَ الاتّساقِ ، لأنَّه سُبْحانَهُ بعدَ أنَّ بيَّنَ جزاءَ الصَّادِّينَ ، أعقبَه ببيَانِ سَعةِ مُلْكِهِ ، وشُمولِ قُدرتِه الدَّالّيْنِ على أنَّ هذا الجزاءَ لا يَقْدِرُ عليهِ أحدٌ سِواهُ سُبْحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ سؤالُ اللهِ تَعالى نَبيَّهُ عيسى ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ ليسَ للاسْتِعلامِ ، وإنَّما لِتَبْكيتِ الكافِرينَ وإقامةِ الحُجّةِ عَليهِمْ .

٢ـ الأنبياءُ جميعاً مُبَرَّؤُونَ مِنَ الإشراكِ باللهِ تَعالى .

٣ـ لمْ يُقَصِّرْ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ في دعوةِ قومِهِ .

٤ـ كلُّ شيءٍ خاضِعٌ لِسُلطانِ اللهِ تَعالى .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

سُبْحانَكَ ، تَوفَّيْتَني .

٢ـ بيِّنِ الحِكْمَةَ منْ سؤالِ اللهِ تَعالى لنبيِّه عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كما قصَّتْهُ علينا الآياتُ .

٣ـ بيِّنِ الجوابَ الّذي أجابَ به عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ وضّحَ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ طريقتَه في الدَّعوةِ منْ خلالِ الآياتِ ، بيِّنْ ذلكَ .

* * *

الدَّرسُ الثّاني والثّلاثونَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾
وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ
مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ
وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ
بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ الأنعامِ سورةٌ مَكِّيةٌ كلُّها ، وعَدَدُ آياتِها مائةُ وخمسٌ وستونَ آيةً . وموضوعُ هذِهِ السّورةِ هُوَ موضوعُ السُّورِ المَكِّيَّةِ بشكلٍ عام ، وهُوَ تركيزُ العقيدةِ الصّحيحةِ في نُفوسِ النَّاسِ . ولهذهِ السّورةِ خصوصيّتُها في هذا المجالِ إذْ إنَّها ركّزَتْ على تقريرِ حقيقةِ الأُلوهيّةِ والعُبوديةِ للهِ تَعالى وما بينهُما مِنْ علاقةٍ ، وركّزَتْ على موضوعِ اخْتصاصِهِ سُبْحانَهُ بالحُكْمِ دونَ غَيْرِهِ ولهذِهِ السّورةِ أغراضٌ مُتَعدّدةٌ ، يُمْكِنُ إجمالُها فيما يلي :

أولاً : إقامةُ الأدلّةِ والحُجَجِ على وَحدانيّةِ اللهِ تَعالى وقُدرتِهِ وأُلوهيَّتِهِ منْ خلالِ إحقاقِ الحقِّ ، والتعريفُ بالإسلامِ ، وكذلكَ إبطالُ الباطلِ ، وتفنيدُ شرائعِ الجاهليَّةِ وعقائِدها .

ثانياً : إقامةُ الأدلّةِ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ والرَّدُّ على شُبُهاتِ المُشْرِكينَ الّتي أُثيرَتْ حولَ النُّبوَّةِ .

ثالثاً : إقامةُ الأدلّةِ على البعثِ والنُّشورِ والحِسابِ ، وإزالةُ الشُّكوكِ حوْلَها .

رابعاً : فَضْحُ المجتمعِ الجاهليّ ، وكَشْفُ زَيْفِ العبادةِ والتشْريعِ فيهِ منَ العاداتِ القبيحةِ الّتي كانوا عليْها .

خامساً : بيانُ علاقةِ الجماعةِ المُسلمةِ في مَكَّةَ بالمُشْرِكينَ .

وسُميَّتْ هذه السّورةُ بِسورَةِ الأنْعامِ لِوُرودِ كلمةِ (الأنْعامِ) فيها أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

جَعَلَ	أنشأَ وأبدعَ .
بربِّهم يَعْدِلونَ	يُساوونَ بهِ غيرَهُ في العبادةِ .
قَضَى أجَلاً	كَتَبَ وقدّرَ زماناً مُعيَّناً للموتِ .
تَمْتَرونَ	تشكُّونَ في البعثِ أوْ تجْحَدونَهُ .
أنباءُ	أخبارٌ ذاتُ أهميَّةٍ .
كَمْ أهْلَكْنا	كثيراً ما أهْلَكْنا .
قَرْنٍ	أُمَّةٍ مِنَ النّاسِ .
مكَّنّاهُمْ	أعْطَيْناهُمْ مِنَ المِكْنةِ والقُوَّةِ .
السَّماءَ	المطرَ .
مِدْراراً	غزيراً كثيرَ الصَّبِّ .

التَّفسيرُ :

افْتُتِحتْ هذهِ السّورَةُ الكَريمةُ بتقريرِ الحَقيقةِ الأُولى في كلِّ شَرْعٍ ودينٍ ، وهيَ أنَّ المُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ المُطلقِ والثَّناءِ الكاملِ هوُ ربُّ العالَمينَ تبارَكَ وتَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

الثناءُ والذِّكْرُ الجميلُ للهِ تَعالى الّذي خلقَ السّمواتِ والأرضَ ، وأوْجَدَ الظُّلماتِ والنّورَ لِمَنْفَعةِ العبادِ بقدرتهِ سُبْحانَهُ وعلى حِكْمتِه ، ثمَّ مع هذهِ النِّعمِ الجَليلةِ يُشْرِكُ بِهِ الكافرونَ ، ويَجعلونَ لهُ شريكاً في العبادةِ ، ومُساوياً لهُ في الطَّاعةِ والخُضوعِ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

هُوَ سُبْحانَهُ الّذي بدأَ خلقَكُمْ منْ طينٍ ، ثُمَّ قدَّرَ لحياةِ كلٍّ منكُم زمَناً يَنتهي بموتِهِ ، وفَرضَ أجَلاً للبَعْثِ والنُّشورِ لا يعلمُهُ إلاّ هُوَ .

ثمَّ أنتُم أيُّها الكافرونَ بعدَ هذا تُجادِلونَ في قدرةِ اللهِ تَعالى على البعثِ واسْتِحقاقِهِ العِبادةَ وحدَهُ . وبعدَ أنْ ذكَرَ سُبْحانَهُ وتَعالى الأدلَّةَ في الآيتينِ السَّابقتينِ على أنَّهُ هوَ المُسْتَحِقُّ للعبادةِ والحَمْدِ ، وعلى أنَّ يَوْمَ القيامةِ حقٌّ ، جاءتِ الآيةُ الثّالثةُ لِتَصِفَهُ بأنَّه هوَ صاحبُ السُّلطانِ المُطلَقِ في هذا الكونِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

إنَّه سُبْحانَهُ هوَ المعبودُ بحقٍّ في السّمواتِ والأرضِ ، وهو العليمُ بكلِّ شيءٍ في هذا الوجودِ ، الخبيرُ بكلِّ ما يَكْسِبُهُ الإنسانُ منْ خيرٍ أوْ شرٍّ ، ظاهراً كانَ أم خفيّاً ، فيُجازي كُلاًّ بِما يستحقُّ .

ثمَّ صوَّرَ اللهُ تَعالى طبيعةَ الجاحِدينَ الّذينَ هُمْ لانطماسِ بَصائِرِهِمْ وإصْرارِهِمْ على العنادِ غدَوْا لا يُجْدي مَعهُمْ دليلٌ ، ولا تنفعُ معهَمْ حُجَّةٌ ، وساقَ لهم أخبارَ مَنْ سبقوهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾

هَؤلاءِ الجاحدونَ لِرسالاتِ اللهِ تَعالى لا تَأتيهِمْ مُعجزةٌ مِنَ المُعْجزاتِ الدّالَّةِ على صِدْقِكَ يا محمَّدُ فيما تُبلِّغُهُ عنْ ربِّكَ ، إلاّ تَلقَّوْها بالإعْراضِ ، واسْتقبلوها بالنَّبْذِ والاسْتِخفافِ ، ولم يَنْظروا نظرةَ اعتبارٍ وتأمُّلٍ .

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ أنَّهم لمْ يكتَفوا بالإعراضِ عنِ الحقِّ ، بلْ تَجاوزوا ذلكَ إلى التَّهكُّمِ والسُّخْريةِ بمنْ يَدْعونَ لهُ والتّطاوُلِ عليهِم ، وأنَّهم نتيجةَ ذلكَ المَسْلَكِ الأثيمِ ستكونُ عاقِبَتُهُمْ سيِّئةً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾

فقدْ كذَّبوا بالقرآنِ الكريمِ حينَ جاءَهُمْ ، وهوَ حقٌّ لا يأتيهِ الباطلُ ، فسوفَ يَحِلُّ بهم ما أخبرَ بهِ القرآنُ مِنْ عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ ، وسَيتبيَّنُ لهُم صِدْقُ وعيدِهِ الّذي كانوا يَسْخرونَ منْهُ ، ولَسَوْفَ يَأتيهِمْ أخبارُ هذا التّكذيبِ وعاقبتُهُ .

ثُمَّ حَثَّهُمُ القرآنُ الكريمُ بعدَ ذلكَ على النَّظرِ إلى أخبارِ مَنْ سَبَقوهُمْ في الكُفْرِ والبَطَرِ ، وبيَّنَ لهُمْ سوءَ عاقبتِهِمْ لِيَعتبروا ويتَّعظوا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

أَلَمْ يعلَموا أنّنا أهْلَكْنا أُمماً كثيرةً قَبْلَهُمْ ، أعْطَيناهُم مِنْ أسبابِ القوّةِ والبقاءِ في الأرضِ ما لَمْ نعطِكُمْ إيّاه أيُّها الكافرونَ ، ووسَّعْنا عليهِمْ في الرِّزقِ والنَّعيمِ ، فَأَنْزَلنا عليهِمُ الأمطارَ غزيرةً ينتفِعونَ بِها في حياتِهِمْ ، وَجَعَلْنا مياهَ الأنهارِ تجري مِنْ تحتِ قُصورِهِمْ .

ولكنْ ماذا كانتْ عاقبةُ هؤلاءِ المُنَعَّمينَ بتلكَ النِّعمِ الوفيرةِ ، الّتي لم تتيسَّرْ لأهلِ مكَّةَ ؟ كانَتْ عاقبةُ أمرِهِمْ أنَّهم كَفروا بِنِعْمةِ اللهِ تَعالى وجَحدوا ، فأهلَكَهُم اللهُ تَعالى بسببِ ذلكَ ، إذِ الذَّنْبُ سببُ الانتقامِ وزوالِ النِّعَمِ . والإهلاكُ بالذّنوبِ لهُ مظهرانِ :

الأولُ : أنَّ الذُّنوبَ ذاتَها تُهلِكُ الأُممَ ؛ إذْ يشيعُ فيها التَّرفُ والغُرورُ والفسادُ في الأرضِ ، وبذلكَ تَنْحَلُّ هذِه الأُممُ وتَضمُرُ وتَذْهَبُ قُوّتُها .

الثاني : إهلاكُ اللهِ تَعالى لهمْ عِقاباً على أوزارِهِمْ ، وكلَّما أهْلَكَ اللهُ تَعالى قوماً بذنوبِهم أنشأَ آخَرينَ بدلاً منهُم ، وإنَّ في مصارعِ المُهْلَكينَ لَعبرةً وأيَّ عِبْرةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ إرشادُ العبادِ إلى المَحامِدِ الّتي يَحْمَدونَ بها رَبَّهُمْ ، فَهِيَ أفْضَلُ ما يُمَجَّدُ اللهُ بهِ .

٢ـ لابدَّ مِنْ إعمالِ العقلِ في الردِّ على المُخالِفينَ لدينِ الإسلامِ .

٣ـ ضَرورةُ الرُّجوعِ إلى الفِقْهِ الإسلاميِّ المُعرِّفِ بِنَشْأَةِ الكونِ والإنسانِ والحياةِ ، ففيهِ الإجابةُ الشافيةُ ، بعيداً عَنْ التَّفَسيرِ الجاهِليِّ لِهذهِ الكائناتِ .

٤ـ ضَرورةُ مُراقبةِ اللهِ تَعالى في السِّرِّ والعلَنِ .

٥ـ إعطاءُ الدّنيا للنَّاسِ لا يدلُّ على محبَّةِ اللهِ تَعالى لهُم .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

جَعَلَ ، يَعدِلونَ ، تَمترونَ ، قَرْنٍ ، مكَّنّاهُمْ ، مِدْراراً .

٢ـ وصفَ اللهُ ذاتَهُ سُبْحانَهُ في الآيةِ الأولى بِصِفَتينِ مِنْ موجباتِ الحمدِ والثَّناءِ ، اذْكُرْهُما .

٣ـ بيِّنِ الأغراضَ الّتي اشتملَتْ علَيْها سورةُ الأنعام .

٤ـ ما الغَرَضُ الخاصُّ الّذي ركّزتْ عليهِ سورةُ الأنعام ؟

٥ـ بيِّنِ الدَّلائلَ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ بَياناً لألوهيّتِهِ سُبْحانَهُ .

٦ـ لماذا ذَكَرَ اللهُ تَعالى الإشارةَ إلى الأُمَمِ الماضيةِ ؟

٧ـ ذَكرتِ الآيتانِ الرّابعةُ والخامِسَةُ حالَ الكُفّارِ في ثلاثِ مراتبَ ، وضّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ استخرجْ مِنْ سورةِ الأنبياءِ آيةً بِمَعْنى الآيةِ (٤) ، ودَوِّنْها في دَفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الثّاني

وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ
رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ
سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ
ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا
يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كِتاباً في قِرْطاسٍ : مَكتوباً في وَرَقٍ .

لا يُنظَرونَ : لا يُمْهَلونَ .

لَبَسْنا عليهم : خلَطْنا وأشكَلْنا عليهِمْ .

حاقَ : أحاطَ .

كتَبَ : قضى وأَوجبَ تفضُّلاً وإحْساناً .

لَيَجْمعنَّكُم : لَيَحْشُرنَّكُمْ .

خَسِروا أنفُسَهُمْ : أهلَكوها بالكُفرِ .

سَكَنَ : استقرَّ وحلَّ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى منْ أحوالِ الأُممِ الماضيةِ ما يكونُ عِبرةً لِلْمُستمِعينَ ، أتبعَ ذلكَ بِبيانِ توغُّلِ المشركينَ في الجُحودِ والعِنادِ ، وبُعْدِهِمْ عنِ الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ الجاحدينَ لا يَنْقُصهُمُ الدَّليلُ على صدقِكَ يا محمَّدُ ﷺ ، ولكنَّ الّذي يَنْقصُهم هوَ قبولُ الحقِّ ، والانقيادُ للهدايةِ ، فإنَّنا لو نزَّلنا عليكَ كتاباً مِنَ السَّماءِ مَكتوباً في ورقٍ ـ كما اقترَحوا ـ فشاهدوهُ بأعيُنِهِمْ وهوَ نازلٌ عليكَ ، ولمسوهُ بأيديهِمْ عندَ وُصولِه إلى الأرضِ ، وباشَروهُ بعدَ ذلكَ بجميعِ حواسِّهم بحيثُ يرتفعُ عنهُمْ كلُّ ارتيابٍ ، ويزولُ كلُّ إشكالٍ ، لوْ أنَّنا فَعَلْنا ذلكَ استجابةً لِمُقترَحاتِهم المُتعنِّتةِ ، لقالوا بِلُغةِ العِنادِ والجُحودِ : ما هذا الّذي أبصرناهُ ولَمَسْناهُ إلاّ سِحرٌ مبينٌ .

وهذهِ الآيةُ الكريمةُ تُبيِّنُ مكابرتَهُمْ وعِنادَهُمْ وإدبارَهُمْ عنِ الحقِّ مَهْما تكنْ قُوّةُ أدلَّتِهِ وظُهورُ حُجَّتِه .

ثمَّ حكى القرآنُ الكريمُ بعدَ ذلكَ بعضَ مطالِبِهِمْ المُتَعنِّتةِ ، وردَّ عَليْها بما يَدْحَضُها ويُبطِلُها ويُوضِّحُ الحقَّ ومِنْهاجَه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قالَ الكافرونَ للنَّبيِّ ﷺ : هلاَّ كانَ معكَ يا محمَّدُ مَلَكٌ لِكَيْ يشهدَ بِصِدْقِكَ ونسمعَ كلامَهُ ، ونَرى هيئتَهُ وحينئذٍ نُؤمِنُ بكَ ونُصدِّقُكَ .

فهؤلاءِ الكافرونَ ، إنَّما يُريدونَ مَلَكاً يمشي مَعَهُ ويشاهِدونَهُ بأعْيُنِهِمْ ، وقدْ ردَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ بِردَّيْنِ : أحدُهما في هذهِ الآيةِ ، والثّاني في الآيةِ الّتي تَليها ، وأمّا الأوّلُ فحاصلُه : لوْ أنْزَلْنا مَلَكاً كما اقترحَ هؤلاءِ الكُفَّارُ ، وهمْ على ما همْ عليهِ مِنَ الجُحودِ والكفرِ ، لَقُضِيَ الأمرُ بإهلاكِهِمْ ، ثمَّ لا يُؤخَّرونَ ولا يُمْهَلونَ لِيُؤْمِنوا ، بلْ يأخذُهُمُ العذابُ عاجلاً ، فقدْ مَضَتْ سُنّةُ اللهِ تعالى أنَّ البَشَرَ لا يَرَوْنَ الملائكَةَ على خِلْقَتهمُ التي خَلَقَهُمُ اللهُ عَليها إلاّ حينَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ أو في يَوْمِ القِيامةِ ، قالَ تَعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٢] .

والرَّدُّ الثّاني وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾

لوْ جَعَلْنا الرَّسولَ مِنَ الملائِكةِ كما طلَبوا ، لَكانتِ الحكمةُ أنْ نجعَلَهُ في صورةِ بَشَرٍ لِيَتمكَّنوا مِنْ

رُؤيتِه ومِنْ سماعِ كلامِه الّذي يُبلِّغُهُ عنِ اللهِ تعالى ، وفي هذهِ الحالةِ سيقولونَ لهذا المَلَكِ المرسَلِ إليهِمْ في صورةِ بشرٍ : لستَ مَلَكاً ؛ لأنّهمْ لا يُدرِكونَ منْهُ إلاّ صورَتَهُ وصفاتِهِ البشريّةَ الّتي تَمثَّلَ بها .

وحينئذٍ يَقعونَ في نفسِ اللَّبْسِ والاشتباهِ الّذي يَلبسونَهُ على أنفسِهِمْ باستنكارِ جَعْلِ الرَّسولِ بَشَراً .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

لا تَحزَنْ يا محمّدُ ﷺ لِما أَصابَكَ مِنْ قومِكَ ، فإنَّ مِنْ شأنِ الدُّعاةِ إلى الحقِّ المُجاهدِينَ في سبيلِهِ أنْ ينالَهُمُ الأذى مِن أعدائِهِمْ ، ولقدْ أوذِيَ مَنْ سبقَكَ مِنَ الرُّسلِ الكرامِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وسَخِرَ السَّاخِرونَ مِنْهُم ، فصَبَروا على ذلكَ ، وجاءَهُمْ في النِّهايةِ نَصْرُنا الّذي وَعَدْناهُم بِه ، أمّا أعداؤهُمُ الّذينَ اسْتَهْزَأوا بِهِم ، فقدْ أخذناهُمْ أخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ . وهذا كما قال اللهُ تعالى في موضعٍ آخرَ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

وهكذا هُوَ شأنُ الطُّغاةِ الظّالمينَ المُسْتَهزِئينَ بآياتِ اللهِ ورُسلِه ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ .

وبعدَ هذهِ التَّسليةِ لرسولِ اللهِ ﷺ أمرَ القرآنُ الكريمُ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يُذكِّرَ هؤلاءِ الكافِرينَ بحالِ مَنْ سبقوهُمْ ، عنْ طريقِ حثِّهِمْ على السَّيْرِ في الأرضِ والتَّطلُّعِ إلى آثارِ المُهلَكينَ والتَّدبُّرِ فيما أصابَهُمْ ، والاتِّعاظِ بما حلَّ بهم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لهؤلاءِ الكُفّارِ : سيروا في جوانبِ الأرضِ ، وتأَمَّلوا كيفَ كانَ الهلاكُ نهايةَ المُكذِّبينَ لِرُسُلِهِمْ ، فاعْتَبِروا بهذهِ النِّهايةِ وذلكَ المصيرِ .

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

تعودُ الآياتُ لإثباتِ رُبوبيَّةِ اللهِ لجميعِ الكائناتِ ، وإثباتِ البَعثِ والجزاءِ بأُسلوبٍ آخَرَ ، ويَطلبُ اللهُ مِنْ نَبيِّهِ ﷺ أنْ يقولَ لِهؤلاءِ الجاحِدينَ : مَنْ مَالِكُ السّمواتِ والأرضِ ، ومَنْ فيهِنَّ ؟ فإنْ أَحْجَموا ، فأجِبْ أنتَ جواباً شافياً ، وقلْ لهُم : إنّ مالِكَهُنَّ هُو اللهُ تعالى وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ،

وهوَ الّذي أوْجَبَ على نفسه الرَّحمةَ تفضُّلاً على عِبادِهِ وتَلطُّفاً بعبادِهِ ، فلا يُعجّلُ عُقوبتَهُمْ ويقبلُ توبتَهُمْ ، وأقْسَمَ تَباركَ وتَعالى عَلى أنَّهُ سَيَجْمَعُهُمْ ويَحشُرْهُمْ إليهِ في يَوم القِيامَةِ ، وهَذا للتَّأْكيدِ بأنَّ البَعْثَ كائنٌ لابُدَّ مِنهُ ، والخاسِرونَ في ذَلِكَ اليوم هُم الّذينَ ضيّعوا أنفسَهُمْ ، وعرَّضوها للعَذابِ في هذا اليوم ، وهمُ الّذينَ لمْ يُصدِّقوا باللهِ تَعالى ولا بيوم الحساب .

﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

وللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى جميعُ ما استقرَّ وتحرَّكَ ، ووُجِدَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، مِنْ إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ وغيرِ ذلكَ مِنَ المَخْلوقاتِ ، وهوَ سُبْحانَهُ السَّميعُ لكلِّ دقيقٍ وجليلٍ ، والعليمُ بكلِّ الظَّواهرِ والبَواطِنِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الكافرُ العاصي لا يَستجيبُ مَعَ وضوحِ الأدلَّةِ ، لِشدّةِ عِنادِه وجَهْلِه .

٢ـ سُنَنُ اللهِ تَعالى ثابتةٌ لا تَتغيَّرُ بسببِ مَطالبِ المُشرِكينَ واقْتِراحاتِهِمْ .

٣ـ لقدْ جوبِهَ الرُّسُلِ جميعاً بالتّكذيبِ والإيذاءِ ، ونالَ رسولَ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءُ الكثيرُ .

٤ـ ضَرورةُ اتّباعِ المَنهجِ القرآنيِّ في الاسْتِدلالِ ، القائمِ أوّلاً على أُسلوبِ الإدْراكِ الحِسِّيِّ عنْ طريقِ النَّظرِ والاعْتِبارِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قِرْطاسٍ ، لا يُنظَرونَ ، لَبَسْنا عليهِمْ ، حاقَ ، خَسِروا أنفُسَهُمْ ، سَكَنَ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ المُشْرِكونَ جاهِلونَ مُعانِدونَ .

ب ـ وُضوحُ الأدلَّةِ لا يَزيدُ الكافِرينَ إلاّ إصْراراً وعِناداً .

ج ـ لاقَى أنبياءُ اللهِ تَعالى المُقابَلَةِ نفسَها مِنْ أقوامِهِمْ .

د ـ ضَرورةُ التأمُّلِ والاعتبارِ .

٣ـ ذكرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ مجموعةً مِنَ الدَّلائلِ على وَحْدانيتِهِ سُبْحانَهُ ، هاتِ دليلَيْنِ من هذهِ الأدِلّةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الإسْراءِ الَّتي تُبيِّنُ سَبَبُ كُفْرِ الكافِرينَ برِسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ اكتبْ في دَفْترِكَ أسماءَ بعضِ الأماكنِ الَّتي أهْلَكَ اللهُ أهْلَها بِسَببِ كُفْرِهِمْ ، مِمَّنْ كانوا يَسكُنونَ في طُرقِ أهْلِ مكَّةَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ
بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ
لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- وَليّاً : ربّاً مَعبوداً وناصِراً مُعيناً .
- فاطِرِ : مُبْدِع ومُخْترِعٍ على غَيْرِ مِثالٍ سابِقٍ .
- يُطعِمُ : يَرْزُقُ .
- أَسْلَمَ : خَضَعَ لله تَعالى بالعُبوديَّةِ وانْقادَ لَهُ .
- يُصْرَفْ عنهُ : يُبْعَدْ عنْهُ .
- القاهِرُ فوقَ عبادِه : المُتَّصِفُ سُبْحانَهُ بِصِفَةِ القَهْرِ والعِزَّةِ والغَلَبِ .
- الحَكيمُ : المُتَّصِفُ سُبْحانَهُ بِصِفَةِ الحِكْمَةِ الّتي آثارُها في مَخلوقاتِهِ.
- مَنْ بَلَغَ : مَنْ بلغَهُ القرآنُ منذُ نُزولِه إلى قيامِ السّاعةِ .



التَّفسيرُ :

مازالتِ الآياتُ الكريمةُ تتتابَعُ في بيانِ مَظاهرِ قُدرةِ اللهِ تَعالى . وابتدأتِ الآياتُ هنا بأَمْرِ اللهِ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بأنْ يَستنكِرَ على المُشْرِكينَ ما هُم عليهِ مِنْ كُفْرٍ وإلحادٍ ، وأنْ ينفيَ عَنْ نفسِه بشدّةٍ ما وقعوا فيهِ منْ جَهالةٍ وضَلالةٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

قلْ لهمْ يا محمَّدُ ﷺ زاجراً ومُوبِّخاً : بأيِّ عقلٍ أبحتُمْ لأنفُسكُمُ الإشْراكَ باللهِ تَعالى ، واتَّخذتُمْ مَعبوداً سِواهُ ، معَ أنَّهُ سُبْحانَهُ باعترافِكُمْ هوَ الخالِقُ لكُمْ ، وللسَّمواتِ والأرضِ ، ولكلِّ شيءٍ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يَرْزُقُ ويُطعِمُ ، أمّا هوَ سُبْحانَهُ فلا يَتناولُ طعاماً ولا شراباً ، قلْ لهمُ أيّها الرّسولُ ﷺ بعدَ إيرادِ هذهِ الحُجَجِ الدّالَّةِ على وَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى : إنّي أُمرتُ مِنْ خالِقي أنْ أكونَ أولَ مَنْ يُسْلِمُ لهُ وَجْهَهُ ، ويَخصُّهُ بالعِبادةِ ، كما أنّي نُهيتُ عنْ أنْ أكونَ مِنَ المُشرِكينَ الّذينَ يَجعلونَ معَ اللهِ تَعالى آلِهةً أُخْرى .

ثُمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُعلِنَ أمامَ النّاسِ بأنَّ خَوْفَهُ مِنْ خالقِهِ سُبْحانَهُ يُحتِّمُ عليهِ أنْ يَبْتَعِدَ عنْ كُلِّ مَعصيةٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

قلْ لهُم يا محمَّدُ : إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ خالِقي عذابَ يَوْمٍ عظيمِ الأهْوالِ تَذْهَلُ فيهِ ﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] .

هذا هُوَ شَأْنُ النَّبيِّ ﷺ المُختارِ مِنَ اللهِ تَعالى والمُصْطَفى ، فكيفَ يَنْبَغي أنْ يكونَ حالُ غَيْرِه مِنْ عُمومُ النّاسِ ؟

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

مَنْ يُبْعَدْ عنْهُ هذا العذابُ أو يَبتعِدْ عَنْهُ في هذا اليوم ، فإنَّهُ يكونُ مِمَّنْ شَمَلَتْهُمْ رحمةُ اللهِ تَعالى ورِعايتِه ، وذلكَ هو الفَوْزُ الواضِحُ الّذي ليسَ بعدَه فَوْزٌ .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

إنَّ النَّاسَ جميعاً تحتَ سلطانِ اللهِ وقهرِه ، فما يُصيبُهُمْ مِنْ ضُرٍّ كَمَرضٍ وتَعَبٍ وحُزْنٍ اقتضتْه سُنَّةُ اللهِ تَعالى في هذهِ الحياةِ ، فلا كاشفَ لهُ إلاّ هوَ سُبْحانَهُ ، وما يُصيبُهُمْ منْ خَيْرٍ كصحَّةٍ وغنىً وقُوَّةٍ وجاهٍ ، فهوَ منه سُبْحانَهُ ، وهُوَ قادرٌ على حِفْظِهِ عليهِمْ ، لأنَّهُ سُبْحانَهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ . وفي معنىَ هذهِ الآيةِ الكريمةِ جاءَ قولُه سُبْحانَهُ : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر : ٢] .

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

هو الَّذي خَضعَتْ لهُ الرِّقابُ ، وذلَّتْ لهُ الجِباهُ ، وعنَتْ لَهُ الوجوهُ وقَهرَ كُلَّ شيءٍ ، ودانَتْ لَهُ الخلائِقُ ، وتواضَعَتْ لِعَظَمةِ جلالِهِ وسُلطانِهِ كلُّ الأشياءِ ، وتَصاغرَتْ بيْنَ يَدَيْهِ وتحتَ قَهْرِه وحُكْمِهِ ، وهو سُبْحانَهُ الّذي أتقنَ ما خلقَ ، العليمُ بخفايا الأشياءِ وصَغائرِها .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يَسألَ المُشركينَ عنْ أيِّ شيءٍ في هذا الكونِ أعظمُ وأزكى شهادة بحيثُ تُقبَلُ شهادتُهُ ولا تُردُّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لمنْ يُكذِّبونَ ويطلبُونَ شهادةَ على رِسالَتِكَ : أيُّ شيءٍ أعظمُ شهادةً وأحقُّ بالتَّصديقِ ؟ ثمَّ قلْ لهم : إنّ اللهَ تَعالى أعظمُ شاهدٍ بَيْني وبينَكُمْ على صِدْقِ ما جئتُكُمْ بهِ ، ودَليلُ ذَلِكَ نَصْرُهُ لي عَلى مَنْ عاداني ، وتَأْييدُهُ لي بِجُنودِهِ في الأَرْضِ والسَّماءِ ، ومِنْهُمُ الملائكَةُ ، فلو كُنْتُ كاذِباً عَلَيْهِ ، فإنَّهُ يَخْذلُني ولا يَنْصُرُني . ومِنَ الأدِلَّةِ عَلى صِدْقي ، هذا القُرآنُ الّذي أنْزَلَهُ عَليَّ ربّي لأُنْذِرَكُمْ بهِ ولِكلِّ مَنْ بلغَهُ حتّى قيامِ السَّاعةِ ، وهوَ حُجَّةٌ قاطعةٌ شاهِدةٌ بِصِدْقي ، لأنَّكُم لا تَستطيعونَ أنْ تأتوا بمثلِه ، وسلْهُم : أأَنتمُ الّذينَ تَقولونَ مُعتَقِدينَ أنَّ معَ اللهِ تَعالى آلِهةً أُخرى غيرَه ؟ ثمَّ قلْ لهُم : لا أشهدُ بذلكَ ، ولا أقولُهُ ، ولا أُقِرُّكُم عليهِ ، وإنَّما المَعبودُ بحقٍّ إلهٌ واحدٌ هوَ اللهُ تَعالى وإنّني بريءٌ ممّا تشركونَ بهِ مِنْ أوثانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ للهِ تَعالى وحدَهُ المُلْكُ والهَيْمَنَةُ والقَهْرُ لِكلِّ ما في السَّمواتِ والأرضِ .

٢ـ حاجةُ النَّاسِ والمَخلوقاتِ جميعاً إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ رحمةُ اللهِ تَعالى وسعَتْ كلَّ شيءٍ ، والإنسانُ يَنْجو مِنْ عذابِ يومِ القيامةِ برحمةِ اللهِ تَعالى .

٤ـ الضّرُّ والنّفعُ بيدِ اللهِ تَعالى وَحدَهُ ، فلا يجوزُ الخُضوعُ لأَحَدٍ منْ دونِ اللهِ تَعالى خَوْفاً أو طَمَعاً .

٥ـ إثْباتُ صِفاتِ الكَمالِ للهِ تَعالى الّتي وصَفَ بِها نَفْسَهُ ، فهوَ القَديرُ والخَبيرُ والحَكيمُ .

٦ـ شهادةُ اللهِ تَعالى على صِدْقِ نبيِّهِ ﷺ أوْضَحُ دليلٍ وأصْدَقُ حُجَّةٍ ، وتَتمثَّلُ شَهادَتُهُ بِنَصْرِهِ لِرَسولِهِ ﷺ وتَأييدِهِ وإعْزازِهِ لَهُ ، وخِذْلانِ أعْدائِهِ ، وبالوَحْيِ المَنزَّلِ مِنْ عِنْدِهِ الّذي شَهِدَ لَهُ فيهِ بالرِّسالةِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وليّاً ، فاطرِ ، هُو يُطعمُ ، أسْلَمَ ، القاهِرُ فوقَ عِبادِهِ ، الحكيمُ ، مَنْ بَلَغَ .

٢ـ بيِّنِ الدَّلائلَ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى على وَحْدانيتِهِ في هذهِ الآياتِ الكريمةِ .

٣ـ مَعصيةُ اللهِ تَعالى طريقٌ لِعقابِهِ ، هاتِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ علامَ تدلُّ شهادةُ اللهِ تَعالى للنَّبيِّ ﷺ ؟

٥ـ ما الدَّليلُ على عُمومِ رِسالةِ النَّبيِّ ﷺ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفترِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ اجتهادَ الرَّسولِ ﷺ في العِبادةِ تَقرُّباً للهِ تَعالى .

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الرّابِعُ

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا
مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ
إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ
وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَعْرِفونَهُ** : أيْ يَعرِفونَ أنَّ مُحمداً مُرْسَلٌ مِنْ ربِّهِ لِوجودِ ذِكْرِهِ في كُتُبِهِمْ .
- **ثُمَّ لَم تكُنْ فِتنتُهُم** : ثُمَّ لم تَكُنْ مَعْذِرَتُهُمْ عِنْدَ تَعْذيبنا لَهُمْ .
- **ضَلَّ عنهُم** : غابَ وزالَ عنهُم .
- **يَفتَرونَ** : يَكذِبونَ .
- **أَكِنَّةً** : أغطيةً كثيرةً .
- **وَقْراً** : صمَماً وثِقْلاً في السَّمع .
- **أساطيرُ الأوَّلينَ** : أكاذيبُهُمْ المُسَطَّرةُ في كُتبِهِمْ .
- **يَنْأَوْنَ عنْهُ** : يتباعَدونَ عنِ القرآنِ الكريمِ بأنفسِهِمْ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ ذكرَ القرآنُ الكريمُ شهادةَ اللهِ تعالى على صِدْقِ نبيِّهِ ﷺ ،أتبعَ ذلكَ بشهادةِ أهلِ الكتابِ ومَعرفتِهِمْ بِصِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

إنَّ عُلماءَ أَهْلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنَّصارى يَعرفونَ صِدْقَ ما جاءَ بِهِ محمَّدٌ ﷺ مَعرفةً تُماثِلُ مَعرفتَهُمْ لأبنائِهِمْ الَّذينَ هُمْ منْ أَصلابِهِم ، فهيَ مَعْرِفةٌ بلغَتْ حدَّ اليقينِ ، بِسَبَبِ ما عِنْدَهم مِنَ الأنباءِ عَنِ المُرْسَلينَ المُتقدِّمينَ ، فإنَّ الرُّسُلَ كلَّهم ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ قدْ بشَّروا بِرسالةِ النَّبيِّ ﷺ ، وأَخْبَروا عن مَبْعثِه ، وصِفتِه ، وبلَدِه ، ومُهاجَرِه ، وصِفَةِ أُمَّتِهِ .

غيرَ أنَّ كثيراً منْ هؤلاءِ ضَيَّعوا أنفسَهم عِنْدَما أنْكَروا ـ كَذِباً وزوراً ـ ما عَلِموهُ منْ حقائقَ فلَمْ يُؤْمنوا ، فكانَ في ذلك الخُسْرانُ المُبينُ .

ولمّا كانَ هذا الخسرانُ أكبرَ ظُلْمٍ ظلمَ بهِ الكُفّارُ أنفسُهَمْ ، فقدْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ذلكَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

وليسَ أحدٌ أشدَّ ظلماً لنفسِه وللحقِّ مِمَّنِ افْتَرى على اللهِ تَعالى الكَذِبَ وادَّعى أنَّ لهُ ولداً أو شريكاً ، أو نَسَبَ إليهِ مالا يَليقُ ، أو أَنْكَرَ ما جاءَ بهِ مِنَ الأدلَّةِ الدّالَّةِ على وحْدانيتِه ، وصِدْقِ رُسُلِه ، أوْ كَتَمَ شَهادَةَ اللهِ في كُتُبِهِ المُخْبِرَةِ بِصفاتِ رَسولِهِ ﷺ إنّ هؤلاءِ الّذينَ سقطوا في أقصى دَرَجاتِ الكُفْرِ لا يَفوزونَ بخيْرٍ في الدّنيا ولا في الآخِرَةِ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

واذكُرْ لهمْ أيُّها الرسولُ ﷺ لِيَعْتَبِروا ويتَّعظوا حالَهُمْ ، يومَ نَجمعُهُمْ جميعاً في الآخرةِ لِنُحاسِبَهمْ على أَقْوالِهم وأَفْعالِهِمْ ، ثمَّ نسأَلُهمْ سُؤالَ إذلالٍ وقَهْرٍ : أينَ شُرَكاؤُكُمْ الّذينَ كُنتمْ تَدعونَ أنّهم شُفعاءُ لكُم ، لكيْ يُدافِعوا عنكُمْ في هذا اليومِ العصيبِ .

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

ثمَّ لم تكنْ عاقبةُ كفرِهم حينَ اخْتُبِروا بهذا السؤالِ ورَأَوا الحقائقَ وارتفعتْ الدَّعاوى ، إلاّ أنْ قالوا مُؤَكِّدينَ ما قالوا بالقَسَمِ الكاذبِ : واللهِ يا ربَّنا ما كُنّا مُشْرِكينَ ، ظنّاً منهُم أنّ تَبرُّؤَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ

في الآخرةِ سَيُنَجِّيهِمْ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى ، كَما كانَ يُنَجِّيهِمْ كَذِبُهُمْ وحِلْفانُهُمْ في الدُّنْيا عِنْدَما كانوا يَحْلِفونَ للرَّسولِ ﷺ والمُؤمنينَ .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

انظرْ أيّها العاقلُ ، وتأمَّلْ كيفَ كَذَبَ هؤلاءِ المُشْركونَ على أنفسِهِمْ في قولِهِمْ : واللهِ ربِّنا ما كُنَّا مُشْرِكينَ ، وغابَ عنهُم ما كانوا يَفترونَهُ في الدُّنيا مِنَ الأقوالِ الباطلةِ ، وما كانوا يَفْعلونَهُ مِنْ جَعْلِهِمْ للهِ تَعالى شُرَكاءَ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ أحوالَ الكفّارِ في الآخرةِ أتبعَه بما يوجِبُ اليَأْسَ مِنْ إيمانِ بعضِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

ومِنْ هؤلاءِ الكُفّارِ مَنْ يستمعُ إليكَ حينَ تَتلو القرآنَ الكريمَ ، لا لِيَفهَموهُ ، ولا لِيَهْتدوا بهِ ، وإنَّما ليلتمِسوا سبيلاً للطَّعنِ فيهِ والسُّخريةِ منْهُ ، وقدْ حَرَمناهُم بسببِ ذلكَ مِنَ الانتفاعِ بعُقولِهِمْ وأسْماعِهِمْ ، كأنَّ على عقولِهِمْ أغطيةً تَحجُبُ عنهُم الإدراكَ الصَّحيحَ ، وكأنَّ في آذانِهِم صَمَماً يحولُ دونَ سماعِ آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وفَهْمِها وتدبُّرِها ، وهؤلاءِ إنْ يَرَوْا كلَّ دليلٍ لا يُؤْمِنوا به ، حتى إذا جاؤوكَ ، يُخاصِمونَكَ ويُجادِلونَكَ بالباطلِ ؛ إذْ يقولُ الّذينَ كَفروا مَدْفوعينَ بِكُفْرِهِمْ ما هذا إلاّ أباطيلُ سطَّرَها مِنْ قبلِكَ الأوّلونَ .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ المُشْركينَ لا يَكْتَفونَ بمحاربةِ الحقِّ ، بل يَزْجُرونَ النَّاسَ عَنِ اتِّباعِه ، ويُبْعِدونَهُم عنِ الاستماعِ إليهِ ، فهُم قد جَمَعوا بينَ فِعْلَيْنِ قَبيحيْنِ : محاربتِهم للحقِّ ، وحملِ غيرِهم على مُحاربتِه والبُعْدِ عَنْهُ . وهمْ بهذا العملِ الباطلِ القبيحِ ما يُهلِكونَ إلاّ أنفسَهُمْ ، ولكنَّهم لا يَشعرونَ ، لانْطماسِ بَصيرَتِهِمْ ، وقَسْوةِ قلوبِهِمْ .

وعَمَلُهُمْ هذا يدلُّ على أنَّهم كانوا مُعترِفينَ في قَرارةِ أنفسِهمْ بأنَّ القرآنَ الكريمَ حقٌّ ، لأنَّهم لوْ كانوا يَعْتقدونَ أنَّه أساطيرُ الأولِّينَ ـ كما زَعموا ـ لَتَركوا النَّاسَ يَستمعونَ لهذهِ الأساطيرِ ، ليتأكَّدوا منْ أنّها خُرافاتٌ وأوهامٌ ، ولكنَّهم لمّا كانوا مُؤْمِنينَ ببلاغةِ القرآنِ وصِدْقهِ فإنّهم نَهَوْا غيرَهُمْ عنْ سماعِهِ ، حتَّى لا يؤمنوا بهِ ، وابتعدوا همْ عنْه حتّى لا يَتأثَّروا بهِ فَيَدْخلوا في دينِ الإسلامِ . ولقدْ حكى اللهُ تعالى عنهُم هذا المعنى في قولِه سُبْحانَهُ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ التَّنْبيهُ إلى أنَّ أهلَ الكتابِ كانوا يَعرفونَ الرَّسولَ ﷺ كما يَعرفونَ أبناءَهُمْ .

٢ـ أكبرُ درجاتِ الظُّلْمِ هو الشِّركُ باللهِ تَعالى ، والافتراءُ عليهِ كَذِباً .

٣ـ كَذِبُ الكافرِ لا ينفعُهُ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ .

٤ـ لا يكتفِي الكافرونَ بإعْراضِهِمْ عنِ الحقِّ بلْ يَحمِلونَ غيرَهُمْ على هذا الإعراضِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

فِتْنَتُهُمْ ، ضلَّ عنهُم ، أكِنَّةً ، وقْراً ، أساطيرُ الأوّلينَ ، ينأَوْنَ عنْهُ .

٢ـ بيِّنِ الموقفَ الحقيقيَّ لأهلِ الكتابِ منَ القرآنِ الكريمِ .

٣ـ ما موقفُ المُشركينَ عندَما يحشرُهُمُ اللهُ تَعالى ويسألُهُمْ عنِ الشُّركاءِ المَزْعومينَ للهِ تَعالى ؟

٤ـ لماذا لا يستفيدُ كَثيرٌ مِنَ الكُفّارِ مِنْ سَماعِهِمْ للقرآنِ الكريمِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الصَّفِّ الّتي تُبيِّنُ بشارةَ عيسى بمحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ اذكرْ حادثةً تُبيِّنُ صَدَّ المُشركينَ عنْ دينِ اللهِ ، وعنِ اتّباعِ رسولِهِ ﷺ ، واكتبْها في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأنْعامِ - القِسْمُ الخامِسُ

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا
كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟
ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟
يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **وُقِفوا على النَّارِ** : عَرفوها ، أوْ حُبِسوا على مَتْنِها .
- **بَدا لهُمْ** : ظَهَرَ لهُم .
- **بَغْتَةً** : فجأةً منْ غيرِ شعورٍ .
- **فَرَّطْنا فيها** : قَصَّرْنا وضَيَّعْنا في الحياةِ الدُّنيا .
- **أَوْزارَهُمْ** : أحمالَهُمُ الثَّقيلةَ مِنَ الآثامِ .

التَّفسيرُ :

بعدمَا بيَّنَ اللهُ تَعالى منْ أحوالِ المعاندينَ المُكابرينَ المُفترينَ على اللهِ تَعالى الكذبَ في الدُّنيا ، أتبعَ سُبْحانَهُ ذلكَ ببيانِ بعضِ أحوالِهِمْ عندَما يُحشَرونَ يومَ القيامةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

ولو تَرى أيّها النَّبيُّ ﷺ هؤلاءِ الكُفّارَ عندَما يوقَفُونَ على النَّارِ ويُشاهِدونَ لَهيبَها وسَعيرَها ،

لرأيتَ شيئاً مروِّعاً مُخيفاً ، يجعلُهُمْ يَتحسَّرونَ على ما فرَّطوا ، وَيتمنَّوْنَ العودةَ إلى الدُّنيا ، ويقولونَ يَا ليتَنا نُرَدُّ إليها لِنُصْلِحَ ما أفسَدْنا ، ولا نُكَذِّبَ بآياتِ ربِّنا ، ونكونَ منَ المؤمنينَ باللهِ ، المُصَدِّقينَ بِرُسُلِهِ وآياتِهِ .

ثمَّ يُعقِّبُ اللهُ تَعالى على قَوْلَتِهِمْ هذِه فيما لوْ أُجيبوا إلى طَلَبِهِمْ على سَبيلِ الفَرَضِ والتَّقْديرِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ليسَ الأمرُ كما يوهِمُهُ كلامُهُمْ في التَّمنّي مِنْ أنَّهم يُريدُونَ العَوْدَةَ للهدايةِ ، بلِ الحقُّ أنَّهم تمنَوْا العودةَ إلى الدُّنيا بعدَ أنِ استقبلَتْهُمُ النَّارُ بلَهَبِها ، وبعدَ أنْ ظهرَ لهُم ما كانوا يُخفونَهُ في الدُّنيا مِنْ أعمالٍ قَبيحةٍ ، ومِنْ أفْعالٍ سَيِّئةٍ ، وبعدَ أنْ ظهرَ لهُم ما كانوا يُكَذِّبونَ به ويُنكِرونَ تحقُّقَهُ ، ولوْ أنَّهم رُدُّوا إلى الدُّنيا بِمُتَعِها وشَهَواتِها وأهوائِها لَعادوا لِما نُهوا عنهُ مِنَ التَّكذيبِ بالآياتِ ، والسُّخْرِيَةِ مِنَ المؤمنينَ ، وإنَّهمْ لَكاذبونَ في كلِّ ما يدَّعونَ .

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ الكافرينَ قدْ بلغَ بِهِم الحبُّ للدُّنيا والتعلُّقُ بها أنَّهم قالوا : ما الحياةُ الّتي تُسمّى حياةً في نظرِنا إلاّ هذهِ الدُّنيا الَّتي نتمتَّعُ فيها بما نُريدُ مِنْ شَهَواتٍ وليْسَتْ لنا حياةٌ أُخْرَوِيَّةٌ ، وما نحنُ بِمَبعوثينَ ولا مُحاسَبينَ بعدَ ذلكَ .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

ولو تَراهُم حينَ يَقفونَ للحسابِ أمامَ ربّهم تباركَ وتَعالى ، ويَعرفونَ صِدْقَ ما أَنزلَهُ على رُسُلِهِ لرأيتَ سوءَ حالِهِمْ ، إذْ يقولُ الله تَعالى لهمُ : أليسَ هذا البَعْثُ الّذي تُشاهدونَه بأعيُنِكُمْ ثابتاً بالحقِّ ؟ وهُنا يُجيبونَ خالِقَهمْ مُصَدّقينَ مُتذلّلينَ ، لأنَّ الواقعَ يُحتِّمُ عليهم ذلكَ ، فيقولُونَ : بلَى يا ربَّنا إنّه الحقُّ الّذي لا شكَّ فيهِ ، ولا باطلَ يحومُ حولَه ، وأكَّدوا اعترافَهُمْ بالقَسَمِ شاهِدينَ على أنفسِهم بأنَّهم كانوا كافِرينَ في الدُّنيا . وهُنا يحكمُ اللهُ تَعالى فيهم بحُكْمِه العادلِ فيقولُ : ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . أيْ إذا كانَ الأمرُ كما ذكرتُمْ وشَهِدتُمْ على أنفسِكُمْ فانْغَمِسوا في العذابِ ذائقينَ لآلامِهِ وأهوالِهِ بسببِ كُفْرِكُمْ بآياتِ اللهِ تَعالى ، وإنكارِكُمْ لهذا اليومِ العَصيبِ .

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

إنّ أولئكَ الكفّارَ الّذينَ أنكروا البعثَ والحسابَ ، قدْ خَسِروا أعزَّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ ، ومِنْ

مظاهرِ ذلكَ أنَّهم خَسِروا الرِّضا الّذي سينالُه المُؤمِنونَ مِن ربِّهِمْ ، وخسِروا العزاءَ الرَّوحيَ الّذي يَغْرِسُ في قلبِ المؤمنِ الطُّمَأْنينةَ ، والصَّبرَ عندَ البلاءِ ، لأنَّ المُؤمنَ يَعتقدُ أنَّ ما عندَ اللهِ تَعالى خيرٌ وأبقى ، بخلافِ الكافرِ الّذي يَعُدُّ الدُّنيا مُنْتهى آمالهِ . وإنّ هؤلاءِ الخاسرينَ سَيَسْتَمرّون في تكذيبِهِمْ بالحقِّ وإعراضِهِمْ عنه ، حتّى إذا جاءَتْهُمُ السّاعةُ مباغتةً مُفاجئةً ، وهمْ في طُغيانِهِمْ يَعمهُونَ ، اعْتَراهُمُ الهمُّ ، وحلَّ بهم البلاءُ ، وقالوا بعدَ أنْ سُقِطَ في أيديهِمْ ، ورَأَوْا أنَّهم قدْ ضَلّوا : يا حَسْرَتَنا ، لقدْ فرَّطْنا في حياتِنا الدُّنيا ، ولمْ نستعدَّ لهذا اليومِ ، بلْ أهْمَلْناهُ ولمْ نلتفِتْ إليهِ .

والكُفّارُ يَأتونَ يومَ القيامةِ ، وهم يَحْمِلونَ ذُنوبَهُمْ وآثامَهُمْ على ظُهورِهِمْ ، ألا ساءَ ما حَمَلوا ، وما أشدَّ ما سيستقبلونَهُ بعدَ ذلكَ منَ العذابِ الأليمِ .

وَحَمْلُ الأوزارِ إمّا أنْ يكونَ على الحقيقةِ بأنْ يجعلَ اللهُ تَعالى أوزارَهُمْ ماديّةً ثقيلةً يُعانونَ مِنْ حَمْلِها ، وإمّا أنْ يكونَ مِنْ قبيلِ الاستعارةِ بتشبيهِ المُثْقَلِ بالذُّنوبِ والأوزارِ بحاملِ حِملٍ ثقيلٍ ، لا يستطيعُ أنْ يقوى على حَمْلِهِ .

ثمّ عقدَ سُبْحانَهُ مُقابلةً بينَ الحياةِ الدُّنيا والآخرةِ لبيانِ أنَّ الحياةَ الآخرةَ هيَ الحياةُ العاليةُ السّاميةُ الباقيةُ ، وأمّا الحياةُ الدّنيا فهِيَ إلى زَوالٍ وانْتهاءٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

هذهِ الحياةُ الّتي نعتَها الكفّارُ بأنَّها لا حياةَ بَعْدَها ، ما هيَ إلاّ لَهْوٌ ولَعِبٌ لمنْ يَطلبُها بأنانيةٍ وشَرَهٍ ، منْ غيرِ استعدادٍ لما يكونُ وراءَها منْ حياةٍ أُخرى فيها الحسابُ والجزاءُ ، وفيها النَّعيمُ الّذي لا يَنتهي ، وفيها السَّعادةُ الّتي لا تُحَدُّ للّذينَ اتّقوْا ربَّهمْ ونَهوْا أنفسَهُمْ عنِ الهَوى .

فالحياةُ الدّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ لِمَنِ اتَّخذهَا فُرْصةً للتَّكاثُرِ والتَّفاخُرِ وجَمْعِ الأموالِ منْ حلالٍ وحرامٍ ، ولَمْ يُقيموا وزناً للأعمالِ الصّالحةِ الّتي كلّفهُم اللهُ تَعالى بها ، أمّا الّذينَ قالوا ربُّنا اللهُ ثمَّ استقاموا ، فإنَّ الحياةَ الدّنيا تُعدُّ لَهُمْ وسيلةً إلى رضا اللهِ الّذي يَظفرونَ بهِ يومَ القيامةِ ، وأنَّ ما يَحْصُلُ عليهِ المؤمنونَ في هذا اليوم منْ ثوابٍ جزيلٍ ومِنْ نعيمٍ مقيمٍ ، هوُ خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها منْ مُتعةٍ زائلةٍ ، ومنْ شَهَواتٍ لا دوامَ لَها ، أفلا يَعْقِلُ منْ يَسْمَعُ هذهِ المُوازنةَ بينَ الدَّاريْنِ ، فيختارُ الباقي الدائمَ ، وينأى عنِ الهالكِ الفاني ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا ينفعُ المُشْرِكينَ يومَ القيامةِ اعترافُهُمْ ولا ندمُهُمْ ولا حسرتُهُمْ .

٢ـ السّاعةُ تأتي فجأةً ، وعلى الإنسانِ أنْ يكونَ مُستعدّاً لهذا اليومِ .

٣ـ الحياةُ الدّنيا في ميزانِ الآخرةِ لا تُساوي شيئاً .

٤ـ الدّارُ الآخِرَةُ هيَ رجاءُ المُؤْمنينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وُقِفوا على النّارِ ، بَدا لهُمْ ، بَغتةً ، فرَّطْنا فِيها ، أوزارَهُمْ .

٢ـ بيِّنْ مَوْقفَ الكافِرِ في الحالتَينِ التاليتَينِ :

أ ـ حينَ يوقَفونَ على النّارِ

ب ـ حينَ يَقفُونَ على ربِّهم للحسابِ .

٣ـ ما معنى : يَحمِلونَ أوزارَهم على ظُهورِهِمْ ؟

٤ـ وازِنْ بينَ الحياةِ الدّنيا والآخرةِ ، كمَا ذكرتْها الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنْ أنَّ مَنْ سرقَ شيئاً في الدّنيا ، يأتي يومَ القيامةِ يحملُه على ظهرِه أوْ حولَ عُنقِه .

٢ـ اكْتُبْ موضوعاً في حدودِ الصَّفحةِ ، وبيِّنْ فيهِ الفَرْقَ بينَ الحياةِ الدُّنيا والآخرةِ ، وأقرأْهُ على طلبةِ المدرسةِ في طابورِ الصَّباحِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ
ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ
نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَحْزُنُكَ : يَسوؤُكَ ويَعظُمُ عندَكَ .

يَجحدونَ : يُنكِرونَ الحقَّ الواضِحَ .

كَبُرَ عليْكَ : شقَّ وعَظُمَ عليكَ .

تَبتغِيَ : تطلُبَ .

نَفَقاً في الأرضِ : طريقاً فيها يَنفذُ إلى ما تحتَها .

ما فرَّطْنا : ما أغفَلْنا ولا ترَكْنا .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى مواقِفَ الكافرينَ الّتي لا يُحسَدونَ عَليْها ، أخذَ في تَسليةِ رَسولِه ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ قومِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ تعالى لِنبيّهِ ﷺ : قدْ أحَطْنا عِلْماً بتَكْذيبِهِمْ لكَ وحُزْنِكَ وتأسُّفِكَ عَليْهِمْ . وفي الحقيقةِ هُمْ لا يَتّهِمونَكَ بالكَذِبِ ، ففِي قرارةِ أنفسِهِمْ يَعترِفونَ بِصدْقِكَ ولكنّهم يُعانِدونَ الحقَّ ويَدفعونَهُ بِصدورِهِمْ ، كما جاءَ عَنْ أبي جهلٍ أنّه قالَ للنّبيّ ﷺ : يا محمّدُ إنّا لا نُكذِّبُكَ ولكنّا نُكذِّبُ الّذي جئتَ بِهِ .

وهؤلاءِ الكُفّارُ كانوا لقّبوا النّبيَّ ﷺ بالصّادقِ الأمينِ ، ولكنّهم أنْكَروا بألسِنَتِهِمْ ما أخفتْهُ قلوبُهُمْ ، وهذِه طبيعةُ الكُفْرِ .

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

لقدْ قوبِلَ رُسلُ اللهِ تَعالى مِنْ قَبْلِكَ بالتّكذيبِ والإيذاءِ مِنْ أقوامِهِمْ كما فعلَ معَكَ قومُكَ ، فَصَبروا على التّكذيبِ والإيذاءِ حتّى نصرناهُمْ ، فاصبرْ كما صَبَروا حتّى يأتيَكَ نَصْرُنا ، ولا مُغيّرَ لِوَعْدِ اللهِ تَعالى بِنَصْرِ الصّابرينَ ، فلابدَّ مِنْ تحقُّقِهِ ، ولقدْ قَصَصنا عليكَ مِنْ أخبارِ هؤلاءِ الرُّسلِ وتأييدِنا لهُمْ ، ما فيهِ تسليةٌ لكَ ، وما توجبُهُ الرِّسالةُ مِنْ تَحمُّلِ الشّدائدِ . وجاءَ في معنى هذهِ الآيةِ الكريمةِ القاضيةِ بِنَصْرِ رُسلِ اللهِ قولُهُ تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] . ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصّافات : ١٧١-١٧٣] . وقولُهُ تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

وإنْ كانَ يا محمّدُ ﷺ قدْ شقَّ عليْكَ انصرافُهُمْ عنْ دَعوتِكَ ، وظَنَنْتَ أنَّ إتْيانَهُمْ بما اقْترحوهُ مِنْ آياتٍ يكونُ سَبَباً في إيمانِهِمْ ، فإنِ استطعْتَ أنْ تتّخذَ طريقاً في باطنِ الأرضِ أوْ سُلّماً تَصعَدُ بهِ إلى السّماءِ ، فتأتيَهُمْ بدليلٍ على صِدْقِكَ فافعَلْ ، وليسَ في قُدرَتِكَ ذلكَ ، فأرِحْ نفسَكَ واصْبِرْ على

حُكْمِ ربِّكَ . ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى هِدايتَهُمْ لحملَهُمْ جميعاً على الإيمانِ بما جئتَ بهِ قَهْراً وقَسْراً ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ تركَهُم لاختيارِهِمْ ، فلا تكونَنَّ مِنَ الّذينَ لا يَعلمونَ حُكْمَ اللهِ تَعالى وسُنَّتَهُ في خَلْقِهِ .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ تُبيِّنُ مدى حِرْصِ النَّبيِّ ﷺ على هدايةِ قومِهِ ، وتبيِّنُ كذلكَ مدى المُعاناةِ الّتي كانَ يُعانيها في سبيلِ هذا الحِرْصِ ، وهكذا شأنُ الدُّعاةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى مَنْ همْ أهلُ الإيمانِ والاستجابةِ للحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

إنَّما يستجيبُ لِدَعوةِ الحقِّ ويُقْبلُ عليها الّذينَ يَسمعونَ سَماعَ فَهْمٍ وتَدبُّرٍ ، وأمّا هؤلاءِ فلا يَنتفعونَ بِدَعْوَتِكَ ، لأنَّهم في حُكْمِ الأمواتِ ، وسيبعثُهُمُ اللهُ تَعالى يومَ القيامةِ مِنَ القبورِ ، ويُرْجِعُهُمْ إليهِ فيحاسِبُهُمْ على ما فَعلوا .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ ما تذرَّعَ بِهِ المُشْرِكونَ تعنُّتاً ، وردَّ عليهِم بما يُؤَكِّدُ قُدرةَ اللهِ تَعالى النّافذةَ وعِلْمَهُ المُحيطَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وقالَ الكُفّارُ مُتَعنِّتينَ : نطلبُ أنْ يَنْزِلَ على محمَّدٍ ﷺ دليلٌ مِنْ ربِّهِ يَشهدُ بِصدْقِ دعوتِه ، قلْ لهمُ أيُّها النَّبيُّ : إنّ اللهَ تَعالى قادرٌ على أنْ يُنزِّلَ أيَّ دليلٍ تَقترحونَهُ ، ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يعلَمونَ حِكمةَ اللهِ تَعالى في إنْزالِ الآياتِ ، وأنَّها ليسَتْ تابعةً لأهوائِهِمْ ، وأنّهُ سُبْحانَهُ لو أجابَ مَطْلَبَهُمْ ثمَّ كذَّبوا بعدَ ذلك لأهلَكَهُمْ ، ولكنَّ أكثَرَهَمُ لا يَعلمونَ نتائجَ أعمالِهِمْ .

وبعدَ ذلكَ ذَكَرَ اللهُ تَعالى بعضَ الآياتِ الكونيَّةِ المَبْثوثةِ في الأرضِ والجوِّ والمَعْروضَةِ على البصائرِ والأبصارِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

وإنَّ أقربَ دليلٍ على قُدْرةِ اللهِ تَعالى وحِكْمتِهِ ورَحمتهِ أنَّهُ خلقَ كلَّ شيءٍ ، وليسَ في الأرضِ حيوانٌ يَدُبُّ على ظَهْرِ الأرضِ أوْ في باطِنِها ، أو طائرٌ يطيرُ في الهواءِ ، إلاّ خَلَقَها اللهُ تَعالى جماعاتٍ مِثْلَكُمْ ، وجَعَلَ لها خَصائِصَها ومُميِّزاتِها ونظامَ حياتِها ، وما تركَ اللهُ تَعالى في الكتابِ المحفوظِ عِنْدَه شيئاً إلاّ أثبتَهُ وبيَّنَهُ ، وإنْ كانوا قدْ كذَّبوا فَسَيُحشرونَ معَ كُلِّ الأُممِ للحسابِ يومَ القيامةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ حِرْصُ الرَّسولِ ﷺ على هدايةِ قومِه .

٢ـ الكُفّارُ يَعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صادقٌ ، ولكنَّهُمْ يَجْحَدونَ هذهِ الحقيقةَ .

٣ـ الّذي يَستجيبُ للحقّ هوَ منْ كانَ حيَّ القلبِ والعقلِ .

٤ـ طريقُ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى شاقٌّ ومَحفوفٌ بالمَكارِهِ .

٥ـ نَصْرُ اللهِ ـ تَعالى ـ لا مَحالةَ قادمٌ للصّابرينَ المُخْلِصينَ .

٦ـ جميعُ ما يَدُبُّ على الأرضِ منْ صغيرِ المَخلوقاتِ وكبيرِها أُممٌ أمثالُ بني البَشَرِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَحْزُنكَ ، يَجحدونَ ، كَبُرَ عليكَ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ على ما يلي :

أـ الرّسولُ ﷺ شديدُ الحِرْصِ على إيمانِ قومِهِ .

ب ـ الكُفّارُ مَوْتَى القُلوبِ .

٣ـ بيّنْ بالدَّليلِ عقيدةَ الكُفّارِ الحقيقيّةَ في القرآنِ الكريمِ والنَّبيِّ ﷺ .

٤ـ طريقُ الدَّعوةِ مليءٌ بالأشواكِ ، بيّن ذلكَ .

٥ـ لماذا لمْ يسْتَجبِ اللهُ تعالى طَلَبَ الكُفّارِ بإنزالِ الآياتِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ حادثةً تدلُّ على تصديقِ قريشٍ لرسولِ اللهِ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ الثامِنُ والثلاثونَ

سورَةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا
تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا
ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم
مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ
سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ
ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

صُمٌّ : لا يَسْمَعونَ

بُكْمٌ : لا يَتكلَّمونَ .

في الظُّلماتِ : ظُلماتِ الجَهْلِ والعِنادِ ، الكفرِ .

أرأيتَكُمْ : أَخْبِروني عنْ عجيبِ أمرِكُمْ .

بالبَأْساءِ والضَّراءِ : بالبؤسِ والفقرِ والسُّقْمِ ، وغيرِها مِنَ الأمراضِ .

يَتضَّرعونَ : يَتذلَّلونَ ويَتخشَّعونَ ويَتوبونَ .

جاءَهُمْ بأْسُنا : أتاهُمْ عذابُنا .

فَتَحْنا عليهِمْ : صبَّ اللهُ عليهِمُ النَّعيمَ صبّاً استدراجاً لهُم .

أخذناهُمْ بغتةً	أنزلْنا بهمُ العذابَ فجأةَ .
هم مُبْلِسونَ	آيسونَ مِنَ الرَّحمةِ ، أو مُكْتئِبونَ .
دابرُ القوم	آخِرُهُمْ .
نُصَرفُ الآياتِ	نأتي بها على أساليبَ مُتنوِّعةٍ .
يَصْدِفونَ	: يُعرِضونَ ويَعْدِلونَ .

التَّفسيرُ :

بعد أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضاً منْ مَظاهرِ قُدْرَتِه سُبْحانَهُ ، أخذَ في بيانِ تَخبُّطِ المُشْرِكينَ وضَلالِهِمْ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

والّذينَ لم يُصَدِّقوا بأدّلتِنا الدّالَّةِ على قُدْرَتِنا ، وصِدْقِ رسالَتِكَ أيُّها النّبيُّ لم يَنتفِعوا بحواسّهِم في معرفةِ الحقِّ ، فتخبَّطوا في ضَلالِ الشّرْكِ والعِنادِ تخبُّطَ الأصمِّ الأبْكَمِ في ظُلماتِ اللّيلِ ، لا نجاةَ لهُ من الهلاكِ ، ولوْ كانَ في هؤلاءِ استعدادٌ للخيرِ لوفّقَهُمْ اللهُ تَعالى إليهِ . واللهُ سُبْحانَهُ إذا أرادَ إضْلالَ إنسانٍ لفسادِ قَصْدِهِ تَركَهُ وشأْنَهُ ، وإذا أرادَ هدايتَهُ لِسَلامةِ قَصْدِهِ ، يَسّرَ لهُ السَّيْرَ في طريقِ الإيمانِ الواضحِ .

ثمَ وجّهَ اللهُ تَعالى نِداءهُ لهؤلاءِ على هَيْئةِ السُّؤالِ وفيهِ : مَنْ تدعونَهُ وتَلْجأونَ إليهِ إذا جاءَكُمُ العذابُ أو السّاعةُ ؟ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لهؤلاءِ المُشْرِكينَ : أَخبِروني عنْ حالِكُمْ عندَما يداهِمُكُمْ عذابُ اللهِ تَعالى الدُّنيويُّ كالزَّلزالِ أو الرِّيحِ العاصفةِ ، أو تَفْجَؤكُمُ السّاعةُ بأهوالِها وشَدائدِها ، ألسْتُم في هذه الأحوالِ لا تَلجأونَ إلاّ إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ ، وتَنسوْنَ آلهتَكُمُ الباطلةَ ؟

إنَّ الفِطْرةَ الصَّحيحةَ حينئذٍ هيَ الّتي تَنْطِقُ على ألسنتِكُمْ ومِنْ دونِ شعورٍ منكُمْ ، وما دامَ الأمرُ كذلكَ ، فلماذا تُشْرِكونَ معَ اللهِ تَعالى آلهةً أخرى ؟ إنَّ أحوالَكُمْ هذه لَتدعو إلى الدَّهشةِ والغرابةِ لأنّكمَ تلجأونَ إليه وحْدَهُ عند الشّدائدِ والكُروبِ . وأكّدتِ الآيةُ الكريمةُ التّاليةُ تَوجُّهَهم إلى اللهِ وَحْدَهُ ، قالَ تَعالى :

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

بلْ تَخصّونَهُ وحدَهُ بالدُّعاءِ دونَ الآلهةِ الأُخرى ، فَيَكْشِفُ سُبْحانَهُ عنكُمْ ما تَلْتَمِسونَ كَشْفَه إنْ شاءَ اللهُ ذلكَ ، لأنَّه هوَ القادرُ على كلِّ شيءٍ ، وعندَها تَغيبُ عَنْ ذاكِرَتِكُمْ في تلكَ الأهوالِ والشّدائدِ تلكَ الأصنامُ الزائفةُ والمَعبوداتُ الباطلةُ .

ثمَّ أخذَ القرآنُ الكريمُ في تسليةِ النَّبيِّ ﷺ ، وفي بيانِ أحوالِ الأُممِ السابقةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لا يشقُّ عليكَ أيُّها النَّبيُّ ما تُلاقيهِ مِنْ قومِكَ ، فلقدْ أرسلْنا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إلى أُممٍ كثيرةٍ ، قبلَ أُمَّتِكَ ، فكانَ هؤلاءِ الأقوامُ أعتى مِنْ قومِكَ في الشّركِ والجُحودِ ، فعاقبناهُمْ بالفَقْرِ الشَّديدِ والبَلاءِ المُؤْلِمِ ، لعلَّهُمْ يَخضَعونَ ويَرجعونَ عنْ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ ، ويَلجأونَ إلى اللهِ تَعالى .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ أنَّ الأُممَ لم تَعتبرْ مِمّا أصابَها منْ شدائدَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

كانَ يَنبغي على هذهِ الأقوامِ أنّ تَرْجعَ إلى ربِّها بعدَ ما أصابَها ، ولكنَّها لم تفعلْ ، وكانَ الحائلُ بينَها وبينَ التَّوْبةِ والتَّضرُّعِ عندَ نزولِ الشَّدائدِ أمريْنِ :

الأَولُ : قَسوةُ قلوبِهِمْ ، فكانتْ غليظةً ، وجامدةً كالحِجارةِ أو أشدَّ قَسْوةً .

الثّاني : تَزيينُ الشَّيْطانِ لهم أعمالَهُمُ السِّيئةَ ، بأنْ أوحى إليهِمْ بأنَّ ما هُم عليهِ هوَ خيرٌ ، لأنَّهُ لا يَتنافى معَ ما كانَ عليهِ آباؤهُمْ . ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّه قدِ ابتلاهُم بالنِّعمِ بعدَ أنْ عاجَلَهُمْ بالشَّدائدِ فلمْ يرتدِعوا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

فلمَّا تَركوا الاتِّعاظَ بما ابْتَليناهُم بهِ مِنَ الفَقْرِ والمرضِ ، ابْتَليناهُمْ بعدَ ذلكَ بالرِّزقِ الواسعِ ، فَفَتحنا عليهِمْ أبوابَ كلِّ شيءٍ مِنْ أسبابِ الرِّزقِ اسْتِدْراجاً وإملاءً ، حتَّى إذا فَرِحوا بما أنعمْنا بهِ عليهِم ولمْ يَشكُروا اللهَ تَعالى عليهِ ، جاءَهُمُ العذابُ فجأةً ، فإذا همْ مُتَحيّرونَ يائِسونَ ، لا يَجدونَ للنَّجاةِ سَبيلاً .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

فأُبيدَ هؤلاءِ القومُ الظّالمونَ عنْ آخرِهِمْ ، والحمدُ للهِ تَعالى مُرَبّي الخَلْقِ بالنِّعمِ والنِّقمِ ، ومُطهِّرِ الأرضِ منْ فسادِ الظّالمينَ .

ثمَّ ذكَّرَ اللهُ تعالى النَّاسَ بنعمتِهِ عليهِمْ في خَلْقِهِمْ وتكوينِهِمْ ، وبيَّنَ لهُم أنَّه إذا سَلَبَهُم شيئاً منْ حواسِّهِمْ فإنَّه لا يَستطيعُ أحدٌ إعادَتَها لهُمْ ، قال تَعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

قلْ يا محمّدُ لهؤلاءِ المشركينَ : أخبروني ماذا أنتُم فاعلونَ إنْ سَلَبَ اللهُ تَعالى سَمْعَكُمْ وغطَّى قلوبَكُمْ بما يَحْجُبُها عن الإدراكِ ، فجعَلَكُمْ صُمّاً عُمْياً لا تَفهمُونَ شَيْئاً ؟ ماذا تَفعلونَ مع آلهتِكُمُ الّتي تَدعونَهُمْ وتَرجونَ شفاعتَهُمْ لو فعَلَ بكم ذلكَ ؟ مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُمْ بهذا الّذي أخذَهُ مِنْكُمْ ؟ انظُرْ أيُّها النبيُّ كيفَ نُوضِّحُ البراهينَ ونُنوِّعُها ، ثمَّ هُمْ مع هذا يُعْرِضونَ عنْ تدبُّرِها والانتفاعِ بها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ موْقفُ الكافرينَ منْ آياتِ اللهِ تَعالى موقفُ الأَصمِّ الأبْكَمِ .

٢ـ الهدايةُ والضَّلالُ بيدِ اللهِ تَعالى .

٣ـ اللهُ تَعالى يَبْتَلي بالنِّعمِ كما يبتلي بالنِّقَمِ .

٤ـ قَسوةُ القلبِ حائلةٌ دونَ التَّوْبةِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

صُمٌّ بُكْمٌ ، أرأيتَكُمْ ، يَتضَّرعونَ ، فتحنا عليهِم أبوابَ كلِّ شيءٍ ، مُبْلسونَ ، يَصْدِفونَ .

٢ـ بيِّنْ موقفَ الكفّارِ منْ آياتِ اللهِ تَعالى .

٣ـ لِمنْ يلجأُ الكُفّارُ عندَ الشَّدائدِ ؟

٤ـ بيّنِ الأسبابَ الّتي تحولُ بينَ الإنسانِ والتَّوْبةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةً تدلُّ على أنّ الكافِرينَ لايُعْمِلونَ حواسَّهُمْ ولا يُفيدونَ منها في اتِّباعِ الحقِّ .

٢ـ اكتبْ في دَفترِكَ الحوارَ الّذي دارَ بين الحُصينِ ورَسولِ اللهِ ﷺ عندَما دعاهُ إلى الإسلامِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ
ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ
وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَغتةً : فَجأةً.

جهْرَةً : مُعايَنةً .

التَّفسيرُ :

يُتابعُ القرآنُ الكريمُ في بيانِ ألوانِ الإقناعِ الّتي ابتدأَها في الآياتِ السّابقةِ ، ويُوجِّهُ النَّاسَ هُنا إلى حُجَّةٍ جديدةٍ ، قالَ تَعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لهؤلاءِ : أخبروني إنْ حلَّ بكُمُ العذابُ مِنَ اللهِ تَعالى فجأةً دونَ توقُّعٍ منكُمْ ، أوْ جاءَكُمْ عَياناً على ترَقُّبٍ لِسَبْقِ ما يُنذرُكُمْ بوقوعِهِ ، هلْ يُصيبُ هذا العذابُ إلاّ القومَ الّذينَ ظَلموا أنفسَهُمْ بالإصْرارِ على الشِّركِ والضَّلالِ ؟ إنّه لا يصيبُ غيرَهُمْ .

ثمَّ بيّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ وظيفةَ الرُّسُلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

تلكَ سُنَّتُنا وطَريقتُنا في إهْلاكِ المُكَذِّبينَ للرُّسُلِ ، والمُعْرِضينَ عنْ دَعْوتِهِمْ ، فإنَّنا ما نُرْسِلُ المُرْسَلينَ إليهم إلاّ بوظيفةٍ مُعيَّنةٍ مُحَدَّدةٍ ، هيَ تَقديمُ البِشارةِ لمنْ آمنَ وعَمِلَ صالحاً ، وسَوْقُ الإنذارِ لمنْ كذَّبَ وعَمِلَ سيِّئاً .

فمَنْ آمنَ باللهِ تَعالى ومَلائكتِهِ ، وكُتُبه ، ورُسلِهِ ، واليوم الآخرِ ، وأصْلَحَ في عَمَلِهِ ، فلا خوفٌ عليهم منْ عذابِ الدّنيا الّذي يَنْزِلُ بالجاحدينَ ، ولا مِنْ عَذابِ الآخِرَةِ الّذي يَحِلُّ بالمُكَذّبينَ ، ولا همْ يَحزنونَ يومَ لقاءِ اللهِ تَعالى على شيءٍ فاتَهُمْ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

والّذينَ كذّبوا بالأدِلَّةِ الواضحةِ على صِدْقِ ما جاءَ بهِ الرُّسُلُ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ يُصيبُهمُ العَذابُ بسببِ خُروجِهمْ عنِ الطَّاعةِ والإيمانِ .

ثمَّ لقَّنَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ ، الأجوبةَ الحاسِمةَ الّتي تدفَعُ شُبُهاتِ الكافِرينَ ، وبيّنَ ضَلالَ مُقتَرَحاتِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

قلْ أيّها الرسولُ لهؤلاءِ الكُفّارِ : لا أقولُ لكُم إنّي أمْلِكُ التَّصرُّفَ بما يَمْلِكُهُ اللهُ تَعالى ، فأُجيبَكُمْ إلى ما تَطلبُونَ ، ولا أدَّعي عِلْمَ الغيبِ الّذي لمْ يُطْلِعْني اللهُ تَعالى عليهِ ، ولا أقولُ لكُم إنّي مَلَكٌ أستطيعُ الصُّعودَ إلى السَّماءِ ، إنَّما أنا بشرٌ لا أتَّبعُ إلاّ ما يوحِيهِ اللهُ تَعالى إليَّ .

وقلْ لهُم يا أيُّها النَّبيُّ : هلْ يستوي الضَّالُّ والمُهْتدي في معرفةِ هذه الحقائقِ ؟ هلْ يَليقُ بكُمْ أنْ تُعرِضوا عنْ هُدىً أسوقُه لكُم ، فلا تتأمَّلونَ فيه بعقولِكُمْ حتَّى يتبيَّنَ لكُم الحقُّ ؟

ثم أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يَجتهدَ في إنْذارِ قَوْمٍ يُتوقَّعُ مِنْهُمُ الصَّلاحُ والاسْتِجابَةُ للحقِّ ، بعَدَ أنْ أمرَهُ قبلَ ذلكَ بتوجيهِ دعوتِه للنَّاسِ كافَّةً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

عِظْ وخوّفْ يا محمَّدُ بهذا القرآنِ أُولئكَ الّذينَ يَخافونَ شِدَّةَ الحساب والعقاب ، وتَعتريهِمُ الهَيْبةُ عندَما يتذكَّرونَ أهوالَ يوم القيامةِ ، لأنَّهم يَعلمونَ أنَّه يومٌ لا تنفعُ فيه خُلَّةٌ ولا شَفاعةٌ ، فهؤلاءِ هُم الّذينَ تُرجَى هدايتُهُمْ لِرقَّةِ قُلوبِهِمْ وتَأثُّرِهِمْ بالعِظاتِ والعِبَرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ إذا وقعَ عذابُ اللهِ تَعالى بقومٍ ، فالهَلْكى همُ الظّالمونَ .

٢ـ تأكيدُ أنَّ وظيفةَ الرُّسُلِ مُنحَصِرةٌ بينَ التَّبشيرِ والإنذارِ ، وتبليغِ شَرْعِ اللهِ للنَّاسِ .

٣ـ الإيمانُ والصَّلاحُ يُنَجّيانِ مِنْ عذابِ اللهِ .

٤ـ الرَّسولُ ﷺ لا يَمْلِكُ منْ أمْرِ الغَيْبِ شيئاً .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

بَغتةً ، جهرةً .

٢ـ بيِّنْ وظيفَةَ الرُّسُلِ منْ خلالِ الآياتِ الكريمةِ .

٣ـ الإيمانُ والصَّلاحُ يُنجِّيانِ منْ عذابِ اللهِ تَعالى ، هاتِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ بيِّنْ جزاءَ المُكذّبينَ بآياتِ اللهِ تَعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ الفَرْقَ بينَ الهمِّ والحَزَنِ ، ودعاءَ الرّسولِ ﷺ بخصوصِهما .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الكهفِ التي تُبيّنُ المَعْنى الواردَ في الآيةِ (٥٠) الخاصَّ بالرَّسولِ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ الأرْبَعونَ

سورَةُ الأنْعامِ - القِسْمُ التّاسِعُ

وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ
وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾
وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ
مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- بالغَداةِ والعَشِيِّ : في أوّلِ النَّهارِ وآخرِهِ .
- فَتنَّا : ابتلَيْنا وامْتَحنَّا .
- مَنَّ اللهُ عليهم : أَنْعمَ اللهُ عليهم .
- كَتَبَ ربُّكُمْ : قضَى وأوجبَ تفضُّلاً وإحْساناً .
- بجَهالةٍ : سَفاهَةٍ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تعالى في الآياتِ السَّابقةِ مُهمَّةَ الرّسولِ ﷺ ، أمرَهُ بأنْ يُقرِّبَ فُقراءَ المُسلِمينَ منْ مَجْلِسهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

روى مسلمٌ عنْ سعدِ بن أبي وقاصٍ قالَ : كنّا معَ النَّبيِّ ﷺ ستةَ نفرٍ ، فقالَ المُشْركونَ للنَّبيِّ ﷺ : اطرُدْ هؤلاءِ لا يَجترِؤونَ علينا ، قالَ : وكنتُ أنا وابنُ مسعودٍ ورجلٌ منْ هُذَيْلٍ وبلالُ ورجلانِ لستُ أُسمّيهما . . فوقَع في نفسِ رسولِ اللهِ ﷺ ما شاءَ اللهُ تَعالى أنْ يقعَ ، فحدَّثَ نفسَه ، فأنزلَ اللهُ تَعالى هذهِ الآيةَ[1] .

ولا تستجبْ أيُّها النَّبيُّ لدعوةِ المُتكبِّرينَ مِنَ الكُفَّارِ ، فتُبْعِدَ عنكَ المُسْتَضْعَفينَ منَ المُؤْمنينَ الّذينَ يَعبدونَ ربَّهُمْ ويَذْكرونَهُ أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ ، ولا يُريدونَ إلاّ رضاهُ ، ولا تَلتفتْ إلى دسِّ المُشْرِكينَ على هؤلاءِ المُؤْمنينَ ، فلسْتَ مَسؤولاً أمامَ اللهِ تَعالى عنْ شيءٍ منْ أعمالِهِمْ ، كما أنَّهمْ ليسوا مَسؤولينَ عنْ شيءٍ مِنْ أعمالِكَ ، فإنِ اسْتَجبتَ لهؤلاءِ الكُفّارِ المُتعنِّتينَ وأبْعَدْتَ المؤمنينَ كنتَ مِنَ الظّالمينَ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

وبِمثْلِ هذا الابتلاءِ الّذي جرَتْ بهِ سُنَّتنا ، امتحنّا المُتكبِّرينَ بسَبْقِ الضُّعفاءِ إلى الإسلامِ ، ليقولَ المُتكبّرونَ مُسْتَنكِرينَ ساخِرينَ : هلْ هؤلاءِ الفُقراءُ همُ الّذينَ أنعمَ اللهُ تَعالى عليهِم مِنْ بَيْنِنا بالخيرِ الّذي يَعِدُهُمْ بهِ محمّدٌ ﷺ ؟ إنّ هؤلاءِ الفقراءَ يَعرفونَ نعمةَ اللهِ تَعالى عليهِم بالتّوفيقِ إلى الإيمانِ فَيشكرونَهُ ، واللهُ أعلمُ بمنْ يشكرُونَ فَضْلَهُ ونِعَمَهُ .

ثمّ وجَّه اللهُ تَعالى نَبيَّهُ إلى طَمْأَنةِ المؤمنينَ بآياتِ اللهِ تَعالى وإلى أنَّ بابَ التَّوْبةِ مفتوحٌ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

وإذا جاءَكَ يا محمَّدُ الّذينَ يُصدّقونَ بالقرآنِ فقلْ لهمُ تكريماً لهُم : سلامٌ عليكُم ، أُبشِّرُكُمْ

---

(١) رواه مسلم ٤/ ١٨٧٨ حديث رقم (٢٤١٣) .

برحمةِ اللهِ تَعالى الواسعةِ الّتي أوجبَها على نفسِهِ تفضُّلاً منهُ ، والّتي تقضي بأنَّ مَنْ عَمِلَ منكُمْ سَيِّئةً غيرَ مُتدبِّرٍ نتائجَها ثمَّ رجعَ إلى اللهِ تَعالى نادِماً تائِباً وأصْلَحَ أعمالَهُ ، غفرَ اللهُ تَعالى لهُ ، لأنَّه كثيرُ المَغفرةِ واسعُ الرَّحمةِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

وبمثلِ ذلكَ البيانِ الواضحِ نُوضِّحُ الدَّلائلَ المُتنوِّعةَ ليَظهرَ الحقُّ الّذي يَسْلكُهُ المؤمنونَ ، ويتبيّنَ طريقُ الباطلِ الّذي يسلكُهُ الكافرونَ ، فيعرفَ المُسْتَمِعُ أيَّ الطَّريقَينِ يَسْلكُ وأيَّ المَنْهجَيْنِ يختارُ .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّه ﷺ أنْ يُصارِحَ أعداءَهُ ببراءَتِه مِنْ شركِهِمْ ومِنَ اتِّباعِ باطِلِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ لهؤلاءِ المُشْركينَ الّذينَ يُريدونَ منكَ أنْ تَرْكَنَ إليهِمْ ، إنّ اللهَ تَعالى نهاني وصَرَفَني بفضلِهِ وبما مَنَحني مِنْ عَقْلٍ مُفكِّرٍ عنْ عبادةِ الآلهةِ التي تَعبُدونَها وتدعونَها منْ دونِ اللهِ ، وقلْ لهمْ أيضاً بكلِّ صراحةٍ وقُوّةٍ : إنّي لستُ مُتَّبعاً لِما تُمليهِ عليكُمْ أهواؤكُمْ وشَهَواتُكُمْ مِنَ انقيادٍ للأباطيلِ ، ولوْ أنّي ركنتُ إليكُم لضَلَلْتُ عنِ الحقِّ وكنتُ خارجاً عنْ طائفةِ المُهْتَدينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ ينبغي الاحتفالُ والاحتفاءُ بالفُقراءِ المُؤْمنينَ لأنَّهم أفضلُ عندَ اللهِ تَعالى مِنَ الكافرينَ أصحابِ الثَّراءِ والجاهِ .

٢ـ اللهُ تَعالى يَبتلي عبادَهُ بما شاءَ .

٣ـ اللهُ تَعالى أرحمُ الرَّاحمينَ ، وبابُ التَّوْبةِ مَفتوحٌ لمنْ تابَ ورجعَ إلى اللهِ .

٤ـ الرُّكونُ إلى الّذينَ ظَلَموا خُروجٌ عنْ جماعةِ المُهْتَدينَ .

٥ـ الرَّسولُ ﷺ لا يَملِكُ منْ أمْرِ الغيبِ شيئاً .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الغداةِ والعَشيِّ ، فَتنّا ، مَنَّ اللهُ عليهِم مِنْ بَيْنِنا ، كَتَبَ ربُّكُمْ ، بِجَهالةٍ .

٢ـ بيّن سببَ نزولِ الآيةِ (٥٢) .

٣ـ لماذا نهى اللهُ تَعالى عنْ طَرْدِ المُؤْمنينَ الفقراءِ ؟

٤ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ سُنَّةً مِنْ سُننِ اللهِ تَعالى في الابتلاءِ ، اذكُرْ هذهِ السُّنّةَ .

٥ـ ما المَوْقِفُ الّذي أرادَ اللهُ تَعالى منْ نَبيّهِ ﷺ أنْ يُصارِحَ بهِ الكُفّارَ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ ما قالهُ قومُ نوحٍ ـ عليهِ السّلامُ ـ لِرَسولِهِمْ نوحٍ فيما يتعلّقُ بِمَنِ اتَّبَعوهُ وآمنوا بهِ ، وتَدبَّرْ وجْهَ الشّبَهِ بينَ القَوْمَيْنِ والمَطْلَبيْنِ في سورةِ (نوحٍ) وفي الآيةِ (٥٢) مِنْ سورَةِ الأَنْعامِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والأربعونَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ
يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ
مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَقُصُّ الحقَّ : يُبَيِّنُهُ بياناً شافياً .

خَيْرُ الفاصِلينَ : خيرُ مَنْ يَفْصِلُ بينَ الحقِّ والباطِلِ .

مفاتِحُ الغيْبِ : مخازِنُ الغيبِ ومفاتِيحُها .

كتابٍ مبينٍ : اللَّوحِ المحفوظِ .

جَرَحْتُمْ : كَسَبْتُمْ بجوارِحِكُمْ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ بِمُصارحةِ الكافِرينَ بِبراءتِهِ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ شِرْكِهِمْ ، أمَرَهُ هُنا بأنْ يُخْبِرَكُمْ بأنَّهُ على الحقِّ الواضِحِ الّذي لا ضَلالَ فيه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

قلْ لهمُ يَا محمَّدُ : إنّي على شِرْعَةٍ واضحةٍ مُنزَّلَةٍ مِنْ عندِ ربِّي ـ تباركَ وتَعالى ـ وقدْ كذَّبتُمُ القرآنَ الّذي جاءَ بِها ، وليسَ في قُدْرتِي أنْ أُقدِّمَ لَكُمْ ما تَستعجلونَ بهِ مِنَ العذابِ ، بلْ هوَ قُدرةُ اللهِ تَعالى ، ومَرْهونٌ بإرادَتِهِ ، وحِكْمَتِه ، وليسَ الأمرُ والسُّلطانُ إلاّ للهِ تَعالى ، إنْ شاءَ عَجّلَ لكُمُ العذابَ ، وإنْ شاءَ أخَّرَهُ ، وللهِ تَعالى في ذلكَ كُلِّهِ حِكْمَةٌ ، وهوَ سُبْحانَهُ خيرُ الفاصِلينَ بَيْني وبينَكُمْ .

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

قلْ لهمُ يَا محمَّدُ : لوْ أنَّ في قُدرتِي إنزالَ العذابِ الّذي تَتعجَّلونَهُ ، لأَنْزَلْتُهُ عليكُم غَضَباً لِربّي ، وانْتَهى الأمْرُ بَيْني وَبَينَكُمْ بذلكَ ، ولكنَّ الأمرَ للهِ تَعالى ، هو سُبْحانَهُ أعلمُ بما يَستحقُّهُ الكافرونَ مِنَ العذابِ العاجلِ أوِ الآجلِ .

ثمّ يَمضي السِّياقُ القرآنيُّ معَ المُكَذِّبينَ المُتعجِّلينَ للعذابِ ، فَيُبيِّنُ لهمُ صورةً لِعلْمِ اللهِ تَعالى الشّاملِ الّذي لا يغيبُ عنْه شيءٌ ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وعندَ اللهِ تَعالى عِلْمُ جميعِ أبوابِ المُغيّباتِ ، لا يُحيطُ بها عِلْماً إلاّ هوَ سُبْحانَهُ ومَنْ يُظهِرُهُ على بعضِها وَ بِأَمْرِهِ ، ويُحيطُ سُبْحانَهُ كذلكَ بجميعِ المَوْجوداتِ في البرِّ والبحرِ ، ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ مِنْ شجرةٍ مِنَ الأشجارِ ، ولا حبَّةٍ في باطنِ الأرضِ ، ولا شيءٍ رَطْبٍ ، ولا يابسٍ منَ الثّمارِ أو غَيْرِها إلاّ ويعلَمُهُ اللهُ تَعالى عِلْماً تامّاً شامِلاً ، لأنَّ كُلَّ ذلكَ مَكتوبٌ ، ومَحْفوظٌ في اللّوحِ المحفوظِ ، وهوَ سُبْحانَهُ مُحيطٌ بهِ ومُطَّلِعٌ عليهِ .

قال النَّبيُّ ﷺ : « مفاتحُ الغيبِ خمْسٌ لا يَعْلَمُها إلاّ اللهُ : لا يعلَمُ أحدٌ ما يكونُ في غَدٍ ، ولا يَعلمُ أحدٌ ما يكونُ في الأَرْحامِ إلاّ اللهُ ، ولا تَعلمُ نَفْسٌ ماذا تكسِبُ غداً ، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ ، ولا يَدْري أحدٌ متَى يجيءُ المَطَرُ »[1]

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٣٥١ رقم (٩٩٢) .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يُنيمُكُمْ بالليلِ ، ويَقبضُ أرواحَكُمْ إليهِ ، ويوقظُكُمْ بالنَّهارِ ، ويَعلَمُ ما كَسبتُم فيهِ ، حتَّى ينتهيَ أجَلُ كلٍّ منكُم في الدّنيا بموتِهِ ، ثمَّ يومَ القيامةِ تُرْجَعونَ جميعاً إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ ، فيخبِرُكُمْ بأعمالِكُمُ التي فَعلتمُوها في الدُّنيا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ ويُجازيكُمْ عَليْها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ ـ الحُكْمُ للهِ تَعالى ، وهو خيرُ الحاكِمينَ ، ولا يَعلَمُ الغيبَ إلاّ هُوَ .

٢ ـ اللهُ تَعالى يَعْلَمُ الجُزْئيّاتِ كما يعلمُ الكُلّياتِ .

التّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ ـ هاتِ مَعانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يقصُّ الحقَّ ، خيرُ الفاصِلينَ ، وعندهُ مَفاتِحُ الغيبِ ، لا يَعلمُها إلاّ هُوَ .

٢ ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أ ـ ليسَ الحُكْمُ إلاّ للهِ تَعالى .

ب ـ الغيبُ للهِ تَعالى .

ج ـ اللهُ تَعالى يعلمُ الجُزئيّاتِ .

د ـ الموتُ غيرُ الوفاةِ .

٣ ـ ذكرَ النَّبيُّ أنَّ مفاتيحَ الغيبِ خمسةٌ ، اذكرْها .

نَشاطٌ :

اكتُبْ في دفترِكَ آيةً تُبيِّنُ المَعْنى الواردَ في الآيةِ (٥٩) .

الدَّرْسُ الثّاني والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن
يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾
قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن
فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ
لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

القاهِرُ فوقَ عبادِه : المُسْتَعلي عليهم بقهْرِه وسُلْطانِهِ .

حفَظَةً : ملائكةً يَحفظونَكُمْ ويُسَجِّلونَ أعمالَكُم .

لا يُفرِّطونَ : لا يُقصِّرونَ ولا يَتأخَّرونَ .

تضرُّعاً : مُعلِنينَ الضَّراعةَ والتَّذلُّلَ للهِ تَعالى .

خُفيةً : مُسرّينَ بالدُّعاءِ .

يَلبِسَكُمْ : يَخْلِطَكُمْ .

شِيَعاً : فِرَقاً مُختلِفةً .

بأسَ : شدَّةَ .

نُصرِّفُ الآياتِ : نأتي بها على أساليبَ مُتنوِّعةٍ .

بِوكيلٍ : بحفيظٍ ، وُكِّلَ إليهِ أمرُكُمْ .

لكلِّ نَبأٍ مُستقرٌّ : لكلِّ خبرٍ وقتُ حصولٍ لا بُدَّ مِنْهُ .



ما تزالُ الآياتُ الكريمةُ تتتابعُ في بيانِ قُدرةِ اللهِ تَعالى ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الغالبُ بقدرتِه ، المُسْتَعلي بِسُلْطانِهِ على عِبادِه ، وهوَ الّذي يُرْسِلُ عليكُمْ ملائكةً تَحفَظُ أعمالَكُمْ وتُحصيها وتُسَجِّلُ ما تَعْملونَهُ منْ خيرٍ أوْ شرٍّ ، إلى أنْ تجيءَ نهايةُ كلٍّ منكم ، فَتَقْبِضُ روحَهُ مَلائكتُنا الّذينَ نُرْسِلُهُمْ لذلكَ ، وهمْ لا يُقَصِّرونَ فيما يُوكَلُ إليهِم .

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

ثمَّ يُبعَثُ هؤلاءِ الأمواتُ يومَ القيامةِ ، ويَقومونَ أمامَ ربِّهِمُ الّذي يَتولّى وحْدَهُ أُمورَهُمْ بحقّ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي لهُ الفَصْلُ بينَ الخلائقِ وحسابُهُمْ في ذلكَ اليومِ . وهوَ سُبْحانَهُ أسرعُ مَنْ يتولّى الحسابَ والجزاءَ .

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

قلْ يا محَمّدُ ﷺ لِهؤلاءِ الغافلينَ : مَنِ الّذي يُنجّيكُمْ مِنْ ظُلماتِ البرِّ والبحرِ عندَما تغشاكُم بأهوالِها المُرعبَةِ وشَدائِدِها المُدْهِشَةِ ؟ إنّكم في هذهِ الحالةِ تلجأونَ إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ تَدعونَه إعْلاناً وإسْراراً بذلّةٍ وخُضوعٍ وإخْلاصٍ قائلينَ لهُ : لئنْ أنجيْتَنا يا ربَّنا منْ هذهِ الشَّدائدِ والدَّواهي المُظْلِمَةِ لَنكونَنَّ لكَ منَ الرّاسِخينَ في الشُّكْرِ المُداوِمينَ عليهِ .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قلْ لَهُمْ يا مُحَمّدُ : اللهُ تَعالى وحدَهُ يُنَجّيكُمْ منْ هذهِ المَخاوفِ والشّدائدِ والأهوالِ ومِنْ كُلِّ غمٍّ يأخذُ بنُفوسِكُمْ ثمَّ أنتمُ بعدَ هذهِ النَّجاةِ تُشركونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، ممّا لا يدفعُ عنكُمْ شرّاً ، ولا يَجْلِبُ لكُمْ خَيْراً ، مُخْلِفينَ بذلكَ وعْدَكُمْ حانثينَ في أَيْمانِكُمْ .

وهاتانِ الآيتانِ الكريمتانِ تَدلاّنِ على أنَّ الإنسانَ حينَ يقعُ في الشّدَّةِ تَظْهَرُ منهُ الأشياءُ التّاليةِ :

أولاً : الدُّعاءُ .

ثانياً : التَّضرُّعُ .

ثالثاً : الإخلاصُ بالقَلْبِ .

رابعاً : التزامُ الاشْتِغالِ بالشُّكرِ .

ولكنَّ الكافرينَ سُرْعانَ ما يَجحَدونَ ، ويُنكِرونَ فَضْلَ اللهِ عليهِم ، ويُشْرِكونَ معهُ غيرَهُ .

ثمَّ بعدَ أن بيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّه لا يُنجّيهِمْ عندَ الكُروبِ إلاّ اللهُ تَعالى وحدَهُ ، بيّنَ قُدْرَتَهُ على تَعذيبِهِمْ ، تَهديداً لهُم حتَّى يَخشَوْا بأسَه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

قلُ يا مُحَمَّدُ ﷺ لِهؤلاءِ الجاحِدينَ : إنَّ اللهَ تَعالى هُوَ القادرُ على أنْ يُرْسِلَ عليكُمْ عَذاباً عظيماً مِنْ فوقِكُمْ ، كما أرسلَ على قومِ لوطٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وعلى أصحابِ الفيلِ الحِجارةَ ، أوْ مِنْ تحتِ أرْجُلِكُمْ كما حدَثَ لفرعونَ وجُنودِهِ مِنَ الغرقِ ، وكما حصَلَ لقارونَ حيثُ خَسَفَ اللهُ تَعالى بهِ الأرضَ ، أوْ يَخْلِطَكُمْ فِرَقاً مُختلفةَ الأهواءِ ، متباينةَ المشاربِ ، مُضْطَرِبةَ الشّؤونِ ، كُلُّ فِرْقةٍ تَتْبعُ إماماً لها تقاتِلُ معَه غيرَها ، فيزولُ الأمنُ ويعُمُّ الفسادُ ، ويُسلِّطُ بعضَكُمْ على بعضٍ بالعذابِ والقَتْلِ ، لأنَّ مِنْ عواقبِ ذلكَ اللَّبسِ التَّقاتُلَ والتَّصارُعَ . وفي هاتينِ الجُمْلَتيْنِ تصويرٌ مُؤثّرٌ للعذابِ الّذي يَذوقُهُ النّاسُ بأيديهِمْ ، إذْ يجعلُهُمُ اللهُ تَعالى أحْزاباً غيرَ منعزلٍ بعضُها عن بعضٍ ، فهيَ أبَداً في حالِ جدالٍ وصراعٍ ، وفي خصومةٍ ونزاعٍ ، وفي بلاءٍ يَصبُّهُ هذا الفريقُ على ذلك ، وذلكَ أشنعُ ما تُصابُ بهِ الجماعةُ فيأكلُ بعضُها بعضاً .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى الآيةَ بقولِهِ : ﴿انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾ .

انظرْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ ، أوْ أيُّها العاقِلُ ، وتدبَّرْ كيفَ نُنوِّعُ الآياتِ والعِبرَ والعِظاتِ بالتَّرغيبِ تارةً ، والتَّرهيبِ تارةً أُخرى ، لعلَّهم يَفقَهونَ الحقَّ ، ويُدرِكُونَ حقيقةَ الأمرِ ، فَيَنْصَرِفوا عنِ الجُحودِ والمُكابرةِ ، ويَكفُّوا عنْ كُفْرِهِمْ وعِنادِهِمْ .

وبعدَ هذا التَّهديدِ الشَّديدِ للمُعانِدينَ ، توجَّه القرآنُ الكريمُ إلى الرَّسولِ ﷺ ، فأمَرَهُ أنْ يُصارحَ قومَهُ بسوءِ مصيرِهِمْ ، إذا ما استمرُّوا في ضَلالِهم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

وكذَّب قومُك بهذا العذابِ أوْ بالقرآنِ ، وهوَ الحقُّ الّذي لا مَوْضِعَ فيهِ لتكذيبٍ ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فقلْ أيّها النَّبيُّ ﷺ لهؤلاءِ : لسْتُ موكَّلاً بِحِفْظِكُمْ وإحْصاءِ أعمالِكُمْ ، ومُجازاتِكُمْ عليْها ، بلْ أمْرُكُمْ إلى اللهِ تَعالى ، ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذا التهديدَ بقولِه سُبْحانَهُ :

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

لكلِّ خَبَرٍ عظيمٍ وقتُ اسْتِقرارٍ وحُصولٍ لابُدَّ منهُ ، وسوفَ تعلمونَهُ في المُستقبلِ عندَ حلولِهِ بكُمْ متى شاءَ اللهُ تعالى ذلكَ ، قال سُبْحانَهُ : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴾ [ص : ٨٨] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ بيانُ قُدرةِ اللهِ تَعالى وَقهرِهِ لعبادِهِ .

٢ـ ملائكةُ اللهِ تَعالى أُمناءُ على أداءِ مُهمّاتِهِمْ على خَيْرِ وَجْهٍ .

٣ـ مصيرُ الخَلْقِ لا مَحالةَ إلى اللهِ تَعالى وَحْدَهُ .

٤ـ سُرعانَ ما يعودُ الإنسانُ إلى حالتِهِ الأولى بعدَ أنْ تُزالَ الشدّائدُ عنهُ .

٥ـ أسوأُ العذابِ أنْ يتداخلَ النّاسُ فيما بَيْنَهُمْ ، مُتَحزّبينَ مُختلِفينَ مُتَنازِعينَ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

القاهرُ فوقَ عبادِهِ ، لا يُفرِّطونَ ، تَضرُّعاً وخُفيةً ، يَلبِسَكُم شِيَعاً ، لكلِّ نبَأٍ مُسْتَقرٌّ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ اللهُ عزَّ وجلَّ قاهرٌ عبادَهُ .

ب ـ ملائكةُ اللهِ تَعالى أُمناءُ على عَمَلِهِمْ .

ج ـ المَصيرُ المحتومُ إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ ماذا يحصلُ للإنسانِ إذا حصلَ لهُ كَرْبٌ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ وُقوفَ الإنسانِ بينَ يديْ ربِّهِ للحسابِ .

الدَّرسُ الثَّالثُ والأربعونَ

سورةُ الأنعامِ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن
شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ
شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَخوضونَ : يأخُذونَ في الاستِهزاءِ والطَّعنِ .

الذِّكرى : التَّذكير .

غرَّتْهُمْ : خدَعَتْهُمْ وأطمَعَتْهُمْ في الباطلِ .

أنّ تُبْسَلَ نفسٌ : لئلاَ تُحْبَسَ في النَّارِ أو تُسْلَمَ للهَلَكَةِ .

تعدِلْ كلَّ عدلٍ : تَفتدي بكلِّ فداءٍ .

أُبسِلوا : حُبسوا في النَّارِ أوْ سُلِّموا للهَلَكَةِ .

حَميمٍ : ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحرارةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ ساقَتِ الآياتُ الكريمةُ السَّابقةُ ألواناً مِنْ قُدْرةِ اللهِ تَعالى ، وهدَّدتِ المُعانِدينَ في كلِّ

زمانٍ ومكانٍ بسوءِ المَصيرِ ، أمرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ وأَتباعَهُ بأنْ يَهْجُروا المَجالسَ الّتي لا تُوقَّرُ فيها آياتُ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

وإذاَ رأيتَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ ﷺ ، أو أيُّها المؤمنُ العاقلُ ، الّذينَ يخوضونَ في آياتِنا بالتَّكذيبِ والطَّعْنِ والاسْتِهزاءِ ، فأعْرِضْ عنهُم وانْصَرِفْ عنْ مجالسِهِمْ ، وأرِهِمْ مِنْ نفسِكَ الاحتقارَ لِتَصرُّفاتِهِمْ ، ولا تَعُدْ إلى مَجالسِهِمْ حتّى يخوضوا في حديثٍ غيرِه ، لأَنَّ آياتِنا منْ حقِّها أنْ تُعَظَّمَ وأنْ تُحترَمَ ، لا أنْ تكونَ مَحلَّ تهكُّمٍ واستِهزاءٍ ؛ وإمّا يُنْسيكَ الشّيطانُ ما أُمِرْتَ بهِ من تَرْكِ مُجالسةِ الخائضينَ ـ على سبيلِ الفَرَضِ والتّقديرِ ـ فَلا تَقْعُدْ بعدَ التذكُّرِ معَ القومِ الظّالمينَ لأنفسِهِمْ بتكذيبِ آياتِ اللهِ تَعالى والاسْتِهزاءِ بها .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا تَبِعَةَ على المُؤْمِنينَ ما داموا قدْ أعْرَضوا عنْ مجالسِ الخائِضينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

وما على الّذينَ يتَّقونَ اللهَ تَعالى شيءٌ منْ حسابِ الخائِضينَ على ما ارتَكبوا مِنْ جرائمَ وآثامٍ ما داموا قدْ أعْرَضوا عنهْمْ ، ولكنْ عليهِمْ أنْ يُعرِضوا عنهْمْ ويُذَكِّروهُمْ ويَمنعُوهُمْ عمَّا هم فيهِ مِنَ القبائحِ بما أمْكَنَ مِنَ العِظَةِ والتَّذكيرِ ، لعلَّ أُولئكَ الخائِضينَ يَجتنِبونَ ذلكَ ، وَيتقونَ اللهَ تَعالى في أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ بأنْ يَنْطَلِقَ في تَبليغِ دعوتِهِ دونَ أنْ يُشْغِلَ نفسَهُ بِسَفاهةِ السُّفهاءِ ، وأنْ يُذَكِّرَ المُعانِدينَ بسوءِ مصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

واتْرُكْ يا محمَّدُ ﷺ هؤلاءِ الغافِلينَ الّذينَ اتَّخذوا دينَهُمُ الّذي كُلِّفوهُ ودُعوا إليهِ ، وهو دينُ الإسلامِ لَعِباً ولهواً ، حيثُ سخِروا منْ تعاليمِهِ ، واسْتهزأوا بها ، وغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا ، حيثُ اطْمَأنّوا إليْها ، واشْتَغلوا بلذّاتِها ، وزَعموا أنَّه لا حياةَ بعدَها .

وذكِّرِ النَّاسَ بالقرآنِ أوْ بهذا الدّينِ مَخافَةَ أنْ تُسْلَمَ نُفوسٌ إلى الهلاكِ ، أو تُحْبَسَ أو تُرْتَهَنَ أو تُفْتَضَحَ ، أو تُحْرَمَ الثَّوابَ ، بِسَبَبِ كُفْرِها واغْتِرارِها بالحياةِ الدُّنْيا ، واتِّخاذها الدِّينَ لَهْواً ولَعِباً .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى عاقبةَ أُولئكَ الغافِلينَ الّذينَ أسْلَموا أنْفُسَهُمْ بسببِ ما اكْتَسَبوا في الدّنيا مِنْ أعمالٍ قبيحةٍ ، حيثُ يُقدَّمُ لهمْ شرابٌ مِن ماءٍ قدْ بلغَ النِّهايَةَ في الحرارةِ ، ويتجرْجَرُ في بُطونِهِمْ ، وتتقطعُ بهِ أمعاؤُهُمْ ، ولهُم فوقَ ذلكَ عذابٌ مُؤْلِمٌ بنارٍ تَشتعِلُ بأبْدانِهِمْ بسببِ كفرِهِمْ ، وما ظلَمَهُم اللهُ تَعالى ، ولكنْ كانوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وجوبُ الإعراضِ عنْ مُجالسةِ المُسْتَهزِئينَ بآياتِ اللهِ تَعالى أوْ بِرُسلهِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

٢ـ لا بُدَّ مِنَ التَّذكيرِ الدّائمِ باللهِ تَعالى وآياتِهِ ورُسلِهِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ حتّى يزدادَ الّذينَ آمنوا إيماناً ، ويَرتدِعَ أهلُ الباطلِ عمّا هُمْ فيهِ .

٣ـ سوءُ عاقبةِ المُكذّبينَ والمُسْتَهزِئينَ بآياتِ اللهِ تَعالى وَرُسُلِهِ ـ عَلَيْهِمُ السّلامُ ـ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَخوضونَ ، الذّكرى ، غرَّتْهُمُ ، أنْ تُبْسَلَ نفسٌ ، تَعْدِلْ كلَّ عدلٍ ، أُبْسِلوا ، حميمٍ .

٢ـ لِماذا أُمِرَ النَّبيُّ والمُؤْمِنونُ بالإعراضِ عنِ الخائِضينَ في آياتِ اللهِ تَعالى ؟

٣ـ بيِّنْ جزاءَ الّذينَ اتّخذوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً .

٤ـ ما موقفُ المسلمِ منَ الدّعوةِ إلى اللهِ تَعالى في ظلِّ وُجودِ المُسْتَهْزِئينَ باللهِ تَعالى ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ في تَغييرِ المُنْكَرِ .

[illegible]

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الثّالث عَشَرَ

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى
ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **استَهوتْهُ الشّياطينُ** : ذهبَتْ بعقلِه وأضَلَّتْهُ .
- **حيرانَ** : تائِهاً ضالاً عنِ الجادَّةِ لا يَدري ما يَصنعُ .
- **أُمِرْنا لِنُسْلِمَ** : أُمِرْنا بأَنْ نَسْتَسلِمَ للهِ ونُخْلِصَ العبادةَ لهُ .
- **الصُّورِ** : القَرْنِ الّذي يَنفُخُ فيه إسرافيلُ إيذاناً بقيامِ السّاعةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى ضَرورةَ الابْتِعادِ عنْ مجالسِ السُّوءِ ، وحَذَّرَ مِنها ومِنْ أهلِها ، جاءَتْ هذهِ الآياتُ تُبيِّنُ صُوراً مُنفِّرَةً للشركِ والمُشْركينَ ، وتَدْعو المُؤْمِنينَ إلى أنْ يَزْدادوا إيماناً على إيمانِهِمْ ، وتَدْعو الكافِرينَ إلى أنْ يَتفكَّروا في الحالِ الّتي هُمْ فيها ، لِيُصحِّحوا مسارَهُمْ في الحياةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ لأُولئكَ الكُفّارِ الّذينَ يُحاوِلونَ ردَّ المُسْلِمينَ عنْ دينِهِمْ تَوْبيخاً لَهمْ وازْدِراءً لشأنِهِمْ : هلْ يَصِحُّ أنْ نعبدَ غيرَ اللهِ تَعالى ممّا لايَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ ، ولا دَفْعَ ضَرَرٍ ، ونَنْتَكِسَ في الشِّرْكِ بعدَ أنْ وَفقَّنا اللهُ تَعالى إلى الإيمانِ ، ونكونَ كالّذي غَرَّرتْ بهِ الشَّياطينُ ، وأضلَّتْهُ في الأرضِ ، فصارَ في حَيْرةٍ لا يَهتَدي معَها إلى الطَّريقِ المستقيمِ ، ولَهُ رِفْقةٌ مُهْتَدونَ يُحاوِلونَ تَخليصَه منَ الضّلالِ قائلينَ لهُ : ارجعْ إلى طريقِنا السَّويِّ فلا يَستجيبُ لهُم ، قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ : إنّ الإسلامَ هوَ الهُدى والرَّشادُ وما عَداهُ ضَلالٌ ، وقد أَمَرَنا اللهُ تَعالى بالانقيادِ لأمرِهِ ، فهوَ خالقُ العالَمينَ ورازِقُهُمْ ومُدَبِّرُ أُمورِهِمْ . ثمَّ تابعَ النَّبيُّ ﷺ قولَه الّذي ردَّ بهِ على المُشرِكينَ رداً مُفْحِماً ببيانِ أنَّ دينَ الإسلامِ هوَ الهُدى ، فقال ـ عليهِ السَّلامُ ـ مبيِّناً تلكَ التَّتِمَّةَ كمَا قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

بعدَ أنَ أُمِرْنا بالإعْراضِ عنِ المُشرِكينَ ، وأنْ نُسْلِمَ وُجوهَنا للهِ تَعالى مُسْتَمْسكِينَ بدينِ الإسلامِ ، أُمِرْنا بالانْصِرافِ إلى عبادتِه ، وأداءِ الصّلاةِ على أكملِ وُجوهِها مِنَ الخضوعِ والخُشوعِ ، وأنْ نخافَ اللهَ تَعالى ، ونؤدّيَ أوامرَهُ ، فإنَّه وحدَهُ هوَ الّذي تُجْمَعُ الخلائقُ إليهِ يَوْمَ القِيامةِ .

ثمَّ بيّنَ في الخِتامِ بعضَ مظاهرِ قُدرةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمتِهِ ، وأنَّه سُبْحانَهُ مُتَّصفٌ بأوصافِ الكَمالِ اللّائقةِ بهِ على أكْمَلِ وَجْهٍ ، فقَالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وهوَ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ الّذي خلَقَ السّمواتِ والأرضَ ، وأقامَ خَلْقَهُما على الحقِّ والحِكْمةِ ، وهو سُبْحانَهُ فِي أيّ وقتٍ تتَّجهُ إرادتُهُ إلى إيجادِ شيءٍ يُوجَدُ فوراً ، فهوَ سُبْحانَهُ يوجِدُ الأشياءَ بكلمةِ (كُنْ) . وكلُّ قولٍ لَهُ سُبْحانَهُ هو الصِّدْقُ والحقُّ ، ولهَ وحدَهُ التَّصرُّفُ المطلَقُ يومَ القيامةِ حينَ يُنْفَخُ في البوقِ إيذاناً بالبعثِ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يَستوي في عِلْمِهِ الغائبُ والحاضِرُ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يتصرَّفُ بِحِكْمَةٍ في جميعِ أفعالِه ، والّذي يحيطُ عِلْمُهُ ببواطِنِ الأُمورِ وظواهِرِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اتّخاذُ غيرِ اللهِ تَعالى وليّاً ارتكاسٌ إلى الوراءِ ، لأنّه لا يَمْلِكُ ضَرّاً ولا نَفْعاً .

٢ـ دينُ الإسلامِ هوَ الدّينُ الصّحيحُ الحقُّ ، لأنَّه دينُ اللهِ تَعالى .

٣ـ ضَرورةُ إقامةِ الصَّلاةِ والوُصولِ إلى تَقوى اللهِ تَعالى بقَدْرِ الطَّاقةِ البَشَريّةِ .

٤ـ إذا أراد اللهُ تَعالى شيئاً يقولَ له : كنْ ، فيكونُ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

استهوَتْهُ الشَّياطينُ ، حيرانَ ، أُمِرْنا لنُسْلِمَ ، الصّورِ .

٢ـ بيّنِ الصّورةَ الّتي ذكرَتْها الآياتُ الكريمةُ للمُشركينَ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ ثلاثةَ أُمورٍ أُمِرَ بها المُسْلِمُ ، اذكُرْها مرتَّبةً كما جاءَتْ في الآياتِ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ عددَ المرّاتِ الّتي يُنفَخُ فيها في الصُّورِ ، وما يحدُثُ بعدَ كلِّ مَرَّةٍ .

* * *

الدَّرْسُ الخامسُ والأربعونَ

سورةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الرّابعَ عَشَرَ

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ
ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ
بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ
وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آزرَ : والدِ إبراهيمَ عليْهِ السَّلامُ .

مَلَكوتَ : مُلْكَ ، أوْ آياتٍ ، أو عجائبَ .

جَنَّ عليهِ اللَّيلُ : سَترَهُ بظلامِهِ .

أفلَ : غابَ وغَرُبَ .

بازِغاً : طالِعاً منَ الأُفقِ مُنْتَشِرَ الضَّوْءِ .

فَطَرَ السَّمواتِ والأرضَ : أَوْجدَهُما وأنشأَهُما على غيرِ مثالٍ سابقٍ .

حَنيفاً : مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ القرآنُ الكريمُ ألواناً منَ الأدلَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ تَعالى وَسَعَةِ علمهِ وقُدرتِهِ ، أخذَ في

التَّدليلِ على بُطلانِ الشّرْكِ وإثباتِ التَّوحيدِ عنْ طريقِ القِصّةِ ، فحكى لنا جانباً ممَّا قالَهُ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لأبيهِ وقومِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾

واذكُرْ وذكِّرْ قومَك لِيَعتَبِروا ، ويتَّعِظوا بما قالَه إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لأبيهِ آزرَ مُنكِراً عليهِ عبادةَ الأصنام : أتتّخذُ أصناماً آلِهةً تعبُدُها منْ دونِ اللهِ تَعالى وهوَ الّذي خلقَكَ فسوّاكَ فعدَلكَ ؟ إنّي أراكَ وقومَكَ الّذينَ يَتَّبِعونَكَ ويُشارِكونَكَ في هذهِ العبادةِ في انحرافٍ وبُعْدٍ ظاهرٍ عنِ الطّريقِ المستقيمِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

وكمَا أَرَيْنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ الحقَّ في خلافِ ما عليهِ أَبوهُ وقومُهُ منَ الشِّرْكِ ، نُريهِ أيضاً مظاهرَ رُبوبيّتِنا وقُدْرَتِنا في السّمواتِ والأرضِ ونُطلِعُهُ على حقائِقِهِما ، ليزدادَ إيماناً على إيمانِه ، وليكونَ منَ العالِمينَ عِلْماً كاملاً لا يقبلُ الشَّكَ بأنَّهُ على الحقِّ ، ومُخالِفيهِ على الباطِلِ ، وبهذا يستطيعُ أنْ يُواجِهَ قومَه بحُجَجٍ قويَّةٍ قويمةٍ .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

فلمّا سَتَرَ اللّيلُ الكَوْنَ بظلامِهِ رأى كوكباً مُمتازاً عنِ الكواكبِ سَطعَ نُورُه وأفاضَ على العالَمِ ضوؤهُ ، قالَ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ في مقامِ المُناظرةِ والمُحاجَّةِ : هذا ربِّي ، تَمهيداً لإقامةِ الحُجَّةِ على قومِه ، فلمَّا أفلَ وغابَ وأسدَلَ اللّيلُ عليهِ ستارَهُ ، قالَ إبراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : ليس هذا إلهاً أبداً ، يَظْهَرُ ثمَّ يختفي ، أنا لا أحبُّ الآفِلينَ ولا أثِقُ بهم ، فَضْلاً عَنْ كَوْني أعتقِدُ فيهِمُ الربوبيَّةَ ، وكيفَ يُفيدُ ما يغيبُ ويَستترُ ؟ ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى حالةً ثانيةً وطريقاً آخرَ منَ الحالاتِ والطُّرقِ الّتي سَلَكَها إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ في البَرْهَنةِ على وحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

فلمَّا رأى إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ القمرَ بازِغاً قدْ عمَّ ضوؤهُ الكَوْنَ ، وهوَ أقوى منَ الكوكبِ ، قالَ : أَحَقٌّ هذا ربِّي ، وهوَ أحَقُّ مِنَ الكَوْكَبِ السَّابقِ ، فلمَّا أفَلَ القمرُ وغابَ كذلكُ ، قالَ إبراهيمُ : مَا هذا ؟ تاللهِ لئنْ لمْ يَهْدِني ربِّي خالقُ الأكوانِ والكواكبِ لأكونَنَّ منَ القومِ الضَّالينَ .

وفي قولِ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ هذا القولَ تنبيهٌ لهُم لمعرفةِ الرَّبِ الحقِّ ، وأنَّهُ واحدٌ ، وأنَّ الكوكبَ والقمرَ كُلَّها لا تَسْتَحِقُّ الأُلوهيَّةَ ، وفي هذا تَهيئةٌ لِنُفوسِ قومِهِ لما عزَمَ عليهِ مِنَ التّصريحِ بأنَّ لهُ ربّاً غيرَ الكواكبِ ، ثمَّ عرّضَ بقومِهِ بأنَّهمْ ضالُّونَ ، لأنَّ قولَهُ لأكونَنَّ من القَوْمِ الضّالينَ يُدخِلُ على نُفوسِهِمُ الشَّكَ في مُعتقدِهِمْ أنَّه لونٌ مِنَ الضّلالِ .

وإنّما استدلَّ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ على بُطلانِ كونِ القمرِ إلهاً بعدَ أُفولِهِ ، ولمْ يَستدلَّ على بطلانِ ذلكَ بمجردِ ظُهورِهِ معَ أنَّ أُفولَهُ مُحقَّقٌ ، لأنَّه أرادَ أنْ يُقيمَ استدلالَهُ على المُشاهَدَةِ ، لأنَّها أقوى وأقْطَعُ لحُجَّةِ خَصْمِهِ .

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

فلمّا رأى الشّمسَ بازِغةً وهيَ أعظمُ الكواكبِ المرئيَّةِ لنا وأعمُّها نَفْعاً ، إذْ هيَ مصدرُ الحياةِ والدفءِ ومبعثُ النّورِ والحَرَكةِ ، هكذا جعلَها اللهُ تَعالى ، قالَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ : هذا ربِّي هذا أكبرُ مِنَ القمرِ والكَوْكَبِ نَفْعاً وضوءاً وجِرْماً ، وفي هذا مُجاراةٌ لقومِه في أفكارِهِمْ ، واستدراجٌ لهُم حتّى يَسْمَعوا حُجَّتَهُ ، فلمَّا أفلَتْ واحْتَجبَتْ ولفَّها اللّيلُ بأستارِه بعدَ ما أدرَكها الاصْفِرارُ والذُّبولُ وجاءَ اللّيلُ ، قالَ : ما هذا يا قوم ؟ إنِّي بريءٌ ممّا تُشرِكونَ باللهِ تَعالى ، فهذا حالُ الشَّمسِ والقمرِ والكوكبِ ، وفيهنَّ شيءٌ مِنَ النَّفعِ ظاهرٌ .

ثمَّ ختمَ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هذا التَّرقّي في الاسْتِدْلالِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى كمَا حكَى القرآنُ الكريمُ عنْهُ في قولِه سُبْحانَهُ :

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ رأى ضَعْفَ المخلوقاتِ وغيابَها توجَّهَ بالقوْلِ أمامَ مَنْ يُخاصِمُهُ إلى خالقِ الكواكبِ ، فقالَ : إنِّي وجَّهْتُ قَصْدِي إلى عبادةِ اللهِ تَعالى وحدَهُ الّذي خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ ، مُجافِياً كلَّ سبيلٍ غيرَ سبيلِه ، ومَا أنا بعدَ الّذي رأيتُ مِنَ المُشْرِكينَ مثلَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مُحاورةُ الخُصومِ تَقتضي أنْ يكونَ المُحاوِرُ عالِماً حَكيماً لَطيفاً .

٢ـ استخدامُ الأشياءِ المحسوسةِ المَرئيَّةِ في المُناظَرةِ أقوى في قَهْرِ حُجَجِ الخُصومِ .

٣ـ رابطةُ العقيدةِ فوقَ رابطةِ الأُبوَّةِ والبنوَّةِ والقَوميّةِ وسائرِ الرَّوابطِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مَلكوتَ ، جَنَّ عليهِ اللّيلُ ، أفلَ ، بازِغاً ، حَنيفاً .

٢ـ بَيّنْ طُرقَ الاسْتِدلالِ الّتي سَلَكَها إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ في مُحاورةِ قومِهِ .

٣ـ ما أثرُ الاسْتِدلالِ المَحسوسِ على وُضوحِ الأدلَّةِ ومُعالجةِ حُججِ الخَصْمِ ؟

٤ـ ماذا تفهمُ مِنْ قولِ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ : (وجّهتُ وجْهِي . . . . . الآية) ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الحِكْمةَ مِنَ افْتتاحِ الصَّلاةِ بالآيةِ (٧٩) .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي
شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم
مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **حاجَّهُ قومُهُ** : خاصَموهُ وجادَلوهُ .
- **سُلطاناً** : حُجَّةً وبُرْهاناً .
- **لم يَلبِسوا** : لَمْ يَخْلِطوا .
- **بظُلمٍ** : بِشِرْكٍ وكُفرٍ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ وَضَّحَ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لقومِه أنَّ الكَواكِبَ النّافِعَةَ لا تَصْلُحُ أنْ تَكونَ آلِهَةً ، وجاءَ على ذلكَ بالحُجَجِ الدّامغةِ ، إلاّ أنَّ قومَهُ حاجُّوهُ وخاصَموهُ ، ولَمْ يلتفِتوا إلى تلكَ البراهينِ السّاطعةِ ، بل غشيَتْهُمْ ظُلُماتُ الكُفْرِ والفَسادِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ومعَ ذلكَ جادلَهُ قومُهُ في توحيدِ اللهِ تعالى ، وخوّفوهُ غضَبَ آلهتِهم ، فقالَ لهمْ : ما كانَ لكُم أنْ تُجادِلوني في تَوْحيدِ اللهِ تَعالى ، وقدْ هداني سُبْحانَهُ إلى الحقِّ ، ولا أخافُ غضَبَ آلهتِكُم الّتي تُشركونَها معَ اللهِ تَعالى ، لكنْ إذا شاءَ ربِّي شيئاً مِنَ الضُّرِّ وقعَ ذلكَ ، لأنَّه وحدَه القادِرُ ، وقدْ أحاطَ عِلْمُ ربِّي بالأشياءِ كلِّها ، ولا عِلْمَ لآلهتِكُمْ بشيءٍ منها ، أتغفلونَ عنْ ذلكَ ، فلا تدرِكونَ أنَّ العاجزَ الجاهلَ لا يستحقُّ أنْ يُعْبَدَ ؟

﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

كيفَ ساغَ لكُم أنْ تظنُّوا أنِّي أخافُ معبوداتِكُمُ الباطِلَةَ ، وهيَ مَأْمونةُ الخَوْفِ ، لأنَّها لا تضرُّ ولا تَنْفَعُ ، وأنتمْ لا تَخافونَ إشراكَكُم باللهِ تَعالى خالِقكُمْ دونَ أنْ يكونَ معكُمْ على هذا الإشراكِ حُجَّةٌ أو بُرهانٌ مِنَ العقلِ أوِ النَّقلِ ، فأيُّ الفريقينِ ، فريقُ المُوحِّدينَ ، أم فريقُ المشركينَ أحقُّ وأوْلَى بالأَمْنِ منْ لَحاقِ الضّررِ بهِ إنْ كانَ لَديْكُم عِلْمٌ بذلكَ ؟

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

الّذينَ آمنوا ولمْ يخلطوا إيمانَهُمْ بأيِّ لونٍ منْ ألوانِ الشِّركِ كما يفعلُهُ فريق مِنَ المشركينَ ، حيثُ إنَّهم ما عبدُوها إلاّ ليتقرَّبوا بها إلى اللهِ تعالى زُلْفَى ، أولئكَ المؤمنونَ الصَّادقونَ ، لهُم الأمنُ دونَ غيرِهم ، لأنَّهمُ مُهتدونَ إلى الحقِّ ، وغيرُهم في ضلالٍ مبينٍ .

جاءَ عنْ ابن مسعودٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ أنهُ قالَ : لمّا نزلتْ هذهِ الآيةُ : ﴿الَّذينَ أَمَنُوا وَلَم يَلبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلمٍ﴾ شقَّ ذلكَ على المسلمينَ ، فقالوا : يا رسولَ اللهِ ﷺ ، أيُّنا لا يَظْلِمُ نفسَه ؟ قالَ : ليسَ ذلكَ ، إنّما هَو الشِّركُ ، ألَم تَسْمَعوا ما قالَ لقمانُ لابنهِ وهُوَ يَعِظُهُ : يا بُنيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ[1] .

﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وتلكَ الحُجَّةُ العظيمةُ على أُلوهيَّتِنا وَوَحْدانيَّتِنا أَعْطيناها إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لِيُقيمَها على قومِه ، فارتفعَ بِها عليهِمْ ، وسُنَّتُنا في عبادِنا أنْ نَرْفَعَ بالعِلْمِ والحِكْمةِ مَنْ نُريدُ منهُم دَرَجاتٍ .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢٦٢ حديث رقم (٣٢٥٦) ، ورواه مسلم ١/ ٤ حديث رقم (١٢٤) .

إنَّ ربَّكَ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ أيُّها النَّبيُّ ﷺ حكيمٌ أتقنَ كُلَّ شيءٍ صَنَعهُ ، عليمٌ بمَنْ يَستحقُّ الرِّفْعةَ ومَنْ لا يَسْتَحِقُّ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على المُسلِمِ أنْ يُعلِنَ دينَهُ ودَعْوَتَهُ بصراحةٍ ووُضوحٍ ، وأنْ يُدافِعَ عنْ عقيدتِه بقوَّةٍ وعِلْمٍ .

٢ـ الأمنُ عندَ اللهِ تَعالى إنَّما ينالُهُ المُؤْمنونَ الصّادِقونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حاجَّهَ قومُه ، سُلطاناً ، لم يَلبسوا ، بظُلْمٍ .

٢ـ بيِّنْ موقفَ الدّاعي منْ إعلانِ دعوتِه .

٣ـ ما موقفُ الدّاعي مِنَ الخُصوم ؟

٤ـ مَنْ أهلُ الأمنِ عندَ اللهِ تَعالى ؟ وما دليلُ ذلكَ ؟

٥ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ فضلَ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ لُقمانَ التي تُبَيِّنُ المَعنى الواردَ في الآيةِ (٨٢) .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ
وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا
لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

اجْتَبيناهُمْ : اخْتَرْناهُمْ واصْطَفيناهُمْ .
حبطَ : بَطَلَ وسَقَطَ .
الحُكْمَ : الفَصْلَ بينَ النَّاسِ بالحقِّ .
اقْتَدِهْ : اقتدِ واتَّبِعْ .

التَّفْسيرُ :

بعدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى تمامَ نِعْمَتِهِ على نَبيِّهِ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، أتبعَهُ بِذِكْرِ بعضِ الأنبياءِ مِنْ ذُرِّيةِ إبراهيمَ ومِنْ غيرِهِمْ ، الّذينَ اصْطفاهُمُ اللهُ تَعالى واختارَهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

وَوَهبْنا لإبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ فَضْلاً منّا وكَرَماً وعِوَضاً عنْ قومِه لمّا اعتزَلَهُمْ ، إسحقَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ولدُهُ منْ زوجه سارةَ ، ويعقوبَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، لتقرَّ عينُه ـ عليهِ السَّلامُ ـ ببقاءِ عَقبِه ؛ إذْ في رؤيةِ أبناءِ الأبناءِ سُرورُ النَّفسِ وراحةُ الفُؤادِ .

ثمَّ أخبرَ اللهُ تَعالى أنّ نوحاً ـ عليهِ السَّلامُ ـ مِنْ قَبْلِ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هُدِيَ إلى ما هُدِيَ بهِ إبراهيمُ هوُ وذريّتُهُ مِنَ النُّبوَّةِ والحِكْمَةِ .

وهذا لونٌ آخَرُ منَ التّكريمِ والتَّشريفِ لإبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ حيث إنَّهُ مِنْ نَسْلِ نوحٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ الّذي وصَفهُ اللهُ تَعالى بالهِدايةِ ، ولا شكَّ في أنَّ شرفَ الآباءِ يَسْري على الأبناءِ ، وكلٌّ منهُما لهُ خصوصيّةٌ عظيمةٌ ، أمَّا نوحٌ ـ عليهِ السَّلامُ ـ فإنّ اللهَ تَعالى لمّا أغرقَ النَّاسَ في زمانِه إلاّ مَنْ آمنَ به ، وهُمُ الّذينَ صَحِبوهُ في السَّفينةِ ، جعلَ اللهُ تَعالى ذُرِّيّتَهُ همُ الباقينَ ، فالنّاسُ كلُّهُمْ منْ ذرِّيته ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وأمّا الخليلُ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ فلَمْ يَبعثِ اللهُ تَعالى بعدَهُ نَبيّاً إلاّ منْ ذرِّيتِهِ .

ثمَّ ذَكرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ ثُلّةً مِنْ هذا النَّسلِ الطَّيِّبِ ، وهُم : داودُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وكانَ نبيّاً في بني إسرائيلَ ، وسليمانُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ابنُ داودَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وقدْ كانَ نبيّاً أيضاً في بني إسرائيلَ ، وأيوبُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ منْ نسلِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ ـ عليهما السَّلامُ ـ ، ويوسفُ وهو ابنُ يعقوبَ بنِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وكانَ نبيّاً في مصرَ ، وموسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ابنُ عمرانَ منْ نسلِ يعقوبَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكانَ نبيّاً في بني إسرائيل ، وهارونُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وهوَ أخو موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ منْ أنبياءِ بني إسرائيلَ ، ووصفَ اللهُ تَعالى هذهِ الكَوْكَبةَ المُباركةَ بأنَّهم منَ المُحْسنينَ ، ونِعْمَ ما كانوا عليهِ منَ الفَضْلِ .

ثمّ ذَكرَ اللهُ ـ تَعالى ـ آخَرينَ منْ أهلِ النُّبوَّةِ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

وهَديْنا زكريّا ـ عليهِ السَّلامُ ـ ويتّصل نَسبُهُ بسليمانَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وكانَ قريبَ العَهْدِ منْ زمنِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ حيث تولّى كَفالةَ مريمَ ابنةِ عِمْرانَ والدةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وكانَ زكريّا ـ عليهِ السَّلامُ ـ نبيّاً في بَني إسْرائيلَ ، ويَحيى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهو ابنُ زَكَريا ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكان نبيّاً في بَني إسْرائيلَ ، وعيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أحدُ أنبياءِ بني إسرائيلَ ، وإلياسَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ يتّصلُ نَسَبُهُ بهارونَ أخي موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهو منْ أنبياءِ بَني إسْرائيلَ ، المَعروفُ في كُتُبِهم باسمِ (إيليّا) .

وأخبرَ اللهُ تَعالى عنْ هذهِ الكَوْكَبةِ الشَّريفةِ بأنَّهم منْ عبادِهِ الصّالحينَ ، ونِعْمَ الصّلاحُ الّذي كانوا فيهِ ، فهُمْ أنبياءُ اللهِ ، وَصَفْوَتُه مِنْ خَلْقِه . ثمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى آخَرينَ منْ أهلِ النُّبوَّةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

وهَدَيْنا إسْماعيلَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ابنُ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ الأكبرُ ، واليسعَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ مِنَ الأنبياءِ الّذينَ لمْ يَبْقَ لهمْ أَتْباعٌ ولا شَريعةٌ ، ويونسَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكذلكَ لمْ يَبْقَ لَهُ أتْباعٌ ولا شريعةٌ ، وهوَ رسولُ اللهِ ـ عليهِ السَّلامُ ـ إلى أهلِ نَيْنَوى في العراقِ ، ولوطاً ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهو ابنُ أخي إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكانتْ رسالَتُهُ إلى أهلِ سَدومَ بالقُرْبِ منْ مِنْطَقةِ البحرِ الميّتِ جنوباً ، وهوَ أيضاً منْ الأنبياءِ الّذينَ لم يبقَ لهُم أتباعٌ ولا شريعةٌ .

ثم أخبرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ عنْ هَؤلاءِ بأنَّهُ قدْ فَضّلَ كُلَّ واحدٍ منهُمْ على عالَمِ زَمانِه بالهِدايةِ والنُّبوّةِ ، ونِعْمَ هؤلاءِ الصّالحونَ المُصْلِحونَ .

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾

ومِنْ آباء هؤلاءِ الأنبياءِ وذُرِّياتِهِمْ وإخوانِهِمْ مَنْ هَديناهُ إلى الطّريقِ الواضِحِ المسْتَقيمِ الّذي لا اعْوجاجَ فيهِ .

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

ذلك التَّوفيقُ العظيمُ الّذي نالَهُ هؤلاءِ ، هوَ توفيقٌ مِنَ اللهِ تَعالى ، يُوفِّقُ إليهِ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ ، ولَو فَرَضَ أنَّهُ أشْرَكَ باللهِ تَعالى أولئكَ المَهديُّونَ المُختارونَ لَبَطَلَ وسقطَ عنهُمْ ثوابُ ما كانوا يَعْمَلونَهُ مِنْ أعمالٍ صالحةٍ ، فكيفَ بغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لمْ يَنَلِ الْفَضْلَ مِنَ اللهِ تَعالى ؟

ثمَّ عقّبَ اللهُ تَعالى على ذِكْرِ هؤلاءِ الأنبياءِ تَعقيباً عامّاً ، حذَّرَ فيهِ المُشرِكينَ مِنَ الاسْتِمرارِ فيما هُم فيهِ منَ الكُفْرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

أولئكَ المُصْطَفَوْنَ الأخيارُ الّذينَ آتيناهُمْ الكُتُبَ المُنزَّلَةَ والعِلْمَ النّافعَ وشَرَفَ النُّبوَّةِ ، فإنْ يَكْفُرْ بهذهِ الثّلاثةِ الّتي اجتمعَتْ فيكَ يا محمّدُ ﷺ هؤلاءِ المشركونَ فلنْ يَضُرَّكَ كُفْرُهُمْ ، لأنّا قدْ وَفَّقْنا للإيمانِ بها قَوْماً كِراماً ليسوا بها كافرينَ في وَقْتٍ مِنَ الأوقاتِ ، وإنَّما هُم مُسْتَمِرُّونَ على الإيمانِ بك والتّصديقِ برِسالَتِكَ . وفي هذا ما فيهِ مِنَ التَّسليةِ لرسولِ اللهِ ﷺ عنْ إعْراضِ بعضِ قومِه عنْ دعوتِه .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى هذهِ الآياتِ بِدَعْوَةِ نبيِّهِ ﷺ بالتزامِ الاقْتِداءِ بهؤلاءِ المُصْطَفَيْنَ الأخيارِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

أُولئكَ الّذينَ وفّقهُم اللهُ تَعالى إلى طريقِ الخيرِ والحقِّ ، فاتَّبِعْهُمْ فيما اجْتَمَعوا عليهِ منْ أُصولِ الدّينِ وأمّهاتِ الفَضائلِ ، ولا تَسْلُكْ غيرَ سبيلِهِمْ ، وقلْ يا أيّها النَّبيُّ ﷺ لقومِكَ كما قالَ هؤلاءِ لأقوامِهِمْ : لا أَطْلُبُ منكُمْ على تَبليغِ كلامِ اللهِ تَعالى أجْراً ، فما هذا القرآنُ إلاّ تذكيرٌ لِلْعالَمينَ ، ولا غايةَ فيهِ إلاّ أنْ تَنْتَفِعوا بهِ ، فَتَتذكَّروا وتَتَدبَّروا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ ـ بيانُ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى على نَبيّه نوحٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ والأنبياءِ منْ ذُرِّيَّتِهِما .

٢ ـ كلُّ الأنبياءِ على طريقٍ واضحٍ مُسْتَقيمٍ .

٣ ـ كلُّ الأنبياءِ مواضعُ قُدوةٍ لأقوامِهِمْ ، وكذلكَ النَّبيُّ ﷺ ، لأَنَّهُمْ على طريقٍ مُستقيمٍ .

٤ ـ التَّحذيرُ مِنَ الزَّيْغِ عنْ طريقِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

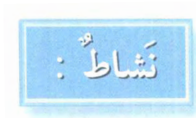
اجتبيْناهُمْ ، حَبِطَ ، الحُكْمُ ، اقْتَدِهْ .

٢ ـ عرِّفْ تعريفاً موجزاً بالأنْبياءِ التّاليةِ أسْماؤُهُمْ :

يعقوبُ ، سليمانُ ، اليسعُ ، لوطٌ ، عليْهِمُ السَّلامُ .

٣ ـ ذكرَ اللهُ تَعالى بعضَ نِعَمِهِ على إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بيّنْ ذلكَ .

٤ ـ ما وَجْهُ التَّكريمِ الّذي نالَهُ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ؟



١ـ اكتُبِ الآيةَ منْ سورةِ مريمَ الّتي تُبيّنُ فَضْلَ المُرْسَلينَ مِنْ ذرِّيَّة إبراهيمَ ونوحٍ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ .

٢ـ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ ثمانيةَ عَشَرَ نبيّاً ، وذكرَ في آياتٍ أُخرى غيرَهُمْ حتى بلغوا خمسةً وعشرينَ نبيّاً ، ارجعْ إلى كُتبِ التّفسيرِ ، واذكُرْ بقيةَ الأنبياءِ الّذينَ وردَتْ أسماؤُهم ، واكتبهُم في دفترِكَ .

* * *

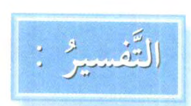
الدَّرسُ الثَّامِنُ والأرْبَعونَ

سورَةُ الأنعامِ - القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ
مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ
ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ
سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ
عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ
ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ
عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وما قَدَروا اللهَ : ما عَظَّموا اللهَ تَعالى .
قَراطيسَ : أوراقاً مَكتوبةً مُفرَّقةً .
مُبارَكٌ : كثيرُ المنافعِ والفوائدِ .
أُمَّ القرى : مَكّةَ المُكرَّمةَ .
مَنْ حولَها : مَنْ بِجوارِها .
غَمَراتِ الموتِ : شدائدِهِ وأهوالِه وسَكَراتِه عندَما يكونُ الإنسانُ في حالةِ النَّزْعِ .
خوَّلناكُمْ : أعطيناكُمْ مِنْ متاعِ الحياةِ الدُّنيا .
تَقَطَّعَ بينكُمْ : تفرَّقتُمْ وانقَطعَ الاتِّصالُ بينكُمْ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ سُبْحانَهُ ما دارَ بينَ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ مِنْ مُجادلاتٍ وأنَّ الهُدَى هُدى اللهِ ، وأنَّ مُهِمَّةَ الرُّسُلِ التَّبليغُ ، أخذَ القرآنُ الكريمُ في الرَّدِّ على مُنكري نزولِ الكُتُبِ السَّماويةِ وبيانِ عاقبتِهِمُ الوَخيمةِ ، بسببِ هذا الجُحودِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

مَا عَظَّمَ هؤلاءِ الكفّارُ اللهَ تَعالى حقَّ تعظيمِهِ وما عَرَفوهُ حقَّ مَعرفتِه في شِدَّةِ عقابِه ، ولُطْفِه بعبادِهِ والرَّحْمةِ بِهِمْ ، بلْ أخلُّوا بحقُوقِهِ إخْلالاً عَظيماً ، وضلّوا ضَلالاً كبيراً ؛ إذْ أنْكَروا بعْثَةَ الرُّسُلِ وإنزالَ الكُتبِ ، وقالوا تلكَ المَقالةَ الشَّنيعةَ ، مَا أنزلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ مِنَ الأشياءِ قاصِدينَ بذلكَ الطَّعْنَ في نُبوَّةِ النَّبيِّ ﷺ ، وفي كَوْنِ القرآنِ الكريمِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ للمُشركينَ ومَنْ يُشايعُهُمْ على ذلكَ مِنَ اليهودِ : مَنْ أنزلَ الكتابَ الّذي جاءَ بهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ التَّوراةُ نوراً يُضيءُ ، وهُدىً يُرشِدُ ؟ إنّكمْ أيّها اليهودُ تجعلونَ كتابتَهُ في أَجزاءٍ مُتفرِّقةٍ تُظهِرونَ منها ما يتَّفقُ وأَهْواءَكُمْ .

وتخافونَ كثيراً ممّا يُلجِئُكُمْ إلى الإيمانِ والتّصديقِ بالقرآنِ الكريمِ ، وعَلِمْتُم منهُ ما لمْ تَكونوا تَعلَمونَهُ أنتُمْ وآباؤُكم ، وتَولَّ أنتَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ الجوابَ وقلْ لهُم : اللهُ تَعالى وحدَهُ هوَ الّذي أنزلَ التوارةَ ، ثمَّ اتْرُكْهُمْ يَمضونَ في الضَّلالِ عابثينَ كالصِّبيانِ .

وبعدَ أنْ أبطلَ اللهُ تَعالى بالدّليلِ قولةَ مَنْ قالَ : (ما أنزلَ اللهُ مِنْ شيءٍ) أتبعَهُ ببيانِ أنَّ هذا القُرآنَ الكريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأنّه مُصدِّقٌ لِلكُتُبِ السَّماويةِ السَّابقةِ ومُهَيْمِنٌ عليها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

وهذا القرآنُ الكريمُ كتابٌ أَنزَلْناهُ ـ كمَا أنزَلْنا التَّوراةَ ـ ، كثيرُ الخَيْرِ لاشْتِمالِهِ على منافِعِ الدُّنْيا والدّينِ ، باقٍ إلى يومِ القيامةِ ، مُصدِّقٌ لِما تَقدَّمَهُ مِنَ الكُتبِ المُنزَّلةِ مُخْبِرٌ عنْ نُزولِها ، لِتُبَشّرَ بهِ المُؤْمنينَ ، وتُخوِّفَ بهِ الكافرينَ مِنْ أهلِ مَكّةَ ومَنْ حولَها مِنْ أنحاءِ الأرضِ مِنْ غَضَبِ اللهِ تَعالى ، وذلكَ لِعدمِ تَصْديقِهِم بِبعثتِهِ ﷺ ، والّذينَ يُصدِّقونَ بيومِ الجزاءِ يَحمِلُهُمْ رجاءَ الثَّوابِ والخوفِ مِنَ

العقابِ على الإيمانِ بهذا القرآنِ العظيمِ ، وهمْ لذلكَ يُحافِظونَ على أداءِ صَلاتِهِمْ كامِلةً مُسْتَوْفاةً ، يُقيمونَ أركانَها ، ويُؤَدُّونَها في خُشوعٍ واطْمِئنانٍ .

وبعدَ أنْ بيّنَ ـ سُبْحانَهُ وتعالى ـ مَزايا هذا القُرآنِ ، أتبعَ ذلكَ ببيانِ عاقبةِ الّذينَ يفترونَ الكَذِبَ على اللهِ تَعالى ، وصَوّرَ أحوالَهُمْ في النَّزْعِ الأخيرِ ، وعندَما يَقفونَ أمامَ ربِّهِمْ للحسابِ بِصورةٍ تَرْتَجِفُ لها الأفئدةُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

لَمْ يَكْذِبِ النَّبيُّ ﷺ حينَ أعلنَ أنَّ القرآنَ الكريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وليسَ أحدٌ أكثرَ ظُلْماً مِمّنِ اخْتَلَقَ الكَذِبَ على اللهِ تَعالى ، أوْ قالَ تَلقَّيْتُ وَحْياً منَ اللهِ تَعالى دونَ أنْ يكونَ قدْ تلقّى شيئاً مِنَ الوحيِ ، وليسَ أحدٌ كذلكَ أشدَّ ظُلْماً مِمَّن قالَ : سآتي بكلامٍ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللهُ تَعالى ، ولوْ تَعْلَمُ حالَ الظَّالمينَ وهُمْ في شَدائدِ المَوْتِ ، والمَلائكةُ يَنْزِعونَ أرواحَهُمْ مِنْ أجسادِهِمْ في قَسْوةٍ وعُنْفٍ ، قائلينَ لهُم على سبيلِ التَّوْبيخِ والزَّجْرِ : خلِّصوا أنفسَكُمْ مِنَ العذابِ ، فاليومَ تبدأُ مُجازاتُكُمْ بالعَذابِ المُذِلِّ المُهينِ جزاءَ ما كنتُم تقولونَ على اللهِ تَعالى غيرَ الحقِّ ، وجَزاءَ اسْتِكبارِكُمْ عنِ النَّظرِ والتَّدبُّرِ في آياتِ اللهِ الكونيَّةِ والقرآنيَّةِ .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

ويقولُ اللهُ تَعالى لهمْ يومَ القيامةِ ، لقدْ تأكَّدْتُمُ الآنَ بأنفُسِكُمْ أنَّكُم بُعِثْتُمْ أحياءً مِنْ قبورِكُمْ كما خَلقَناكُمْ أوَّلَ مرَّةٍ ، وجِئتُمْ إليْنا مُنفَرِدينَ عنِ المالِ والجاهِ والوَلَدِ والأصْحابِ ، وتركتُمْ وراءَكُمْ في الدُّنيا كلَّ ما أعطيناكُمْ إيّاهُ مِمّا كُنْتُمْ تغترُّونَ بهِ ، ولا نرى معكُمُ اليومَ الشُّفعاءَ الّذينَ زَعَمْتُمْ أنَّهمْ يَنْصرونَكُمْ عندَ اللهِ تَعالى ، وأنّهمْ شُركاءُ اللهِ تَعالى في العبادةِ ، لقدْ تقطَّعتْ بينكمْ وبينَهمْ كُلُّ الرَّوابطِ ، وغابَ عنكُمْ ما كنتُم تَزْعُمونَ أنَّهمْ ينفعُونَكُمْ .

وهكذا يسوقُ القرآنُ الكريمُ مَشهدَ هؤلاءِ الظّالمينَ بتلكَ الصّورةِ الّتي تهزُّ النُّفوسَ ، وتَحْمِلُ العُقَلاءَ على الإيمانِ ، والعَمَلِ الصّالحِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مِنْ أخلاقِ اليهودِ إخفاءُ كثيرٍ مِنَ الحقائقِ الدينيَّةِ الّتي لا تَتلاءمُ معَ أهوائِهِمْ .

٢ـ القرآنُ الكريمُ كثيرُ المنافعِ وبِسَببه تَحصُلُ السَّعادةُ في الدّاريْنِ .

٣ـ أصْلُ الدّياناتِ واحدٌ ، والقرآنُ الكريمُ يُصَدِّقُ ذلكَ .

٤ـ الصِّلَةُ باللهِ أشْرفُ الطّاعاتِ وهيَ عُنوانُ العبادةِ للهِ تَعالى .

٥ـ الجزاءُ يومَ القيامةِ على العملِ ، واللهُ تَعالى ليسَ بظلاَّمٍ للعبيدِ .

٦ـ يومَ القيامةِ تتقَطَّعُ بالنَّاسِ كلُّ الحبالِ إلاّ حبلُ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ومَا قَدَروا اللهَ ، قراطيسَ ، مُبارَكٌ ، غَمَراتِ المَوْتِ ، ما خوَّلناكُمْ ، تقطَّعَ بينَكُمْ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ عُمومُ رسالةِ النَبيِّ ﷺ .

ب ـ الاستكبارُ مِنْ أكبرِ أسبابِ الفسادِ .

ج ـ يومَ القيامةِ لا يبقى مَوْصولاً إلاّ حبلُ اللهِ تَعالى .

٣ـ بيّنَت الآياتُ الكريمةُ منزلةَ القرآنِ الكريمِ بينَ الكُتبِ السَّماويَّةِ ، وضّحْ ذلكَ .

٤ـ بيّنْ مَقْصِدَ الكفَّارِ مِنْ قولِهم : ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِك الآياتِ الّتي تُبيّنُ أنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ قادِرٌ على إهْلاكِ الرَّسولِ ، إذا تَقَوَّلَ عليهِ غيرَ ما أمَرهُ بهِ .

الدَّرسُ التَّاسِعُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ
تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ
وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فالقُ الحَبِّ : الّذي يشقُّ الحَبَّ لِيَكونَ مِنْها النَّباتُ .

النَّوى : جمعُ نواةٍ ، وهيَ ما يكونُ بداخلِ الثّمرةِ .

تُؤفَكونَ : تُصرَفونَ .

فالقُ الإصباحِ : الّذي يَشقُّ الضِّياءَ عنِ الظَّلامِ فيظهرُ نورُ النَّهارِ عندَ الصُّبحِ .

سَكَناً : مَا يُسْكَنُ فيه ، ويُسْتَقَرُّ .

حُسباناً : حساباً مُقدَّراً نيطَتْ بهِ مصالحُ الخَلْقِ .

مُستقَرٌّ : مكانُ اسْتِقرارٍ على الأرضِ أيامَ الحياةِ .

مُستودَعٌ : مكانُ اسْتيداعٍ في باطنِ الأرضِ بعدَ الموتِ .

خَضِراً : شيئاً أخضرَ طرِيّاً .

حَبّاً مُتراكِباً	بَعضَهُ فوقَ بعضٍ كالسَّنابلِ .
طَلْعِها	أوّلِ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثمرِ النَّخْلةِ في الكُوزِ .
قِنوانٌ	قُطوفُ التَّمْرِ .
دانيةٌ	مُتَدلِيَةٌ وقَريبةٌ .
يَنْعِهِ	نُضْجِهِ واكتمالِهِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ ساقَ اللهُ سُبْحانَهُ ألواناً مِنَ الدَّلائلِ على وَحْدانيَّتهِ ، وعلى صِدْقِ نبيِّهِ ﷺ فيما يُبلِّغُهُ عنْ ربِّهِ ، شَرَعَ سُبْحانَهُ في بيانِ مَظاهِرِ قُدرتِه وكَمالِ عِلْمِهِ وحِكْمتِهِ ، عنْ طريقِ التأمُّلِ في هذا الكَوْنِ العَجيبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

إنَّ دلائلَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى على البَعْثِ واسْتِحقاقِه وَحْدَهُ للعبادةِ ، مُتوافرةٌ ومُتنوِّعةٌ ، فهوَ الّذي يَشُقُّ الحَبَّ ويُخرِجُ منهُ النَّباتَ ، ويَشقُّ النَّواةَ الصُّلبةَ ويُخْرِجُ منها الشَّجَرةَ ، ويُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميّتِ كالإنسانِ مِنَ التّرابِ ، ويُخرِجُ الميّتَ مِنَ الحيّ كاللّبنِ منَ الحيوانِ ، ذلكَ القادِرُ العظيمُ هوَ الإلهُ الحقُّ ، فليسَ هناكَ صارفٌ يَصْرِفُكُمْ عنْ عِبادتِه إلى عبادةِ غيرِه ، ولا ما يَدْعوكُمْ إلى أنْ تُشركوا مَعهُ ما لا يَملِكُ لكُم ضَرّاً ولا نَفْعاً .

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

هذا الّذي يَشُقُّ الحَبَّ والنَّوى هو الّذي يَشُقُّ غَبَشَ الصُّبحِ وظلامَ اللّيلِ بِضوءِ النّهارِ ، لِيَسْعى الأَحْياءُ إلى تَحصيلِ أسْبابِ حَياتِهِمْ ، وهُوَ الّذي جَعَلَ اللّيلَ سَكَناً للجِسْمِ والنَّفْسِ ، وجَعَلَ سَيْرَ الشَّمْسِ والقمرِ بِنظامٍ بَديعٍ دقيقٍ يَعْرِفُ بهِ النّاسُ مواقيتَ عِباداتِهِمْ ومُعاملاتِهِمْ ؛ ذلك النّظامِ المحكَمِ البَديعِ القادِرِ المُسَيْطِرِ على الكَوْنِ المحيطِ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، فسُبْحانَهُ وتَعالى .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي جَعَلَ لكُمُ النّجومَ لتهتَدوا بمواقِعِها إلى مقاصدِكُمْ ، وأنْتُمْ سائِرونَ في ظُلُماتِ

اللَّيلِ في البرّ والبحرِ ، إنَّا قدْ بَيَّنّا دَلائلَ رَحْمَتِنا وقُدْرَتِنا لقومٍ يَنْتَفِعونَ بالعِلْمِ ، إذ يعمَلونَ بموجبِ علمِهِمْ ، ويزدادونَ إيماناً على إيمانِهم .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي أنشأَكُمْ مِنْ أصلٍ واحدٍ هُو أبُو البَشَرِ آدمُ - عليهِ السَّلامُ - الّذي خُلِقَ مِنَ الأرضِ ، فالأرضُ مكانُ استقرارِكُمْ ومُستودَعٌ لكُم بعدَ مَوْتِكُمْ وتَغْييبِكُمْ في بَطْنِها ، وقدْ بيّنا دلائلَ قدرتِنا لقومٍ يُدْرِكونَ ويَفْهَمونَ الأشياءَ على وَجْهِها فَيَنْتَفِعونَ بذلكَ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً أخرجَ بهِ نباتَ كُلِّ صنف ، فأخْرَجَ مِنَ النَّباتِ شيئاً غضّاً طريّاً ، ونُخرِجُ منهُ حبّاً كثيراً بعضَه فوقَ بعضٍ ، ومِنْ طَلْعِ النَّخلِ عَراجينُ نُخرِجُها مُحمَّلةً بالثّمارِ سَهْلَةَ التّناولِ ، وأخرجْنا كذلكَ بالماءِ جنّاتٍ مِنَ الأعنابِ والزيّتونِ والرُّمانِ ، منها ما ثمُرُهُ مُتماثِلٌ في الشّكلِ ، ولكنَّهُ غيرُ متماثِلٍ في الطّعمِ والرّائحةِ ، ونَوْعِ الفائدةِ ، انظُروا في تدبُّرٍ واعْتبارٍ إلى ثمرِهِ حيثُ يُثْمِرُ ، وإلى نُضْجِهِ ، كيفَ تمَّ بعدَ أطوارٍ مُختلفَةٍ ، إنَّ في ذلكَ لَدلائلَ واضحةً لِقومٍ يَنْشدُونَ الحقَّ ، ويُؤْمنونَ بهِ ، ويُذعِنونَ له .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ النَّظرِ والتفكُّرِ في الآياتِ الكَوْنيّةِ والإنسانيّةِ والحيوانيّةِ والنباتيّةِ للوصولِ إلى الخالقِ العظيمِ .

٢ـ خلَقَ اللهُ تَعالى الأشياءَ مُرْتبطةً بحِكَمٍ ، ومنْ أجلِ الإنسانِ كيْ ينتفعَ بها .

٣ـ اللهُ تَعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ ، ولا يُعْجِزُهُ أيُّ شيءٍ .

٤ـ في النَّهارِ حياةُ النّاسِ وفي اللّيلِ راحةٌ وسُكونٌ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

فالقُ الحبِّ ، فالقُ الإصباحِ ، حُسباناً ، مُسْتَقَرٌّ ، ومُسْتَوْدَعٌ ، حَبّاً مُتراكِباً ، طَلْعِها .

٢ـ هاتِ الأدِلّةَ منْ آياتِ الدّرسِ على ما يلي :

أـ الناسُ لآدمَ .

ب ـ يجبُ على الإنسانِ أنْ يتأمّلَ في آياتِ اللهِ تَعالى المُختلفةِ حتّى يَسْتَيْقِنَ الحقَّ .

ج ـ الليلُ راحةُ النّفسِ والبَدَنِ .

د ـ ما منْ شيءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعالى إلاّ لِحِكْمَةٍ .

هـ ـ كثيرٌ منَ المخلوقاتِ يُشْبِهُ بعضُهُ بعضاً لكنَّه في حقيقتِهِ مُختلِفٌ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ خمسةَ ألوانٍ منْ بيانِ قدرةِ اللهِ تَعالى وحِكْمَتِه وعِلْمِهِ ورَحمَتِهِ ، هاتِ لونَينِ منْ هذهِ الألوانِ ، وبيّن كيفَ تستدِلُّ منها على المَطلوبِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ وظيفةً أُخرى للنُّجومِ والكواكبِ ، غيرَ الّتي وردتْ في الآيةِ (٩٧) .

٢ـ اكتبْ موضوعاً في حدودِ الصَّفحتَيْنِ عنِ الآياتِ الواردةِ في الدَّرسِ مُستشهِداً بهذهِ الآياتِ ، وضَعِ المَوْضوعَ في مجلةِ الحائطِ في مدرستِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخَمْسونَ

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ
وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ
أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا
جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **خَرَقوا لَهُ** : اختلَقوا وكذَبوا .
- **بديعُ** : مبدعٌ ومخترعٌ على غيرِ مثالٍ سابقٍ .
- **أنّى يكونُ** : كيفَ يكونُ .
- **وَكيلٌ** : رقيبٌ ومُتَوَلٍّ .
- **لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ** : لا يَراهُ النّاسُ في هذهِ الدُّنيا بأَبْصارِهِمْ .
- **بَصائِرُ** : آياتٌ وبراهينُ تَهدي إلى الحقِّ .
- **حَفيظٍ** : رقيبٍ أحصى أعمالَكُمْ لِمُجازاتِكُمْ .
- **نُصرِّفُ الآياتِ** : نُبيِّنُها بأساليبَ مُتَعددةٍ ومُتنوِّعةٍ .
- **دَرَسْتَ** : قرأتَ وتعلَّمتَ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ تلكَ الدَّلائلَ المُتنوِّعةَ على عَظيمِ قُدْرتِهِ وباهرِ حِكْمَتهِ ، ووافرِ نعمتِهِ ، واسْتِحقاقِهِ الأُلوهيَّةَ ، أتبعَها بتوبيخِ المُشْرِكينَ والردِّ عليهِمْ بما يُرشِدُهُمْ إلى الطريقِ القويمِ لوْ كانوا يعقِلونَ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

واتَّخَذَ الكافرونَ معَ هذهِ الدَّلائلِ الواضحةِ والبيِّنةِ الدَّالّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى ، اتَّخذوا الملائكةَ والشّياطينَ شُركاءَ للهِ تَعالى ، واللهُ سُبْحانَهُ هوَ الّذي خَلَقَهمْ ، فَلا يَصِحُّ معَ علمِهِمْ ذلكَ أنْ يَعبدوا غَيْرَهُ ، وهُوَ سُبْحانَهُ الّذي خَلَقَ الملائِكةَ والشَّياطينَ ، فَلا يَنبغي أنْ يَعْبُدوهُمْ ، وهمْ مَخْلوقونَ مثلُهُمْ . واختلَقَ هؤلاءِ الكُفَّارُ وادَّعوْا للهِ تَعالى بسببِ جهلِهم وانطماسِ بَصيرتِهِمْ ، بنينَ وبناتٍ ، فزعمَ النَّصارى أنَّ المسيحَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ابنُ اللهِ تَعالى ، وزَعَمَ بعضُ مشركي العربِ أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ تَعالى مِنْ غيرِ أنْ يَعْلَموا حَقيقةَ ما قالوهُ مِنْ خطأ أوْ صَوابٍ ، ولكنْ عنْ عمىً وجَهالةٍ ، مِنْ غيرِ فِكْرٍ ولا رَويَّةٍ ، أوْ بغيرِ عِلْمٍ بِمَرْتَبةِ ما قالوا ، وأنَّهُ مِنَ الشَّناعةِ والبُطلانِ بحيثُ لا يُقادَرُ قَدَرُهُ . تَنَزَّهَ اللهُ تَعالى عما يفترونَهُ مِنْ أوصافٍ في حقِّهِ سُبْحانَهُ .

وفي هذا الّذي بَيَّنَه القرآنُ الكريمُ عنهُم ذمٌّ لهُم بأنَّهم يَقولونَ ما يقولونَهُ بمجردِ الرَّأيِ والهَوى دونَ تروٍّ ولا تفكيرٍ .

ثم ساقَ اللهُ تَعالى في الآياتِ التّاليةِ الأدِلَّةَ المُبْطِلَةَ لما تَفوَّهَ المُشرِكونَ بهِ منْ مَزاعمَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى الّذي أنشأَ السَّمواتِ والأرضَ على غيرِ مثالٍ سابقٍ ، كيفَ يكونُ لهُ ولدٌ كما يزعمُ هؤلاءِ معَ أنَّه سُبْحانَهُ لمْ يكنْ لهُ زوجٌ ، وهوَ سُبْحانَهُ قدْ خلَقَ جميعَ الأشياءِ ، والّتي من جُمْلَتِها ما سمّوهُ زوراً وبُهتاناً ولَداً للهِ تَعالى ، فكيفَ يكونُ المخلوقُ ولداً لخالقِهِ بهذهِ الحالةِ ؟! واللهُ سُبْحانَهُ هوَ العالِمُ بكلِّ شيءٍ ، ويُحصي على النَّاسِ ما يَفْعلونَ ويَقولونَ ، وهوَ مجازيهِمْ على أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ .

وبعدَ أنْ أبطلَ ـ سُبْحانَهُ ـ الشِّركَ ، ونعَى على كلِّ مُعتنقيهِ سوءَ تفكيرِهِمْ دعا المُكَلَّفينَ إلى إخلاصِ العبوديَّةِ للهِ تَعالى وحْدَهُ سُبْحانَهُ :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

ذلكَ المتَّصِفُ بِصِفاتِ الكمالِ هوَ اللهُ تَعالى ربُّكُم لاَ إلهَ غيرُهُ ، خالقُ كُلِّ شيءٍ ممّا كانَ وممّا سيكونُ ، فهوَ المُسْتَحِقُّ للعبادةِ ، فاعْبُدوهُ ، وهوَ وحدَهُ المتولّي كُلَّ أَمْرٍ وكُلَّ شيءٍ ، فإليهِ المَرْجِعُ والمآبُ .

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

لا تُحيطُ بعظمَتِهِ وجَلالِه على ما هُو عليهِ سُبْحانَهُ وتَعالى أبصارُ الخلائقِ ، أوْ لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ إدراكَ إحاطةٍ بِكُنْهِهِ وحقيقتهِ فإنَّ ذلكَ مُحالٌ .

وهذا الشيءُ لهُ مَظهَرٌ واضِحٌ في آياتِ اللهِ تَعالى في الكونِ ، فالإنسانُ يرى الشَّمسَ والقمرَ ، ولكنّهُ لا يستطيعُ بعيَنيْهِ ولا بغيرِهما إدراكَ كُنْهِ الشَّمسِ وحقيقتِها مَثَلاً ، وللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى المثلُ الأعلى .

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ في هذهِ الآية أنّهُ يُعامِلُ عبادَهُ باللُّطْفِ والرأفةِ ، وهوَ سُبْحانَهُ العليمُ بدقائقِ الأُمورِ وجَليلِها . وبعدَ هذا أخذَ القرآنُ الكريمُ في تَثبيتِ النَّبيِّ ﷺ وفي تسليتِهِ ، وفي الثناءِ على ما جاءَ بهِ مِنْ هِداياتٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ في هذ الشَّأنِ :

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ للنَّاسِ : قدْ جاءَكُم مِنْ خالِقِكُمْ ومالِكِ أمْرِكُمْ حُجَجٌ وبيّناتٌ في القرآنِ الكريمِ ، تُنيرُ لكُم طريقَ الحقِّ ، فمنِ انتفعَ بها فانتفاعُهُ لِنفْسهِ ، ومن أعرضَ عنها فقدْ جَنى على نفسهِ ، ولستُ أنا بمحافظٍ عليكُم ، بلْ أنا رسولٌ أُبلِّغكُمْ ما أُرْسِلْتُ بهِ إليكُمْ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

ومِثْلُ هذا التَّنويعِ البديعِ في عَرْضِ الدَّلائلِ الكونيّةِ إنّما هو لِعَرْضِ آياتِنا في القرآنِ الكريمِ مُنوّعةً مُفَصَّلةً لِنُقيمَ الحُجَّةَ بها على الجاحِدينَ ، ومعَ ذلكَ لا يجدونَ إلاّ الكَذِبَ والزُّورَ للردِّ عليكَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ ، فيقولونَ عنكَ يا محمَّدُ ﷺ : قرأتَ الكُتُبَ على أهْلِها ، وتعلَّمتَ منهُم ، وحفظْتَ عنْ طريقِ الدّراسةِ أخبارَ منْ مضَى ، ثمَّ جِئْتَنا بعد ذلكَ تزعُمُ أنّكَ رسولٌ منْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأنّ

ما جئتَ بهِ منْ عندِ اللهِ تعالى أيضاً ، والحقُّ الّذي لا مِرْيَةَ فيهِ أنَّنا أنزلنا هذا القرآنَ ، ووضَّحناهُ لقومٍ يعلمونَ الحقَّ فيَتَّبعونه ، ويعرِفونَ الباطلَ فيَجتَنبونَهُ ، فهُم المُنْتَفِعونَ بهِ دونَ سِواهُم .

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

عليكَ يا محمّدُ ﷺ أنْ تُداوِمَ على تَبليغِ رِسالتِك ، مُتّبعاً في ذلكَ ما أوحاهُ إليكَ ربُّكَ الّذي لا إلهَ إلاّ هوَ منْ آياتٍ وهِداياتٍ ، مُعْرِضاً عنِ المُشْرِكينَ الّذينَ يَفترونَ على اللهِ تَعالى الكَذِبَ وهُم يَعلَمونَ .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

ولَوْ أرادَ اللهُ تَعالى أنْ يعبدُوهُ وَحْدَه لَقَهَرَهُمْ على ذلكَ بقوّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ تركَ هذا الأمْرَ لاختبارِهِمْ ، ومَا جَعلناكَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ حفيظاً يحفظُ عليهِم أعمالَهُمْ لِتُحاسِبَهُمْ وتُجازِيَهُمْ عَليْها ، وما أنتَ بمكلَّفٍ أنْ تقومَ عنهُم بتدبيرِ شؤونِهم وإصْلاحِ أمْرِهِمْ ولَسْتَ وكيلاً عنهُم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ القولُ بأنَّ للهِ تَعالى بَنينَ وبناتٍ هو مَحْضُ اخْتِلاقٍ وكَذِبٍ ، تَعالى اللهُ عنْ ذلكَ عُلوّاً كبيراً .

٢ـ وُجوبُ إثباتِ الصِّفاتِ العُليا للهِ عزّ وجلّ وتَنْزيهِهِ عنِ الشِّرْكِ ، وعنْ إدراكِهِ بالحواسِّ .

٣ـ رؤيةُ المؤمنينَ لربِّهِمْ يومَ القيامةِ ثابتةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ .

٤ـ الإنسانُ يَتحملُ تَبعةَ اختيارِهِ ، والرَّسولُ ﷺ ما عليهِ إلاّ البلاغُ .

٥ـ ضرورةُ التثبُّتِ منَ القولِ ، وَألاّ يتكلمَ الإنسانُ على هَواهُ دونَ حسيبٍ أو رقيبٍ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

خَرقوا لَه ، بديعُ ، لا تُدرِكُه الأبصارُ ، نُصرِّفُ الآياتِ ، دَرَسْتَ .

٢ـ بيِّنتِ الآياتُ الكريمةُ سَفاهةَ الكُفّارِ وانْطماسَ بصائِرِهِمْ ، وضّحْ ذلكَ .

٣ـ ردَّ القرآنُ الكريمُ على شُبْهَةِ أنَّ للهِ ولداً ، وضّحْ ذلكَ .

٤ـ اذْكُرِ الآيةَ الكريمةَ الدَّالةَ على عظمةِ اللهِ تَعالى .

٥ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ أنّ الإنسانَ إنّما يؤاخَذُ بجريرةِ عملِهِ ، وضّحْ ذلكَ .

٦ـ بيّنْ ردَّ المشركينَ على تنويعِ آياتِ اللهِ تَعالى .

٧ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ مَوْقِفَ الرّسولِ ﷺ منَ المشركينَ ، وضّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ سورةَ الإخلاص ، وتَدبَّرِ الرَّدَ على ما قالَهُ المُشرِكونَ في الآيةِ (١٠١) .

* * *